سلسلة نصوص تراثية للباحثين

(١٥٤٣)

واستغفر لهم الرسول

مسائل وأحوال

من مصنفات العقيدة والتفسير

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٦هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

"بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾. فقد تبين أن الرسل الذين ذكرهم الله في قوله: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات﴾. يتناول." (١)

"ص -٦٣- أن عاقبة الظلم وخيمة وعاقبة العدل كريمة ولهذا يروى : " الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة " .وإذا كان لا بد من طاعة آمر وناه فمعلوم أن دخول المرء في طاعة الله ورسوله خير له وهو الرسول النبي الأمي المكتوب في التوراة والإنجيل الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث وذلك هو الواجب على جميع الخلق قال الله تعالى : ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جآؤوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما ﴾ [النساء : ٦٤] ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ [النساء : ٦٥] . وقال : ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾ [النساء : ٦٩] . وقال : ﴿تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ﴾ [النساء : ١٣] ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين ﴾ [النساء : ١٤] .وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته للجمعة : " إن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور." (٢)

"ص -٣٦٣- فالحكم لله وحده ورسله يبلغون عنه، فحكمهم حكمه، وأمرهم أمره وطاعتهم طاعته، فما حكم به الرسول وأمرهم به وشرعه من الدين وجب على جميع الخلائق اتباعه وطاعته؛ فإن ذلك هو حكم الله على خلقه .والرسول يبلغ عن الله، قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جآؤوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤٥٤/٢

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، /٥

يؤمنون حتي يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ [النساء : ٦٥،٦٤] ، فعلى جميع الخلق أن يحكموا رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وأفضل المرسلين وأكرم الخلق على الله، ليس لأحد أن يخرج عن حكمه في شيء سواء كان من العلماء أو الملوك أو الشيوخ أو غيرهم . ولو أدركه موسي أو عيسي وغيرهما من الرسل كان عليهم اتباعه، كما قال تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾ [آل عمران : ٨١] ، وروي عن غير واحد من السلف علي وابن عباس وغيرهما قالوا : لم." [١]

"أما وجوب اتباع القائل في كل ما يقوله من غير ذكر دليل علي صحة ما يقول فليس بصحيح، بل هذه المرتبة هي [مرتبة الرسول] التي لا تصلح إلا له، كما قال تعالي : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ [النساء : ٦٥] ، وقال تعالي : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جآؤوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما ﴾ [النساء : ٦٤] ، وقال تعالي : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ [آل عمران : ٣١] ، وقال تعالي : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ [الأحزاب : ٣٦] ، وقال تعالي : ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ﴾ [النور : ٥١] ،." [٢]

"ص -٥- ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جآؤوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ [النساء : ٦٤، ٦٥] ، وقوله تعالى : ﴿قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين﴾ [آل عمران : ٣٢] ،وقال تعالى : ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾ [آل عمران : ٣١] ، فجعل محبة العبد لربه موجبة لاتباع الرسول، وجعل متابعة الرسول سببا لمحبة الله عبده، وقد قال تعالى : ﴿وكذلك

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، /١٢

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، /٢٥

أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ [الشورى : ٥٢] ، فما أوحاه الله إليه يهدى الله به من يشاء من عباده، كما أنه صلى الله عليه وسلم بذلك هداه الله تعالى كما قال تعالى : ﴿قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي إنه سميع قريب﴾ [سبأ : ٥٠] ، وقال تعالى : ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾ [المائدة : ١٥، ١٦] . فبمحمد صلى الله عليه وسلم تبين الكفر من الإيمان." [1]

"ص -١٣٣- فالدعاء للغير ينتفع به الداعى، والمدعو له وإن كان الداعى دون المدعو له، فدعاء المؤمن لأخيه ينتفع به الداعى والمدعو له . فمن قال لغيره : ادع لى وقصد انتفاعهما جميعا بذلك كان هو وأخوه متعاونين على البر والتقوى، فهو نبه المسؤول وأشار عليه بما ينفعهما، والمسؤول فعل ما ينفعهما، بمنزلة من يأمر غيره ببر وتقوى، فيثاب المأمور على فعله، والآمر أيضا يثاب مثل ثوابه؛ لكونه دعا إليه، لا سيما ومن الأدعية ما يؤمر بها العبد، كما قال تعالى : ﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾ [محمد : ١٩] ، فأمره بالاستغفار، ثم قال : ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جآؤوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ [النساء : ٦٤] .فذكر سبحانه استغفارهم، واستغفار الرسول لهم إذ ذاك مما أمر به الرسول، حيث أمره أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات، ولم يأمر الله مخلوقا أن يسأل مخلوقا شيئا لم يأمر الله المخلوق به، بل ما أمر الله العبد أمر إيجاب أو استحباب ففعله هو عبادة لله، وطاعة وقربة إلى الله، وصلاح لفاعله وحسنة فيه، وإذا فعل ذلك كان أعظم لإحسان الله إليه، وإنعامه عليه، بل أجل نعمة أنعم الله بها على عباده أن هداهم للإيمان .والإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة والحسنات، وكلما ازداد العبد عملا للخير، ازداد إيمانه . هذا هو الإنعام الحقيقى المذكور فى قوله : ﴿صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ [الفاتحة : ٧] ، وفى قوله : ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم﴾ [النساء : ٦٩] ، بل نعم الدنيا بدون الدين هل هى من نعمه أم لا ؟ فيه قولان مشهوران للعلماء من أصحابنا وغيرهم .." [2]

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣/٧

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٣/٢٠

"ص -١٥٩- على عدونا، سل الله أن يكشف عنا هذه الشدة، أشكو إليك كذا، وكذا، فسل الله أن يكشف هذه الكربة . أو يقول أحدهم : سل الله أن يغفر لى .ومنهم من يتأول قوله تعالى : ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جآؤوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ [النساء : ٦٤] ، ويقولون : إذا طلبنا منه الاستغفار بعد موته كنا بمنزلة الذين طلبوا الاستغفار من الصحابة، ويخالفون بذلك إجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر المسلمين، فإن أحدا منهم لم يطلب من النبى صلى الله عليه وسلم بعد موته أن يشفع له ولا سأله شيئا، ولا ذكر ذلك أحد من أئمة المسلمين فى كتبهم، وإنما ذكر ذلك من ذكره من متأخرى الفقهاء، وحكوا حكاية مكذوبة على مالك رضى الله عنه سيأتى ذكرها وبسط الكلام علىها إن شاء الله تعالى .فهذه الأنواع من خطاب الملائكة والأنبياء والصالحين بعد موتهم عند قبورهم وفى مغيبهم، وخطاب تماثيلهم، هو من أعظم أنواع الشرك الموجود فى المشركين من غير أهل الكتاب، وفى مبتدعة أهل الكتاب والمسلمين الذين أحدثوا من الشرك والعبادات ما لم يأذن به الله تعالى . قال الله تعالى : ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾ [الشورى : ٢١] .فإن دعاء الملائكة والأنبياء بعد موتهم، وفى مغيبهم وسؤالهم والاستغاثة بهم والاستشفاع بهم فى هذه الحال، ونصب تماثيلهم بمعنى طلب الشفاعة منهم هو من الدين الذى لم يشرعه الله، ولا ابتعث به رسولا، ولا أنزل به كتابا، وليس هو واجبا ولا مستحبا باتفاق المسلمين، ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا أمر به إمام من أئمة المسلمين، وإن كان ذلك مما يفعله كثير." [١]

"ص -٢٢٨- وإن حرمته ميتا كحرمته حيا . فاستكان لها أبو جعفر، فقال : يا أبا عبد الله، أستقبل القبلة وأدعوا ؟ أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى يوم القيامة ؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله، قال الله تعالى : ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جآؤوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ [النساء : ٦٤] . قلت وهذه الحكاية منقطعة؛ فإن محمد بن حميد الرازى لم يدرك مالكا، لاسيما فى زمن أبى جعفر المنصور، فإن أبا جعفر توفى بمكة سنة ثمان وخمسين ومائة، وتوفى مالك سنة تسع وسبعين ومائة، وتوفى محمد بن حميد الرازى سنة ثمان وأربعين ومائتين، ولم يخرج من بلده حين رحل فى طلب العلم إلا وهو كبير مع أبيه، وهو مع هذا ضعيف عند أكثر أهل الحديث، كذبه أبو زرعة، وابن وارة، وقال صالح بن

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٧/١٤

محمد الأسدى : ما رأيت أحدا أجرأ على الله منه وأحذق بالكذب منه . وقال يعقوب بن شيبة : كثير المناكير . وقال النسائى : ليس بثقة . وقال ابن حبان : ينفرد عن الثقات بالمقلوبات . وآخر من روى الموطأ عن مالك هو أبو مصعب وتوفى سنة اثنتين وأربعين ومائتين . وآخر من روى عن مالك على الإطلاق هو أبو حذيفة أحمد بن إسماعيل السهمى توفى سنة تسع وخمسين ومائتين . وفى الإسناد أيضا من لا تعرف حاله .وهذه الحكاية لم يذكرها أحد من أصحاب مالك المعروفين بالأخذ عنه،." [1]

"ص -٢١٣- تعالى : ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جآؤوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جآؤوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ [النساء : ٦٠ ٦٥] .وكل من خالف شيئا مما جاء به الرسول مقلدا في ذلك لمن يظن أنه ولى الله فإنه بنى أمره على أنه ولى لله ، وإن ولى الله لا يخالف في شيء ولو كان هذا الرجل من أكبر أولياء الله كأكابر الصحابة والتابعين لهم بإحسان لم يقبل منه ما خالف الكتاب والسنة، فكيف إذا لم يكن كذلك ؟ ! وتجد كثيرا من هؤلاء عمدتهم في اعتقاد كونه وليا لله أنه قد صدر عنه مكاشفة في بعض الأمور أو بعض التصرفات الخارقة للعادة مثل أن يشير إلى شخص فيموت، أو يطير في الهواء إلى مكة أو غيرها." [2]

"ص -٤١٧- وفي مثل قوله : ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جآؤوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٠٠/١٤

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٦٥/١٨٥

ظلموا أنفسهم جآؤوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ [النساء : ٦٠ : ٦٥] . ولبسط الكلام على أمثال هؤلاء موضع غير هذا .ومن هؤلاء من يحتج بقوله : ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ [الحجر : ٩٩] ، ويقول معناها : اعبد ربك حتى يحصل لك العلم والمعرفة، فإذا حصل ذلك سقطت العبادة . وربما قال بعضهم : اعمل حتى يحصل لك حال، فإذا حصل لك حال تصوفي سقطت عنك العبادة، وهؤلاء فيهم من إذا ظن حصول مطلوبه من المعرفة والحال استحل ترك الفرائض، وارتكاب المحارم، وهذا كفر، كما تقدم .." (١)

"ص -٣٤٠- الإسلام من ملوك الترك وغيرهم، وإذا قيل لهم : تعالوا إلي كتاب الله وسنة رسوله أعرضوا عن ذلك إعراضا، وإذا أصابتهم مصيبة في عقولهم ودينهم ودنياهم بالشبهات والشهوات،أو في نفوسهم وأموالهم عقوبة علي نفاقهم قالوا : إنما أردنا أن نحسن بتحقيق العلم بالذوق، ونوفق بين [الدلائل لشرعية] و [القواطع العقلية] التي هي في الحقيقة ظنون وشبهات، أو [الذوقية] التي هي في الحقيقة أوهام وخيالات ﴿أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جآؤوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ [النساء : ٦٣ ٦٥] ، وقال تعالى : ﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ﴾ [النور : ٤٧ ٥١] ، الآية .." (٢)

"وقال تعالى : ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٩/١٩١

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٠/٢١١

أيديهم ثم جآؤوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جآؤوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ [النساء : ٦٠ : ٦٥]." (١)

"ص -٨٣- ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ﴾ [الجمعة : ٢، ٣] .وقد أمر بطاعة الرسول في نحو أربعين موضعا، كقوله تعالى : ﴿قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين ﴾ [آل عمران : ٣٢] ، وقوله تعالى : ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين ﴾ [المائدة : ٩٢] ، وقوله : ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ إلى قوله : ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون ﴾ ، إلى قوله تعالى : ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ﴾ إلى قوله : ﴿أو يصيبهم عذاب إلم ﴾ [النور : ٥٤ ٦٣] ، وقوله تعالى : ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جآؤوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾[النساء : ٦٤، ٦٥] .." (٢)

"ص -٨٧- صلى الله عليه وسلم : " ويحك ! ومن يعدل إذا لم أعدل ؟ ! " وقال : " لقد خبت وخسرت إن لم أعدل " ، أي : إن اتبعت من هو غير عادل فأنت خائب خاسر . وقال : " أيأمنني من في السماء ولا تأمنوني ؟ ! " ، يقول : " إذا كان الله قد ائتمنني على تبليغ كلامه أفلا تأمنوني على أن أؤدي الأمانة إلى الله ؟ " قال تعالى : ﴿وما كان لنبي أن يغل ﴾ [آل عمران : ١٦١] .

وفي الجملة، فالقرآن يوجب طاعته في حكمه وفي قسمه، ويذم من يعدل عنه في هذا أو هذا، كما قال

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣٠٨/٢٣٨

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٤/٢٤٥

تعالى في حكمه : ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ [النساء : ٦٥] ، وقال تعالى : ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إلىك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جآؤوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جآؤوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما ﴾ [النساء : ٦٠ ٦٤] ،." [1]

"كقوله تعالى: (ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم) (١) ، (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما (٦٤)) (٢) ، (ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا) (٣) ، (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) (٤) ، (لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا) (٥) ، (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء) (٦) .الثانية: أن هذا الذي تسميه النحاة شرطا هو في المعنى سبب لوجود الجزاء، وهو الذي تسميه الفقهاء علة ومقتضيا وموجبا ونحو ذلك، فالشرط اللفظي سبب معنوي. فتفطن لهذا، فإنه موضع غلط فيه كثير ممن يتكلم في الأصول والفقه، وذلك أن الشرط في عرف الفقهاء ومن يجري مجراهم من أهل الكلام والأصول وغيرهم هو ما يتوقف تأثير السبب عليه بعد وجود المسبب، وعلامته أنه يلزم من عدمه عدم المشروط، ولا يـلـزم من وجوده وجود المشروط.ثم هو منقسم إلى ما عرف كونه شرطا بالشرع، كقولهم: الطهارة والاستقبال واللباس شرط لصحة الصلاة، والعقل والبلوغ شرط لوجوب الصلاة، فإن وجوب الصلاة على العبد يتوقف على العقل والبلوغ، كما تتوقف صحة الصلاة على الطهارة والستارة واستقبال__________(١) سورة النساء: ٤٦.(٢) سورة النساء: ٦٤.(٣) سورة الأنفال: ٢٧.(٤) سورة الأنعام: ٢٨.(٥) سورة التوبة: ٤٧.(٦) سورة المائدة: ٨١.." [2]

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٠/٢٤٥

(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٣/٣١٦

"على عظم قدره، وأنه لخروجه عن نظائره يعظم درجته ومنزلته.وهذا يدل على أن مثل هذا العمل محبوب لله مرضي، لا يكتفى فيه بمجرد الإباحة والجواز؛ حتى يقال: وإن جاز مقاتلة الرجل حيث يغلب على ظنه أنه يقتل فترك ذلك أفضل.بل الحديث يدل على أن ما فعله هذا يحبه الله ويرضاه، ومعلوم أن مثل هذا الفعل يقتل فيه الرجل كثيرا أو غالبا، وإن كان ذلك لتوبته من الفرار المحرم، فإنه مع هذه التوبة جاهد هذه المجاهدة الحسنة.قال الله تعالى: (ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم (١١٠)) (١) .وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "المهاجر من هجر ما نهى الله عنه" (٢) .فمن فتنه الشيطان عن طاعة الله لم هجر ما نهى الله عنه وجاهد وصبر كان داخلا في هذه الآية. وقد يكون هذا في شريعتنا عوضا عما أمر به بنو إسرائيل في شريعتهم لما فتنوا بعبادة العجل بقوله: (فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم) (٣) .وقال تعالى: (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما (٦٤)) إلى قوله: (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم..) (٤) .ـــــــــــــــ(١) سورة النحل: ١١٠.(٢) سبق تخريجه (ص ٣٤٤) .(٣) سورة البقرة: ٥٤.(٤) سورة النساء: ٦٤-٦٦.." [1]

"﴿ووجد الله عنده﴾ [النور: ٣٩] الوجود: الظفر بحقيقة الشيء، وهو اسم لثلاثة معان، أولها: وجود علم لدني، يقطع علوم الشواهد في صحة مكاشفة الحق إياك، والثاني: وجود الحق وجود عين منقطعا عن مساغ الإشارة، والثالث: وجود مقام اضمحلال رسم الوجود فيه بالاستغراق في الأولية.هذا الباب هو العلم الذي شمر إليه القوم، والغاية التي قصدوها، ولا ريب أنهم قصدوا معنى صحيحا، وعبروا عنه بالوجود، واستدلوا عليه بهذه الآيات ونظيرها، ولكن ليس مقصودهم ما تضمنه الوجدان في هذه الآيات، فإنه وجدان المطلوب تعلق باسم أو صفة، قال الله تعالى ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ [النساء: ٦٤] فهذا وجود مقيد بظفرهم بمغفرة الله ورحمته لهم، وكذلك قوله تعالى ﴿ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما﴾ [النساء: ١١٠] ومعناه: أنه يجد ما ظنه من مغفرة الله له حاصلة، وكذلك ﴿ووجد الله عنده فوفاه حسابه﴾ [النور: ٣٩] فهذا وجدان الكافر لربه عند حسابه له على أعماله، وليس هذا هو الوجود الذي يشير القوم إليه، بل منه الأثر المعروف «ابن آدم، اطلبني تجدني، فإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء، وأنا

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٥/٣٢٢

أحب إليك من كل شيء،» ومنه الحديث «أنا عند ظن عبدي بي،» ومنه الأثر الإسرائيلي: أن موسى قال: يا رب أين أجدك؟ قال: عند المنكسرة قلوبهم من أجلي، ومنه الحديث الصحيح «إن الله تعالى يقول يوم القيامة: عبدي، استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب كيف أطعمك، وأنت رب العالمين؟ قال: استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، عبدي استسقيتك فلم تسقني، قال: يا رب كيف أسقيك، وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما لو سقيته لوجدت ذلك عندي، عبدي مرضت فلم تعدني، قال: يا رب، كيف أعودك وأنت." [١]

"ونظير هذا في الحديث أن زوجته لما توهمت أن ابنة عمه حمزة تحل له لكونها بنت عمه فقطع هذا الربط بقوله إنها لا تحل وذكر للتحريم سببين الرضاعة وكونها ربيبة له وهذا جواب القرافي قال: وهو أصلح من الأجوبة المتقدمة من وجهين أحدهما: "شموله للحديث والآية وبعض الأجوبة لا تنطبق على الآية والثاني أن ورود لو بمعنى إن خلاف الظاهر وما ذكره لا يتضمن خلاف الظاهر" قلت: وهذا الجواب فيه ما فيه فإنه إن ادعى أن لو وضعت أو جيء بها لقطع الربط فغلط فإنها حرف من حروف الشرط التي مضمونها ربط السبب بمسببه والملزوم بلازمه ولم يؤت بها لقطع هذا الارتباط ولا وضعت له أصلا فلا يفسر الحرف بضد موضوعه ونظير هذا قول من يقول: إن إلا قد تكون بمعنى الواو وهذا فاسد فإن الواو للتشريك والجمع وإلا للإخراج وقطع التشريك ونظائر ذلك وإن أراد أن قطع الربط المتوهم مقصود للمتكلم من أدلة فهذا حق ولكن لم ينشأ هذا من حرف لو وإنما جاء من خصوصية ما صحبها من الكلام المتضمن لنفي ما توهمه القائل أو ادعاه ولم يأت من قبل لو فهذا كلام هؤلاء الفضلاء في هذه المسألة وإنما جاء الإشكال سؤالا وجوابا من عدم الإحاطة بمعنى هذا الحرف ومقتضاه وحقيقته وأنا أذكر حقيقة هذا الحرف ليتبين سر المسألة بعون الله لو للملازمة بين أمرين فاعلم أن لو حرف وضع للملازمة بين أمرين يدل على أن الحرف الأول منهما ملزوم الثاني لازم هذا وضع هذا الحرف وطبيعته وموارده في هذه الملازمة أربعة فإنه إما أن يلازم بين نفيين أو ثبوتين أو بين ملزوم مثبت ولازم منفي أو عكسه ونعني بالثبوت والنفي هنا الصوري اللفظي لا المعنوي فمثال الأول: ﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الأنفاق﴾ ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما ولو أنهم

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٣٧٩

فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا﴾ ونظائره ومثال الثاني لو لم تكن ربيبتي في حجري لما حلت." (١)

"٦ – وفي الباب الثالث من القسم الثاني من الشفاء عن محمد بن حميد الرازي، أن مالكا والخليفة المنصور اجتمعا، فسأل المنصور مالكا: أيستقبل القبلة ويدعو أو يستقبل رسول الله – صلى الله عليه وسلم –؟ فأجابه: " ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله يوم القيامه، بل استقبله واستشفع به؛ يشفعه الله فيك. قال الله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ [النساء: ٦٤] ". الكلام على ما ورد في التوسل بالجاه من ناحية الرواية:وللعلماء في الكلام على أمثال هذه الآثار جهتان: جهة السند والرواية، وجهة المعنى والدراية:فأما الرواية؛ فإنه لم يخرج هذه الآثار من يلتزمون الصحة فيما يروون غير الحاكم في " المستدرك "، وقد عاب عليه الحفاظ عدم التزامه الصحة فيه، لاشتماله على الضعاف والواهيات والموضوعات، كما يعلم من كلام الذهبي في " الطبقات " و " الميزان " عند ترجمته، ومن كلام السخاوي في " الضوء اللامع " عند ترجمته لنفسه.وحديث عبد الملك بن هارون في سنده انقطاع، وفيه وفي أبيه مقال، ضعفهما الدارقطني، ووصف عبد الملك بالكذب والوضع، وقال ابن حبان في أبيه هارون: " لا يجوز أن يحتج به، منكر الحديث جدا ". وروح بن صلاح مختلف في تضعيفه وتوثيقه. وعبد الرحمن بن زيد ضعفه علي بن المديني جدا، وقال فيه ابن معين: " ليس بشيء ". وعمرو بن ثابت قال فيه ابن معين: " ليس بشيء، ليس بثقة ولا مأمون "، وقال النسائي: " متروك الحديث "، وقال ابن حبان: " يروي الموضوعات ". ومحمد بن حميد ضعيف موصوف بالكذب وكثرة المناكير. كل هذا من " الميزان ".." (٢)

"الدليل الأولقوله تعالى:وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما (٦٤) ... النساءهذه الآية الكريمة توضح بصراحة: أن الله سبحانه وتعالى ... هو التواب الرحيم ومهما اقترف عباده من الذنوب والخطايا ... ثم رجعوا إليه وأنابوا ... فإنه يتوب عليهم ويغفر لهم ذنوبهم على أن يعزموا على عدم العودة إلى الذنب. ومن

---

(١) بدائع الفوائد ابن القيم ٥٥/١

(٢) رسالة الشرك ومظاهره، مبارك الميلي ص/٣٠٩

رحمته بعباده أنه يدلهم على الطريق الذي إذا سلكوه ... يوصلهم إلى عفوه ومغفرته لأن لكل شيء سببا ففي هذه الآية يدلهم على هذه الأسباب ... فإنه تعالى يخبر في محكم آياته أنه لم يرسل إلى الناس من رسول إلا ليطاع ويستجيبوا لرسالته التي أرسلها إليهم فمن أطاع له عند الله تعالى الدرجات العلى ومن ظلم نفسه بالإعراض ... أو المعصية ... فقد فتح له باب العودة إليه تعالى إنما هذا الطريق له سبل تؤدي إليه فدلهم عليها بقوله جل وعلا: (... ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما).وذلك بأن يحضروا إلى الرسول الأعظم – صلى الله عليه وسلم – ويستغفروا الله في مجلسه ثم يسألوه – صلى الله عليه وسلم – أن يستغفر لهم أيضا وهكذا ... فإن استغفارهم ربهم ثم استغفار الرسول لهم ... يكونان سببا في توبته تعالى عليهم ورحمته بهم.فثبت أن الله تعالى أرشدهم إلى توسلين يستمطرون بهما توبة الله ورحمته.الأول: استغفارهم الله لأنفسهم في مجلس رسول الله – صلى الله عليه وسلم –.الثاني: سؤالهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – أن يستغفر الله لهم فالأول كان توسلا بالأعمال." (١)

"الله – صلى الله عليه وسلم – في المنام وأخبره أنهم سيسقون.حديث الاستسقاء بالعباس:١٠ – روى البخاري في صحيحه من رواية أنس بن مالك – رضي الله عنه –:[أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب – رضي الله عنه – وقال: اللهم كنا نتوسل إليك بنبينا – صلى الله عليه وسلم – فتسقينا وأنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. قال: فيسقون].١١ – حديث عام الفتق:روى الدارمي في مسنده عن أبي الجوزاء قال: قحط أهل المدينة قحطا شديدا فشكوا إلى عائشة رضي الله عنها: فقال انظروا إلى قبر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق.١٢ – حديث توسل الأعرابي بالرسول – صلى الله عليه وسلم – بعد وفاته بثلاثة أيام وحديث العتبي روى أبو الحسن علي بن إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن الكرخي عن علي بن محمد بن علي حدثنا محمد بن الهيثم الطائي حدثنا أبي عن أبيه عن سلمة بن كهيل عن أبي صادق عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – قال: [قدم علينا أعرابي بعدما دفنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بثلاثة أيام فرمى نفسه على قبر النبي – صلى الله عليه وسلم – وحثى على رأسه من ترابه وقال: يا رسول

---

(١) التوصل إلى حقيقة التوسل، محمد نسيب الرفاعي ص/١٤٣

الله قلت فسمعنا قولك ووعيت من الله عز وجل ما وعينا عنك وكان فيما أنزل الله تبارك وتعالى عليك (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما /٦٤/) النساء. وقد ظلمت نفسي وجئتك لتستغفر لي فنودي من القبر أنه غفر لك].١٣ – حديث العتق: روى في الجوهر المنظم أن أعرابيا وقف على القبر الشريف وقال:اللهم إن هذا حبيبك وأنا عبدك والشيطان عدوك فإن غفرت لي سر حبيبك وفاز عبدك وغضب عدوك وإن لم تغفر لي غضب حبيبك ورضي عدوك وهلك." [١]

"الدليل الثالثقوله تعالى:وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما (٦٤) النساءيقول تعالى: (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله) أي فرضت طاعته على من أرسلته إليهم ولا يطيعه إلا من وفقته لذلك وقوله تعالى: (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك ...) الآية ... يرشد تعالى العصاة والمذنبين والكفار والمنافقين ويحضهم أن يأتوا مجلس رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ويستغفروا الله عنده ويسألوا الرسول أن يستغفر لهم فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفرلهم ولهذا قال تعالى (... لوجدوا الله توابا رحيما) هذا هو معنى الآية الكريمة ولا يخفى على القارئ المسلم الكريم أن هذا خاص في حياته – صلى الله عليه وسلم –. وهذه الملاحظة يدركها من قوله تعالى: (**واستغفر لهم الرسول**) وبدهي أن لا يكون الاستغفار منه – صلى الله عليه وسلم – إلا في حال حياته ... لأن الاستغفار وكل عمل للإنسان ينقطع بعد الموت لقوله – صلى الله عليه وسلم –: [إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ... صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له]. ولا شك أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يشمله هذا الحديث لأنه ولا ريب من بني آدم وقد قضى الله عليه الموت والتحق بالرفيق الأعلى ففهم من هذا ... أن ما جاء في هذه الآية من مجيء المذنبين إلى مجلسه واستغفارهم فيه ثم سؤالهم رسول الله أن يستغفر لهم كل هذا خاص في حال حياته ولا علاقة في هذا الحكم لأحد بعد مماته – صلى الله عليه وسلم –." [٢]

"لأن كل عمل من دعاء واستغفار وكلام وسمع وبصر وما يتعلق من صفات الأحياء ينقطع بالموت.وقد جد للصحابة أمور مختلفة بعده كان من الضروري أن يأتوه ويستغفروا الله عنده ثم يسألوه أن يستغفر لهم ... ولكن شيئا من مثل هذا ... لم يحصل ألبتة لعلمهم أنه توفي ... ولم يعد باستطاعته أن

---

(١) التوصل إلى حقيقة التوسل، محمد نسيب الرفاعي ص/٢٠٢

(٢) التوصل إلى حقيقة التوسل، محمد نسيب الرفاعي ص/٢١٣

يعمل شيئا مما كان يستطيعه قبل الوفاة هذا معروف وبدهي عند كل إنسان ناهيك عن المسلمين الذين يقرأون في كتاب الله تعالى: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) وقوله تعالى: (كل نفس ذائقة الموت) وما من أحد من المسلمين يشك في أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد توفي وإلا فمن هذا الذي نزور مسجده بالمدينة ثم نزور قبره ونسلم عليه؟ اللهم أجز عنا نبينا محمدا – صلى الله عليه وسلم – ما هو أهله الأصل في إيراد الدليل والحجة في أي أمر ما هو إثبات صحة ذلك الأمر وإن الذين يقولون بالتوسل إلى الله بذوات المخلوقين أتوا بهذه الآية من جملة حججهم على شرعية التوسل الذين يقولون به.على أننا إذا أنعمنا النظر في معنى الآية الكريمة لا نرى فيها لا تلميحا ولا تصريحا لما ذهبوا إليه. لأن قصدهم منصرف إلى إثبات شرعية التوسل بذوات المخلوقين والآية تبحث بشأن آخر وهو: إن الله يصف فيها واقع حال المنافقين في زمن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقد كانوا يصدون عن متابعة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وإذا احتاجوا إليه في أمر من الأمور يأتون إليه معتذرين ويحلفون: ما أردنا بذهابنا إلى غيرك إلا مداراة ومصانعة لا اعتقادا منا بصحة احتكامنا إلى الطاغوت وقد أمر الله نبيه – صلى الله عليه وسلم – ألا يعنفهم ويكتفي بما ادعوا من ظاهر حالهم ... ثم ينصحهم سرا بقول وكلام بليغ ...هؤلاء هم الذين نزلت في حقهم هذه الآية فقال عز من قائل: (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم) أي ظلموها بنفاقهم وعدم متابعتك (جاءوك) أي جاءوك تائبين من نفاقهم (واستغفروا الله) أي دللوا على توبتهم من نفاقهم بأن جاءوك واستغفروا الله في مجلسك وأمامك (**واستغفر لهم الرسول**) أي سألوك أن." (١)

"عنهم الإيمان حتى يحكموا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولم يثبت أنهم حكموا رسول الله ... بل ثبت أنهم حكموا الطاغوت ومن يحكم الطاغوت ليس مؤمنا فقد ثبت عدم إيمانهم فكيف يأتون رسول الله ويستغفرون الله عنده إلى آخره إذا ثبت عدم مجيئهم إلى الرسول من ثبوت عدم إيمانهم .. وهكذا ثبت أنهم لم يجيئوا فكيف تقيسون مجيئكم إليه – صلى الله عليه وسلم – على عدم مجيء فبهذا تقيسون واقعا على عدم واقع.وبرغم ما تقدم من تحليل صحيح فإننا نقول أن هذه الآية أي قوله تعالى: (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك تفيد أنهم لو جاءوه واستغفروا الله وسألوه رسول الله أن يستغفر لهم الله لغفر الله لهم ولرحمهم ما في ذلك شك إذا تفيد الآية أن من فعل ذلك كان له تلك التوبة والرحمة ولكن متى

---

(١) التوصل إلى حقيقة التوسل، محمد نسيب الرفاعي ص/٢١٤

... ؟ يحصلون على ذلك ولكن إن فعلوا ذلك حال حياته فهل هو الآن حي حتى تذهبوا إليه وتكلموه أن يستغفر لكم الجواب: لا ... لأنه ميت لا يتكلم ولا يستغفر وقد انقطع عمله بموته كما أخبرنا هو – صلى الله عليه وسلم – ... إذا كيف تقيسون حالة موته على حال حياته ... ؟ هل يستقيم قياس بينهما ... ؟ وإننا علمنا أن ذلك خاص في حياته من قوله تعالى: (**واستغفر لهم الرسول**) ولا يستغفر إلا إذا كان حيا ففهم أن الأمر خاص به حال حياته فما أظن أحدا يفهم من الآية ما فهمنا ولم يقل بقولكم من أحد من الصحابة ولا التابعين ولا القرون الخيرة ولا أي من العلماء الذي يسيرون على نهج النبوة.وعلى افتراض أنه بالإمكان استغفار الرسول – صلى الله عليه وسلم – بعد وفاته فليس في الآية ما يدل على دعواكم بجواز التوسل إلى الله بذوات المخلوقين فالآية تدل على التوسل بدعاء الرسول واستغفاره لهم لا على التوسل بذاته وشخصه – صلى الله عليه وسلم – مع العلم أن نزاعنا قائم على جواز التوسل بذوات المخلوقين أو عدم الجواز لا على استغفار الرسول لهم وجوازه أو عدم جوازه إذا فليس في الآية حجة على شرعية التوسل بذوات المخلوقين وعلى هذا: يسقط أيضا احتجاجكم بالآية وتبقى دعواكم بلا دليل وكل دعوى بلا دليل ساقطة ولا قيمة لها وهذا الافتراض الذي افترضناه انقطع بوفاته – صلى الله عليه وسلم – ولم يعد حكمه قائما لانتفاء حياة الرسول." (١)

"١٢ – حديث توسل الأعمروى أبو الحسن علي بن إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن الكرخي عن علي بن محمد بن علي ثنا أحمد بن محمد بن الهيثم الطائي ثنا أبي عن أبيه عن سلمة بن كهيل عن أبي صادق عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – قال:قدم علينا أعرابي بعدما دفنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بثلاثة أيام فرمى نفسه على قبر النبي – صلى الله عليه وسلم – وحثا على رأسه من ترابه وقال: يا رسول الله: قلت فسمعنا قولك ووعيت من الله عز وجل ما وعينا عنك وكان فيما أنزل الله تبارك وتعالى عليك: (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما) وقد ظلمت نفسي وجيتك لتستغفر لي فنودي من القبر: إنه غفر لك.الكلام على متن هذا الحديثإن هذا الحديث ألغامه موجودة في متنه فضلا عن سنده وفيه الطامات ما لا يشك فيه مسلم أنه موضوع مكذوب وذلك من وجوه: 1 – نحن نعلم أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لما توفي دفن في بيت عائشة أم المؤمنين فإذا كان أعرابي فعل ما فعل على الشكل الذي يرويه الحديث فلا بد أنه دخل بيت

---

(١) التوصل إلى حقيقة التوسل، محمد نسيب الرفاعي ص/٢١٦

عائشة وكيف يدخل عليها دونما استئذان؟ لأن الحديث خلو من ذكر الاستئذان وهب أنه استأذن فكيف تمكنه عائشة رضي الله عنها من أن يفعل ما فعل من الإتماء على القبر وحثو التراب منه على رأسه.." (١)

"يدل على أن القرآن تلقاه الصحابة عن رسول الله قبل أن يتلقاه رسول الله عن ربه. وهذا لا يقوله مسلم فاضلا عن صحابي عربي فصيح فاهم بصير ولعله من الدسائس التي يراد منها: أن القرآن من كلام محمد – صلى الله عليه وسلم – والعياذ بالله.ه – ثم قال الأعرابي – فيما يرويه الحديث ... وكان فيما أنزل الله تبارك وتعالى عليك (ولو أنهم ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما) وقد ظلمت نفسي وجئتك لتستغفر لي إن هذه الآية الكريمة تتعلق فيمن يأتيه عليه الصلاة والسلام حال حياته لا بعد وفاته – صلى الله عليه وسلم – نعم حال حياته ليحصل للمستغفر استغفار رسول الله له ولا شك أن استغفاره – صلى الله عليه وسلم – مستجاب فتحصل للمستغفر المغفرة من الله تعالى استغفار رسول الله له أما المجيء إلى قبره – صلى الله عليه وسلم – والسؤال منه أن يستغفر للسائل فهذا محال لأن الرسول – صلى الله عليه وسلم – قد انقطع عمله بوفاته فلم يعد يتحرك أبدا فضلا عن أن يحرك لسانه بالاستغفار أو غيره فهو على ضجعته من يوم أن دفن إلى يومنا هذا وإلي يوم القيامة.أما أن يسمع أو يتكلم أو يصدر عنه أي عمل فلا وقد انقطع عمله نهائيا كما قال هو عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليمات: [إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به وولد صالح يدعو له] ولا شك أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يشمله هذا الحديث لأنه من بني آدم وقد قضى الله عليه بالموت والتحق بالرفيق الأعلى.أما الحياة البرزخية فهي حياة لا يعلمها إلا الله تعالى وليس لها أية علاقة في الحياة الدنيا وليس لها بها أية صلة فهي مستقلة نؤمن بها ولا نعلم ماهيتها وإن ما بين الأحياء والأموات حاجز يمنع الاتصال فيما بينهم قطعيا وعلى هذا فيستحيل الاتصال بينهم لا ذاتا ولا صفات والله سبحانه يقول: (ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون) (١) والبرزخ معناه: الحاجز الذي يحول دون اتصال هؤلاء بهؤلاء لا سيما وأن الله تعالى يقول: (إنك لا تسمع الموتى) (٢) ويقول____________(١) /١٠٠/المؤمنون(٢) /٨٠/ النمل." (٢)

---

(١)

(٢) التوصل إلى حقيقة التوسل، محمد نسيب الرفاعي ص/٢٧٥

"الرواية الثانية:أما الرواية الثانية في المشهورة (بحديث العتبي) ويحسن بي يا أخي أن أثبت لك نص هذه الرواية كما وردت في كتاب (الشامل) لأبي منصور الصباغ بلا إسناد ... .!!.نص رواية حديث العتبي[كنت جالسا عند قبر النبي – صلى الله عليه وسلم –، فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك، فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما)وقد جئتك مستغفرا لذنبي، مستشفعا إلى ربي، ثم أنشأ يقول:يا خير من دفنت في القاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكمنفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم]الكلام على متن هذه الروايةإن في متن هذه الرواية (حديث العتبي) عللا مشتركة مع الرواية الأولى – رواية أبي الحسن الكرخي، وعللا أخرى مختلفة عنها ... فما توافق منها أحلناك يا أخي على إجابتنا على مثلها فيما سبق من تحقيق الرواية الأولى فأرجع إليها إن أعوزك ذلك. وأما ما أختلف عنها وأضطرب، عالجناه وناقشناه على ضوء الشريعة المطهرة.١ – تقول الرواية الأولى: [قدم علينا أعرابي بعدما دفنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بثلاثة أيام، فرمى نفسه فوق القبر وحثا على رأسه من ترابه].بينما تقول (رواية العتبي): [كنت جالسا عند قبر النبي – صلى الله عليه وسلم – فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله ... .]فالعتبي هذا. قال عنه المؤرخون أنه توفى سنة / ٢٢٨ / هجرية فهل يمكن أن يحضر حادثة وقعت بعدما دفن الرسول بثلاثة أيام ... .. ؟!! فهب أنه عاش مائة سنة، فيبقى بينه وبين الحادثة انقطاع مائة وعشرين سنة فهل يمكن أن يحضر." (١)

"واقعة حدثت قبل أن يخلقه الله بمائة وعشر سنين ... ؟!!.وهل تصح روايته الواقعة عنه ... .؟وعلى كل سوف تأتي عند البحث في سند هذا الحديث، على تفصيل تام لترجمة العتبي.٢ – إن الرواية الأولى ورواية العتبي تتفقان في إيراد لفظ تلاوة الأعرابي للآية الكريمة: (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لو جدوا الله توابا رحيما).ولقد أجبنا على استدلالهم بهذه الآية الكريمة على جواز التوسل بذوات المخلوقين من أنه في غير محله، وأنه لا قياس بين حياة الرسول وموته، فما يمكن أيفعله في حياته، قد أنقطع بسبب وفاته. فأرجع يا أخي إلى معالجة ذلك فيما ذكرناه وعالجناه في الرواية الأولى، مع العلم أن هذه الآية الكريمة نزلت في بعض المنافقين، لا من أجل التوسل بذات الرسول – صلى الله عليه وسلم –.٣ – أن رواية العتبي ليس فيها أن الأعرابي رمي نفسه فوق القبر، وحثا على رأسه من

---

(١) التوصل إلى حقيقة التوسل، محمد نسيب الرفاعي ص/٢٨٢

ترابه كما في الرواية الأولى. فهذا اختلاف في اللفظ واضطراب في وصف الحادثة، فلو كان العتبي حاضرا فيها لوصفها كما وصفت في الرواية الأولى فوقوع هذا الاختلاف، والاضطراب بين الروايتين علة طاعنة ومانعة من صحة الحديث والاحتجاج به.٤ – قول الأعرابي في الرواية الأولى: [وقد ظلمت نفسي وجئتك مستغفرا] وقول العتبي أن الأعرابي قال: [وقد جئتك مستغفرا لذنبي مستشفعا بك إلى ربي] ولم يقل: [وقد ظلمت نفسي].وفي الرواية الأولى يقول الأعرابي] وجئتك مستغفرا] وفي رواية العتبي [وقد جئتك مستغفرا لذنبي مستشفعا بك إلى ربي]. إنهما قد ترافقا تقريبا بين العبارتين المتعلقتين بالمجئ من أجل الاستغفار. وجاءت زيادة في رواية العتبي [مستشفعا بك إلى ربي].وهنا يجب الوقوف عند قول الروايتين: [وجئتك مستغفرا] وفي الرواية." [١]

"وقال الشيخ صالح الفوزان في شرحه للأصول الثلاثة (١) شارحا رؤوس الطواغيت : «الثاني : من حكم بغير ما أنزل الله ، هذا يعم كل من حكم بغير ما أنزل الله بين الناس في الخصومات والمنازعات ، حكم بينهم بالقانون أو بعوايد البدو والسلوم التي عليها البدو والقبائل ، وأعرض عن كتاب الله . هذا هو الطاغوت . يحكمون بغير ما أنزل الله، ويدعون أن هذا من الإصلاح والتوفيق بين الناس ، هذا كذب ، الإصلاح لا يكون إلا بكتاب الله ، والتوفيق بين الناس والمؤمنين لا يكون إلا بكتاب الله . ﴿ فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جآؤوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا * أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا* وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جآؤوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما* فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ .وقال في شرحه لنواقض الإسلام (الرابع : من اعتقد أن غير هدي النبي – صلى الله عليه وسلم – أكمل من هديه أو أن حكم غيره أحسن من حكمه ، كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه ، فهو كافر).____________(١) سلسلة شرح الرسائل ، للفوزان ، ص ٣٠٢.." [٢]

"الآية ويحتمل أن يكون عليه السلام أوردها للتفسير أي إنما أمر تعالى بالإعراض عنهم لسبق كلمة الشقاء عليهم أي علمه تعالى بشقائهم وسبق تقدير العذاب لعلمه بأنهم يصيرون أشقياء بسوء اختيارهم

---

(١) التوصل إلى حقيقة التوسل، محمد نسيب الرفاعي ص/٢٨٣

(٢) الإيمان لابن منده ٣٩٥، ص/٢٠

قلت ما احتمله في غاية البعد ع ظاهر السياق مع أنهما ليستا تفسيرا للموجود وكشفا لمعناه وذكر علة الإعراض فيهما لا يجعلهما تفسيرا له بل يجعلهما مربوطا به ثم قال وتركه أي قوله تعالى وعظهم في الخبر إما من النساخ أو لظهوره أو لعدمه في مصحفهم (ع) قلت والأول بعيد لأن العياشي والسياري أيضا أورداه كذلك وكذا الثاني وإلا لم يحتج إلى ذكر تمام الآية.(كز) ٢٣٢. السياري عن الحسين بن سيف عن أبي جنادة الحصين بن المخارق مثله.(كح) ٢٣٣. العياشي عن محمد بن علي عن أبي جنادة مثله إلا أن فيه عن أبي الحسن الأول عن أبيه عليهما السلام الخ.(كط) ٢٣٤. السياري عن يونس عن حمزة بن الربيع عن عبد السلام بن المثنى قال قال أبو عبد الله عليه السلام يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول وظلموا آل محمد حقهم أن تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا.(ل) ٢٣٥. علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك يا علي فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما. هكذا نزلت.(لا) ٢٣٦. ثقة الإسلام عن العدة عن البرقي عن أبيه عن ابن ساباط عن البطائي عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في هذه الآية ثم لا يجدن في أنفسهم حرجا مما قضيت في أمر الولاية ويسلموا لله الطاعة تسليما.(لب) ٢٣٧. السياري عن ابن أسباط عن علي بن أبي حمزة عن أبي بصير." (١)

"ودعائهم إلى بعض عباد الله، يخافونهم ويرجونهم، مع أن هؤلاء العباد المعبودين قد أعلنوا إسلامهم، وأقروا لله بعبوديتهم، وأخذوا يتسابقون في التقرب إليه سبحانه، بالأعمال الصالحة التي يحبها ويرضاها، ويطمعون في رحمته، ويخافون من عقابه، فهو سبحانه يسفه في هذه الآية أحلام أولئك الجاهلين الذين عبدوا الجن، واستمروا على عبادتهم مع أنهم مخلوقون عابدون له سبحانه، وضعفاء مثلهم، لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، وينكر الله عليهم عدم توجيههم بالعبادة إليه وحده، تبارك وتعالى، وهو الذي يملك وحده الضر والنفع، وبيده وحده مقادير كل شيء وهو المهيمن على كل شيء.ومن الغريب أن بعض مدعي العلم اعتادوا الاستدلال بالآيتين السابقتين على ما يلهج به كثير منهم من التوسل بذوات الأنبياء أو حقهم أو حرمتهم أو جاههم، وهو استدلال خاطئ لا يصح حمل الآيتين عليه؛ لأنه لم يثبت شرعا أن هذا التوسل مشروع مرغوب فيه، ولذلك لم يذكروا هذا الاستدلال عن أحد من السلف الصالح، ولا استحبوا التوسل المذكور، بل الذي فهموه منهما أن الله تبارك وتعالى يأمرنا بالتقرب إليه بكل رغبة، والتقدم إليه بك قربة،

---

(١) الشيعة والقرآن، ١/٢٠٦

والتوصل إلى رضاه بكل سبيل.ولكن الله سبحانه قد علمنا في نصوص أخرى كثيرة أن علينا إذا أردنا التقرب إليه أن نتقدم إليه بالإعمال الصالحة التي يحبها ويرضاها، وهو لم يكل تلك الأعمال إلينا، ولم يترك تحديدها إلى عقولنا وأذواقنا، لأنها حينذاك ستختلف وتتباين، وستضطرب وتتخاصم، بل أمرنا سبحانه أن نرجع إليه في ذلك، ونتبع إرشاده وتعليمه فيه، لأنه لا يعلم ما يرضي الله إلا الله وحده، فلهذا كان من الواجب علينا حتى نعرف الوسائل المقربة إلى الله أن نرجع في كل مسألة إلى ما شرعه الله سبحانه، وبينه رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –، ويعني ذلك أن نرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وآله وسلم – وهذا هو الذي وصانا به رسولنا محمد صلوات الله عليه وسلامه حيث قال: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة رسوله». (رواه مالك، والحاكم وحسن إسناده الألباني).الشبهة الثالثة: قوله تبارك وتعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جآؤوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ (النساء:٦٤).* قال الصوفية: يطلب الله – عز وجل – من المؤمنين الذهاب إلى النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – واستغفار الله – عز وجل – عند ذاته الشريفة، وأن ذلك أرجى في قبول استغفارهم.واستدلوا بالحكاية المشهورة التي ذكرت في تفسير ابن كثير عن العتبي قال: كنت جالسا عند قبر النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جآؤوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ (النساء:٦٤). وقد جئتك مستغفرا لذنبي، مستشفعا بك إلى ربي ثم أنشأ يقول:يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكمنفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرمثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيني فرأيت النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – في النوم فقال: «يا عتبي الحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له»والجواب من وجوه:أولا: هذه القصة ضعيفة لم يثبتها أحد ممن أوردها، بل صنيع بعضهم يدل على ضعفها:١ – فالنووي قال في (المجموع شرح المهذب) (٨/ ٢٧٤) وفي آخر منسكه المعروف بـ (الإيضاح): «ومن أحسن ما يقول: ما حكاه أصحابنا عن العتبي مستحسنين له، قال: كنت جالسا عند قبر النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – ...٢ – قال ابن كثير في (تفسيره): «ذكر جماعة منهم الشيخ أبو منصور الصباغ في كتابه الشامل الحكاية المشهورة عن العتبي.٣

- حكاها ابن قدامة في (المغني) بصيغة التمريض وهي تفيد التضعيف. (٣/ ٥٥٧) فقال: "ويروى عن العتبي ... ".." [١]

"تخريج القصة: قال الألباني - رحمه الله - في (الصحيحة٢٩٢٨):أورد البيهقي في (الشعب) بإسناده عن أبي يزيد الرقاشي عن محمد بن روح بن يزيد البصري: حدثني أيوب الهلالي قال: «حج أعرابي فلما جاء إلى باب مسجد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أناخ راحلته فعقلها ثم دخل المسجد حتى أتى القبر ووقف بحذاء وجه رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! جئتك مثقلا بالذنوب والخطايا أستشفع بك على ربك؛ لأنه قال في محكم كتابه: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جآؤوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ (النساء:٦٤) ثم أقبل في عرض الناس وهو يقول:يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكمنفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود◦ والكرمقلت (الألباني): وهذا إسناد ضعيف مظلم لم أعرف أيوب الهلالي ولا من دونه. وأبو يزيد الرقاشي أورده الذهبي في (المقتنى في سرد الكنى) (٢/ ١٥٥) ولم يسمه وأشار إلى أنه لا يعرف بقوله: «حكى شيئا».وأرى أنه يشير إلى هذه الحكاية.وهي منكرة ظاهرة النكارة وحسبك أنها تعود إلى أعرابي مجهول الهوية!. وهي في (ابن كثير) غير معزوة لأحد من المعروفين من أهل الحديث بل علقها على (العتبي) ... وهو غير معروف إلا في هذه الحكاية ويمكن أن يكون هو أيوب الهلالي في إسناد البيهقي. وهي حكاية مستنكرة بل باطلة لمخالفتها الكتاب والسنة ولذلك يلهج بها المبتدعة لأنها تجيز الاستغاثة بالنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وطلب الشفاعة منه بعد وفاته وهذا من أبطل الباطل كما هو معلوم.قال الحافظ ابن عبد الهادي في (الصارم المنكي في الرد على السبكي) (ص ٢١٢): «وهذه الحكاية التي ذكرها ـ يعني السبكي ـ بعضهم يرويها عن العتبي بلا إسناد، وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب الهلالي، وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب بلا إسناد، عن أبي الحسن الزعفراني عن الأعرابي.وقد ذكرها البيهقي في كتاب (شعب الإيمان) بإسناد مظلم عن محمد بن روح بن يزيد البصري حدثني أبوحرب الهلالي ...وفي الجملة؛ ليست الحكاية المذكورة عن الأعرابي مما تقوم به الحجة، وإسنادها مظلم، ولفظها مختلف أيضا، ولو كانت ثابتة لم يكن فيها حجة على مطلوب المعترض، ولا يصلح الاحتجاج بمثل هذه الحكاية، ولا الاعتماد على مثلها عند أهل العلم».فهذه القصة مروية عن

(١) كشف شبهات الصوفية، ص/٧٣

العتبي وعن محمد بن حرب الهلالي وعن أبي الحسن الزعفراني وعن علي بن أبي طالب بإسناد موضوع، كما حقق ذلك الحافظ ابن عبد الهادي، وكلهم يرويها عن أعرابي أنه أتى إلى القبر فقرأ الآية فرأى العتبي في المنام أن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – أتاه وقال له: «الحق بذاك الأعرابي وأخبره أن الله قد غفر له بشفاعتي» وهذا منام لا يحتج به، والأعرابي مجهول لا حجة في فعله لو صح الإسناد إليه، فكيف وإسناد القصة لا تقوم به الحجة.ثانيا: على فرض صحة القصة . وهي غير صحيحة . فإن دليل الصوفية في القصة قول العتبي: «فغلبتني عيني فرأيت النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – في النوم فقال: «يا عتبي الحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له».ومتى كانت الأحلام والرؤى مصدرا من مصادر التشريع؟!!! ولو جاء رجل لأحد هؤلاء الصوفية وقال له: رأيت الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – في الرؤيا يأمرك أن تعطيني بيتك بلا مقابل، فهل سيعطيه بيته بلا مقابل؟ بالطبع لن يفعل؛ لأنها مجرد رؤيا، فكيف يقبلون الدين من الرؤى وهو عند كل مسلم أعز عليه من بيته وماله ووالده وولده والناس أجمعين؟ثالثا: هذه الآية لم تنزل لهذا الغرض مطلقا إنما الآية نزلت في المنافقين الذين كانوا يصدون الناس عن متابعة الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – ويتحاكمون إلى الطاغوت ... فهؤلاء إذا جاءوا النبي واستغفروا الله من نفاقهم في مجلسه، وسألوه أن يعقب على استغفارهم لأنفسهم ... بأن يستغفر الرسول لهم عندها يجدون الله توابا رحيما ... ولكن لم يجيئوا ولم يستغفروا، ولم يستغفر لهم الرسول فما علاقة هذا بواقع الأعرابي الذي جاء رسول الله بعد وفاته وطلب منه وهو ميت أن يستغفر لهم. .؟!!." [١]

"لا علاقة بين الموضوعين؛ بل ولا قياس بين الواقعين لاختلافهما. وليس هناك لفظ عام لا من جهة الآتي ولا الذي يؤتى إليه حتى يقال أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.ولو صح حمل الآية على العموم لصح ذلك في قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم﴾ (الممتحنة:١٢).فلو صح الاستدلال بالآية المذكورة على المجيء إلى قبر النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – لكان هنا من باب أولى ولا أحد يقول بهذا.رابعا: يدعي الصوفية أن العبرة في هذه الآية بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.ولكن هاهنا سؤال: ألم يكن الصحابة من هذا العموم؟!!إذا كان الجواب: نعم. فمن من الصحابة عمل بمقتضى هذا المفهوم الذي

---

(١) كشف شبهات الصوفية، ص/٧٥

تزعمونه؟ لقد تركوا التوسل به – صلى الله عليه وآله وسلم – .كما عند البخاري . ولم يأتوا قبره ولم يثبت عن واحد منهم أنه جاء إلى قبره – صلى الله عليه وآله وسلم – وطلب الاستغفار هناك بعد موته. وهذا يؤكد أن هذا العموم قد انقطع بموته ولو كانت العبرة بالعموم لفعلوه بعد موته – صلى الله عليه وآله وسلم –.وإذا كانت الآية عامة لزم منه أن خير القرون قد عطلوا هذا الواجب وتجاهلوه حتى جاء المتأخرون وعملوا به، أو أن السلف جهلوه وضلوا عنه وفقهه الخلف!!!خامسا: هذا القول فيه مصادمة لقول النبي – صلى الله عليه وآله وسلم –: «لا تجعلوا قبري عيدا» (رواه أبو داود وصححه الألباني)؛ لأنه حينئذ سيكون عيدا للمذنبين كلما أذنبوا.سادسا: مادام أنها ليست من سنة الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – ولا فعل خلفائه الراشدين، وصحابه المكرمين، ولا من فعل التابعين والقرون المفضلة وإنما هي مجرد حكاية عن مجهول، نقلت بسند ضعيف فكيف يحتج بها في عقيدة التوحيد الذي هو أصل الأصول، وكيف يحتج بها وهي تعارض الأحاديث الصحيحة التي نهى فيها – صلى الله عليه وآله وسلم – عن الغلو في القبور والغلو في الصالحين عموما وعن الغلو في قبره والغلو فيه – صلى الله عليه وآله وسلم – خصوصا.* وأما من نقلها من العلماء أو استحسنها فليس ذلك بحجة تعارض بها النصوص الصحيحة وتخالف من أجلها عقيدة السلف فقد يخفى على بعض العلماء ما هو واضح لغيرهم وقد يخطئون في نقلهم ورأيهم وتكون الحجة مع من خالفهم. وما دمنا قد علمنا طريق الصواب فلا شأن لنا بما قاله فلان أو حكاه فلان فليس ديننا مبنيا على الحكايات والمنامات. وإنما هو مبني على البراهين الصحيحة.سابعا: كيف يتجاسر أحد أن يعارض نصوص كتاب الله، وسنة رسوله – صلى الله عليه وآله وسلم – بقول حكاه حاك مستحسنا له، والله سبحانه يقول: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ (النور:٦٣)فطاعة رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – مقدمة على طاعة كل أحد، وإن كان خير هذه الأمة أبا بكر وعمر، كما قال ابن عباس: أراهم سيهلكون، أقول: قال النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – ، وتقولون: نهى أبو بكر وعمر. (رواه الإمام أحمد وصححه الشيخ أحمد شاكر).فكيف لو رأى ابن عباس هؤلاء الناس الذين يعارضون السنة الثابتة، والحجة الواضحة بقول أعرابي في قصة العتبي الضعيفة المنكرة.ثامنا: ما يضير هذا المستغفر إذا توجه إلى الله وتاب من ذنوبه، وطلب من الله المغفرة ... ؟ أو اختار أحد الصالحين الأحياء وكلفه أن يدعو له فلا مانع من ذلك كما طلب عمر من العباس – رضي الله عنهما – أن يستسقي للمسلمين بعد وفاة رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –، ولم يطلب عمر –

رضي الله عنه – من رسول الله بعد وفاته أن يستسقي للمسلمين.ولو كان هذا جائزا لفعله عمر – رضي الله عنه – ولكن لم يفعل ذلك ... لأنه يعلم أن رسول الله التحق بالرفيق الأعلى ولم يعد يستطيع الدعاء وما أشبه ذلك.تاسعا: يقول الله تعالى: (﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جآؤوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ و (إذ) هذه ظرف لما مضى، وليست ظرفا للمستقبل، لم يقل الله – عز وجل –: «ولو أنهم إذا ظلموا» بل قال: ﴿إذ ظلموا﴾ فالآية." [1]

"أدلة المجوزين لدعاء غير الله باسم التوسلفهؤلاء الذين ضارعوا أهل الكفر في أفعالهم ما قالوا تبجحا كما قال أهل الجاهلية من قبل: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾، بل لبسوا الأمر، كما قال تعالى: ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم﴾ [الأنعام:١٢١] فقالوا: نحن نتوسل بهم إلى الله، فغيروا الاسم والمعنى باق لم يتغير وقد كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم زيفهم، فقال: (يأتي زمان على أمتي يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها) وقد يأخذون الرشوة فيسمونها إكرامية أو قهوة، فهو قالب واحد وقد أصل لنا النبي صلى الله عليه وسلم تأصيلا عاما، وهو: إن تغيير الأسماء لا يغير حقائق المسميات، فإن قال المجوزون للتوسل: نحن نتوسل بهم ولا نعبدهم، قلنا: لا، أنتم تعبدونهم ليقربوكم إلى الله زلفى، فإن قالوا: لا إنما نتوسل بهم، وعندنا الأدلة على ذلك، قلنا: ما أدلتكم؟ قالوا: أولا: قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله﴾ [المائدة:٣٥]، فوجه الدلالة من هذه الآية قوله: ((اتقوا الله)) [المائدة:٣٥] والتقوى معناها: فعل المأمور وترك المحظور وهذه بالفعال.الثانية: ((وابتغوا إليه الوسيلة)) أي: بالذوات؛ لأن الأصل في اللغة العربية أن الكلام لا يكرر، فالأصل التأسيس لا التأكيد، فقالوا: أسس أولا: التوسل بالفعال بالتقوى، بفعل المأمور وترك المحظور، ثم أسس أصلا ثانيا وهو التوسل بالذوات، وصرح وقال: ((وابتغوا إليه الوسيلة))، ثم قال: ((وجاهدوا في سبيله)).والآية الثانية قالوا: قال الله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ [النساء:٦٤].فالله جل في علاه يأمر أمرا حاسما على عباده، والأصل في الأمر الوجوب، ((ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم))، وما منا من أحد إلا ويظلم نفسه، فإن العبد خطاء، فقالوا في قوله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ أن (جاءوك) هنا على العموم فتكون جاءوك حيا أو ميتا، فسواء جاءوك حيا فاستغفرت لهم، أو جاءوك ميتا وأنت تسمع كلامهم

(١) كشف شبهات الصوفية، ص/٧٧

ودعاءهم، وتعلم ما هم فيه، فاستغفروا الله وطلبوا منك الاستغفار فإن الله سيغفر لهم.وأما الدليل من السنة.فحديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه وأرضاه: (أن رجلا أعمى جاء إلى رسول صلى، فقال له: يا رسول الله! ادع الله أن يرد علي بصري.فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت لك، فذهب الرجل، فنصحه النبي صلى الله عليه وسلم قال: اذهب فتوضأ، ثم استقبل القبلة، فقل: اللهم إني أسألك بنبيك نبي الرحمة، يا محمد يا نبي الرحمة إني أسأل الله بك، اللهم شفعه في، وشفعني فيه).فدعا الله جل في علاه بهذا الدعاء، فرد الله عليه بصره، قالوا: فهذا الرجل قد توسل بالنبي.ووجه الشاهد قوله: أسألك بنبيك.أي: بذات نبيك، فإن هذا هو الأصل، والقاعدة عندنا وعندكم: أن الأصل في اللفظ يبقى على ظاهره حتى تأتي قرينة تصرفه من الظاهر إلى المؤول.إن أهل الجاهلية صرفوا الدعاء الذي هو عبادة لغير الله وقالوا: نحن نعبدهم، ولكن ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، فقلنا لهم: إن النبي صلى الله عليه وسلم وضح بأن هذا من الكفر.أما أهل جاهلية العصر فقد فعلوا ما فعل أهل الجاهلية لكنهم اختبئوا وقالوا: نحن لا نعبد إلا الله، لكنا نتخذ وسائلا، كما أمرنا الله: ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾ [المائدة:٣٥]، نتقرب بها إلى الله جل في علاه، وعندنا أدلة على ذلك.." (١)

"الرد على المجوزين لدعاء الأولياء باسم التوسلفيرد عليهم من وجوه: الأول: في هذه الآية نحن نوافقكم على التقعيد الذي قعدتموه في هذه الآية، ودائما أهل البدع -كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - لهم رونق في الكلام، فيؤثرون على الناس بحلو الكلام، وأيضا لهم تقعيدات علمية.فقد قعدوا قاعدة نحن نتفق عليها معهم، وهي: أن الأصل في الكلام التأسيس لا التأكيد، فنقول لهم: هذه القاعدة نحن نوافقكم عليها، لكن لا نوافقكم على التطبيق، فقد قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ [البقرة:٢٧٨] فالتقوى تأتي منفردة وتأتي مجتمعة، فإذا أتت منفردة فلها معنى، وإذا أتت مجتمعة مع الأمر بالطاعات فلها معنى آخر.فإذا جاءت منفردة فهي: ترك المحظور وفعل المأمور، أما إذا جاءت مجتمعة مع الأمر بالطاعات فيكون الأمر بالطاعات مستقلا بذاته، والتقوى: ترك المحظور.فالتقوى في هذه الآية جاءت مجتمعة مع الأمر بالطاعات، والدليل قوله تعالى بعدها: ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾ [المائدة:٣٥]، فيكون المعنى: انتهوا عن المحظور وافعلوا الطاعات، والذي يدل على ذلك هو التأكيد على فرد من أفراد العموم، وهو قوله تعالى: ((وجاهدوا في سبيله))، فهذا فرد من أفراد العموم، فإن من أفعال الطاعات الصلاة والزكاة

(١) مسائل خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية، محمد حسن عبد الغفار ٧/٤

والجهاد في سبيل الله وقيام الليل وغيرها.فنرى هنا أن هذه الآية ذكرت فيها التقوى مقترنة مع الطاعة، فيكون معناها: ترك المحظور فقط، ولا نوافقكم على ما قلتم من أن معناها: ترك المحظور وفعل المأمور.هذا الوجه الأول من الرد على استدلالهم بهذه الآية، فلا دليل فيها على مسألة التوسل بالذات.الوجه الثاني في الرد عليهم: أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قرئت على الصحابة، فلو كان الفهم الذي فهمتموه قد فهمه رسول الله صلى الله عليه وسلم لبين لنا هذا التفسير، وإلا فقد قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البيان، فإن الله جل في علاه أمره أمرا حازما بقوله: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ [النحل:٤٤]، فلو كان الأمر على ما فهمتم لكان لزاما وواجبا وحتما على رسول الله أن يبين لنا هذا الأمر، فيقول: قول الله تعالى: ((وابتغوا إليه الوسيلة)) أي: بالذات، لكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل ذلك.وأيضا لو فهم الصحابة هذا الفهم كحبر الأمة ابن عباس أو علي بن أبي طالب الفقيه أو عمر بن الخطاب أو أبو بكر رضي الله عنهم لنقل عن واحد منهم ولو بسند ضعيف أنه قال هذا القول، أو فهم هذا الفهم، فنقعد هنا قاعدة وهي: أنه لو كان خيرا لسبقونا إليه، فيكون إذا هذا الفهم فهما خلفيا لا يمكن أن نأخذ به دون الفهم السلفي، وأما الفهم السلفي فهو أن نتوسل لله بالدعاء كما بين النبي صلى الله عليه وسلم، أو أن نتوسل بالله، أي: بذاته أو أسمائه الحسنى أو صفاته العلى أو بفعاله.الوجه الثالث من الرد عليهم: إن الله جل في علاه قد أمر رسوله بالتوحيد، وأمرنا بحفظ جناب التوحيد، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته أيما تحذير من أساليب الشرك وأسبابه، وحسم كل هذه المواد، حتى إنه سمع رجلا يقول: (من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى)، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم من أجل جناب التوحيد، وقال: (بئس خطيب القوم أنت، أجعلتني لله ندا؟) يعني: في الذكر، وهو ما جعل النبي صلى الله عليه وسلم ندا، وإنما جمعهما في ضمير واحد فقط لما قال: ومن يعصهما، فقال: (بئس خطيب الأمة أنت أجعلتني لله ندا؟!) حفظا لجناب التوحيد.ولما جاء إلى القوم وقالوا له: (أنت سيدنا وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا، قال صلى الله عليه وسلم: قولوا بقولكم أو ببعض قولكم، ولا يستهوينكم الشيطان)، وقال صلى الله عليه وسلم: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم) كل ذلك حفظا لجناب التوحيد.فنقول: هذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا وحي الله جل في علاه بين أيدينا لنحفظ جناب التوحيد، فإذا قلنا بقولكم لم نحفظ جناب التوحيد؛ لأنه من اللوازم الباطلة لهذا التفسير: أننا سنتخذ وسائل ووسائط بيننا وبين الله جل في علاه، فنجعل هذا الميت وسيطا بيننا وبين الله، فنذهب إليه

ونقول: يا بدوي! استغفر لي، ويا بدوي! ادع الله أن يرزقني، يا بدوي! ادع الله أن يكشف عني الغمة والكربة، فهذا لازم تفسيركم، فلو أن الرجل ذهب إلى البدوي اليوم وغدا وبعد الغد فإنه سيعتقد في البدوي ما لا يعتقد إلا في الله، فيعتقد أن البدوي هو الذي يكشف عنه الكربات لا سيما إذا أراد الله به فتنة، اللهم اعصمنا من كل الفتن، فإن كثيرا ممن يختبرهم الله من العباد ممن يذهب يدعو عند الميت يستجيب الله لهم الدعاء عند الميت؛ استدراجا منه جل في علاه، فيستهويه الشيطان حتى يعتقد بأن البدوي هو الذي يكشف الكربة، وأن البدوي هو الذي يرزق، ثم بعد ذلك يسجد للبدوي دون الله جل في علاه، فأصبح لهذا التفسير لوازم باطلة، وهو ذريعة إلى الشرك بالله جل في علاه، فيبطل بذلك الاستدلال بهذه الآية على ذلك.الدليل الثاني الذي استدلوا به: قول الله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ [النساء:٦٤].فنقول: هذه الآية لها سبب نزول، وهو: أن الله جل في علاه تكلم عن المنافقين فقال تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك﴾ [النساء:٦٠].فالمنافقون هم الذين أنزل الله فيهم هذه الآية.فإذا قال المخالف: نعم لها سبب نزول ولكن القاعدة الأصولية تقول: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.قلنا: نعم، العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.فإذا قال: إذا أنا آخذ بهذا العموم ((ولو أنهم إذ ظلموا)) فهي تعم المنافقين وغير المنافقين الذين يأتون إلى النبي فيقولون: يا رسول الله! استغفر لنا ربك، فيستغفر لهم فيغفر الله لهم.قلنا: الرد على هذا من خمسة وجوه، ونلخصها في ثلاثة: أولا: إن (إذ) إذ ظرف زمان للماضي، فلا دليل لكم فيه؛ فحيث كانت ظرف زمان للماضي فلا يجوز لكم أن تذهبوا إلا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ليستغفر لكم.الوجه الثاني: صحيح أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، لكن القاعدة الثانية وهي أهم تقول: إن السياق من المفسرات والمقيدات، فسياق الآية وهو قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا﴾ [النساء:٦٠]، فمقدمة الآية عن المنافقين، ومؤخرة الآية قوله تعالى: ﴿فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا﴾ [النساء:٦٣] تتحدث عن المنافقين، فهذا السياق في المقدمة والمؤخرة يبين أن كل هذا الكلام عن المنافقين الذين نافقوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم، فالسياق يقيد هذا العموم ويخصصه؛ لأن السياق حاكم، بل إن بعض العلماء ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية يقولون: إن السياق أقوى في الدلالة من اللفظ نفسه، فالسياق ابتدئ بالكلام عن

المنافقين، وانتهى الكلام عن المنافقين، فدل ذلك على أن هذه الآية تختص بهؤلاء المنافقين، وأنهم لو جاءوا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم واستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما.الوجه الثالث في الرد عليهم: فهم الصحابة، فلو كان ما فهمتوه خيرا لسبقونا إليه.الوجه الرابع: أننا لو فسرنا الآية بتفسيركم هذا للزم من ذلك لوازم باطلة، بل من أبطل الباطل، منها: أن الله يأمر بما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم، فيقول: تعالوا إلى الرسول وهو ميت ليستغفر لكم، والنبي صلى اللہ عليه وسلم قال: (لا تجعلوا قبري وثنا يعبد) وهذا محال؛ ﴿إن هو إلا وحي﴾ [النجم:٤]، فالقرآن والسنة صنوان، قال صلى الله عليه وسلم: (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه)، ويقول تعالى: ﴿ومن أصدق من الله حديثا﴾ [النساء:٨٧]، ويقول: ﴿ومن أصدق من الله قيلا﴾ [النساء:١٢٢]، فلا يمكن أن يأمر بأمر ثم يأتي بالمضاد على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم.واللازم الثاني من اللوازم الباطلة: أنه يهدم جناب التوحيد؛ لأننا لو قلنا بقولكم فإن الإنسان إذا حج أو اعتمر يجوز له أن يذهب إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيقول: السلام عليك يا رسول الله! السلام عليك يا أبا بكر! السلام عليك يا عمر! ثم يرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيقول: يا رسول الله! استغفر لي ربي، وافعل كذا وكذا؛ فأنت من النور مخلوق وأنت وأنت ثم يتذكر قول القائل: فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم فيكون لا حاجة لله؛ لأن كل شيء للنبي صلى الله عليه وسلم، فيتذكر ذلك فيقع في الغلو في رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقع في هدم جناب التوحيد، وفي النهي الذي نهاه النبي صلى بقوله: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم).وأما الرد على الحديث: فلو قالوا: إن قولهم هذا هو ما فهمه الصحابة، وهو أن: عثمان بن عفان في خلافته جاءه رجل أعمى." [1]

"إبطال هذا القياسوالآن نرد على هؤلاء الذي يقولون بالقياس، فهنا فيشبهون علينا، ويقولون: إن عمر جاء النبي صلى الله عليه وسلم وقال له: ادع لي، أليس هذا من خياركم؟ وقال: أبو بكر: ادع لي؟ وفعل ذلك عثمان، وعلي.و A ذلك على الرحب والسعة، ونحن نقبل ذلك، فهم جاءوا إلى رسول الله ليستغفر لهم، ويدعو لهم.قالوا: إذا: فالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته فعل ذلك، وأيضا هو في قبره يفعل ذلك.قلنا: لكنه قد مات، قالوا: لا، بل هو حي في قبره، قلنا: كيف؟ قالوا: إن النبي صلى الله عليه وسلم بين أنه: (ما من أحد يسلم عليه إلا رد الله عليه روحه، فيرد عليه السلام) فما من أحد في مشارق الأرض

---

(١) مسائل خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية، محمد حسن عبد الغفار ٨/٤

ومغاربها إلا ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم، إذا: فلا يمكن أن تخلو ساعة من الساعات في السلام على النبي صلى الله عليه وسلم، فمفهوم هذا الكلام أنه حي في قبره كما كان حيا في حياته فيستغفر لهم، فيجوز للإنسان أن يذهب إلى قبر النبي ويقول: يا رسول الله! استغفر لي، يا رسول الله! ادع الله لي أن يرزقني الولد.وهناك فرق بين أن يقول: يا رسول الله! ارزقني الولد، وبين أن يقول: يا رسول الله! ادع الله أن يرزقني الولد، وهو أن اللفظة الأولى شرك في الربوبية؛ لأنه اعتقد في النبي مالا يعتقد إلا في الله، فاعتقد أن رسول الله يستطيع أن يرزقه الولد، وهذا الأمر إنما هو بيد الله جل في علاه، فهذا شرك في الربوبية.وهو أيضا شرك في الألهية؛ لأن الدعاء عبادة لله، وهنا صرفها لغير الله، وكل عبادة ثبت في الشرع أنها عبادة فصرفها لله توحيد، وصرفها لغير الله شرك، فلو قال: يا رسول الله! ارزقني واغنني واشفني فقد كفر في الإلهية، فالدعاء لا يكون إلا لله قال تعالى: ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية﴾ [الأعراف:٥٥].وأما اللفظة الثانية فهو يقول: نعوذ بالله من الشرك والكفران، وأنا أقول إن الله هو الخالق الرازق المدبر، ولا أدعو غير الله جل في علاه، ولكن أقول: يا رسول الله! ادع الله لي أن يغفر لي؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم حي في قبره كما هو حي في حياته، فقد جاءه كثير من الناس في حياته وقالوا له: استغفر لي، ادع لي، كما في الحديث: (أنه جاءته المرأة التي كانت تتكشف فقالت: يا رسول الله! ادع الله لي، فإني أصرع وأتكشف، فقال: لو شئت دعوت لك)، وهذا إقرار منه.وأيضا عكاشة بن محصن قال: (يا رسول الله! ادع الله لي أن أكون منهم)، ففعل رسول الله ذلك؛ لأنه كان حيا بين أظهرهم، والنبي صلى الله عليه وسلم الآن حي في قبره هم يقولون هذا.فهذا الرجل اتخذ وسيلة لم يشرعها الله جل في علاه، ومع ذلك يقول: إن الله شرعها؛ لأن الله جل وعلا يقول: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ [النساء:٦٤]، ويقول: هذه الوسيلة مشروعة الآن، ونحن نتكلم الآن على هذه المسألة أن فيها قياس الحياة البرزخية على الحياة الدنيوية، فإما أن نقر هذا القياس وإما أن نبطل هذا القياس.فنقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان حيا بين الصحابة وقد مات، والله جل وعلا يقول: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ [الزمر:٣٠]، وقال: ﴿أفإين مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ [آل عمران:١٤٤]، فقالوا: إننا نبين لكم أنه حي في قبره، قلنا: هاتوا، قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي)، وهناك حديث ضعيف يستدلون به أيضا، وهو: (حياتي خير لكم ومماتي خير

لكم)، وهذا حديث باطل، ولكن الحديث الصحيح الذي نقر به هو: (ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه).." [١]

"بطلان قياس الحياة الدنيوية بالحياة البرزخيةنبدأ بقولهم: نحن نقيس حياة النبي صلى الله عليه وسلم البرزخية على الحياة الدنيوية، فنقول: أولا: هذا القياس فاسد الاعتبار؛ لأنه صادم نصا، وهو أن الله سماه ميتا، فلا نصادم هذا ولا نقول: هو حي، بل هو ميت، وإذا قال: بل هو حي في قبره، فنقول له: خصصها وقيدها ولا تطلقها، فقل: حي حياة برزخية، حتى نفرق بينها وبين الحياة الدنيوية.ثانيا: عند تدقيق النظر نجد أن الحياة البرزخية تفارق الحياة الدنيوية، ومن هذه الفوارق أن الحياة الدنيوية أعطى الله للعبد فيه القدرة على أن يشفع ويدعو ويستغفر، وأما الحياة البرزخية فلم يعطه الله ذلك، فقد بين الله أنه أعطاه في الحياة هذا بقوله: ﴿ولو أنهم إذ﴾ [النساء:٦٤]، و (إذ) ظرف للزمان الماضي، أي: ولو أنهم جاءوك وأنت في حياتك، ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول**﴾ [النساء:٦٤]، فالله أعطاك هذه القدرة والقوة على أن تستغفر لهم ويستفيدوا من دعائك، كما قال عكاشة بن محصن: (ادع الله لي)، فأعطونا دليلا من الشرع يبين أن الله أعطى النبي صلى الله عليه وسلم القدرة في أن يستغفر للمؤمنين، أو يدعو للمؤمنين بعد مماته، لا يوجد إلا قوله صلى الله عليه وسلم: (ومماتي خير لكم).وحتى في هذه الخيرية التي تذكرون ليس فيها أي تصريح أنه يستغفر ويدعو ويتوسل لهؤلاء عند ربهم جل في علاه، مع أن هذا الحديث باطل مردود ابتداء، فهذا هو الفارق الأول.الفارق الثاني: أننا لم نجد في الواقع أن النبي صلى الله عليه وسلم استغفر لأحد وهو في قبره، وما رأينا أن أبا بكر ذهب إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ليدعو له، فجاءه في المنام فقال له: لقد جئتني لأستغفر لك فاستغفرت لك، فقبل الله مني هذا الاستغفار.أو عندما أجدبوا ما ذهب عمر فقال: يا رسول الله! إننا نتوسل بك عند ربنا لتمطر السماء، أو ادعو الله لنا لتمطر السماء، وما جاءه النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: قد استغفرت لك وتوسلت لتمطر السماء، فأمطرت السماء، لم يحدث ذلك لا شرعا ولا كونا ولا واقعا، وهذا من الفوارق بين الحياة البرزخية وبين الحياة الدنيوية.الفارق الثالث: إن الحياة البرزخية هي حياة بين الحياة الدنيوية والحياة الأخروية، وقد كتب الله جل في علاه أن العمل في الحياة الدنيوية والحساب في الحياة الأخروية، إلا ما دل الدليل على التخصيص في أن هناك ثمة عمل لبعض الأنبياء في قبورهم، كما رأى النبي صلى الله عليه وسلم موسى

---

(١) مسائل خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية، محمد حسن عبد الغفار ١٦/١٧

يصلي في قبره، وهذه حالة خاصة، وما خرج عن القياس فغيره لا يقاس عليه، والخصوصيات والفضائل لا تعمم، وهذه قاعدة عند المحدثين.فنقول: إن قياس حياة النبي صلى الله عليه وسلم البرزخية على حياته الدنيوية باطل من وجوه: فهو مصادم لشرع الله جل في علاه، وأيضا مصادم للعقل الصحيح، فلا يجوز لأحد أن يقول ذلك، فيسعنا ما وسع الصحابة، فما ذهب أبو بكر يفعل ذلك، ولا عمر ، ولا غيرهما من الأفاضل، ولو كان خيرا لسبقونا إليه، فعدم فعلهم يدل على شيء من اثنين: إما أنهم جهلوا، ولا يمكن أن نقول: إننا علمنا ما جهلوه، وإما أنهم علموا أنه باطل فكفوا عنه، فلا بد أن يسعنا ما وسعهم، وأن نفعل مثل ما فعلوا، ولن نفلح ولن نصلح إلا يفعل ما فعله الأولون (السلف الصالح).إذا: فمن القياسات الباطلة: قياس حياة النبي صلى الله عليه وسلم البرزخية على حياته الدنيوية.فإذا قال للنبي صلى وهو ميت: يا رسول الله! ادع الله أن يستغفر لي، فهذا شرك أصغر؛ لأن عندهم تأويلات.." [١]

"ما ذكرناه آنفا من القول بالتحريف، وبينا من قبل أن عقيدة أولئك الغلاة هي التي دفعتهم إلى ما ذهبوا إليه ونزيد ذلك بيانا بقليل من الأمثلة التي ما أكثرها في هذا التفسير!! نسب للإمام أبي جعفر أنه قال: ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جآؤوك يا على فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما [النساء:٦٤] هكذا نزلت. ثم قال: فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم [النساء:٦٥] (١) وفي سورة الزخرف قال تعالى: ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل [الزخرف: ٥٧ - ٥٩] (٢). وواضح أن الآيات تتحدث عن المسيح، ولكنه يذكر الآية الأخيرة هكذا " إن علي إلا عبد ... " ثم يقول: " فمحي اسمه من هذا الموضع " (٣).وفي سورة محمد يري أن اسم علي أسقط في موضعين ذكرهما في كتابه (٤).¤مع الشيعة الاثني عشرية في الأصول والفروع لعلي السالوس - ص٤٩١ثانيا: الطعن في الصحابة:نتيجة لما ذكرته من التلازم بين القول بالتحريف والطعن في خير أمة أخرجت للناس صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين تحملوا معه أعباء الرسالة ونشرها، والدفاع عنها والتضحية من أجلها بالنفس والأهل والمال والوطن، نتيجة هذا التلازم نرى القمي يقدم على هذا الجرم، فيطعن في الصحابة الأكرمين، ويتهمهم بالكفر والنفاق والإشراك ليصل إلى القول بالتحريف، وإسقاط أسماء الأئمة، واغتصاب الخلافة! ولنذكر بعض الأمثلة:__________(١) ١/ ١٤٢، والآيتان من سورة

---

(١) مسائل خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية، محمد حسن عبد الغفار ١٧/١٧

النساء (٦٤ ـ ٦٥)، والخطاب فيهما للرسول الكريم، فجعله القمي للإمام علي فزاد " يا علي " مرتين، أي أن هذه الزيادة حذفت من القرآن الكريم، وهذا يذكرنا بالفرقة الغرابية ـ من غلاة الشيعة ـ التي قالت بأن الرسالة كانت لعلي فأخطأ جبريل ونزل على محمد!!(٢) الآيات (٥٧ ـ ٥٩).(٣) (٢/ ٢٨٦).(٤) انظر (٢/ ٣٠١ ـ ٣٠٢).." (١)

"ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله [البقرة:١٦٥] قال: فقال: هم أولياء فلان وفلان (١) اتخذوهم أئمة من دون الإمام الذي جعل الله للناس، فلذلك قال الله تبارك وتعالى: ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا إلى قوله: من يتخذ من دون الله أندادا [البقرة:١٦٥ – ١٦٧] قال: ثم قال أبو جعفر: والله يا جابر هم أئمة الظلم وأشياعهم (٢).وفي رواية أخرى: أعداء علي هم المخلدون في النار أبد الآبدين، ودهر الداهرين (٣).وروى عن عبدالله النجاشي قال: سمعت أبا عبدالله يقول: أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا [النساء:٦٣] يعني والله فلانا وفلانا، وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله إلى قوله: توابا رحيما [النساء:٦٤] يعني والله النبي وعليا بما صنعوا، أي لو جاءوك بها يا علي فاستغفروا مما صنعوا، **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما [النساء:٦٤ – ٦٥] ثم قال أبو عبدالله: هو والله علي بعينه ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت على لسانك يا رسول الله يعني به ولاية علي ويسلموا تسليما [النساء:٦٥] لعلي بن أبي طالب (٤).وروى عن أبي عبدالله قال: والله لو أن قوما عبدوا الله وحده لا شريك له، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وحجوا البيت، وصاموا شهر رمضان، ثم لم يسلموا إلينا لكانوا بذلك مشركين.__________(١) يقصد الخلفاء الراشدين الثلاثة، ومن بايعهم.(٢) ((تفسير العياشي)) (١/ ٧٢)، والآيات الكريمة في سورة البقرة من (١٦٥/ ١٦٧)، ومن الواضح أنها تتحدث عن المشركين عبده الأوثان " ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا."، فجعله العياشي: من دون الإمام(٣) ١/ ٧٣.(٤)، (٢) (ا /٢٥٥)، والآيات الكريمة من سورة النساء: من (٦٣ إلى ٦٥)، وقبل هذه الآيات جاء قوله تعالى: وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين

---

(١) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٣٥/٥

يصدون عنك صدودا * النساء:٦١*، فجعل العياشي النفاق لخير الناس بعد الرسول، وهما أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما.." (١)

"﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا (٦٠) وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا (٦١) فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا (٦٢) أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا (٦٣) وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما (٦٤) فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (٦٥)﴾ [النساء: ٦٠ - ٦٥]ولن يتخلوا عنها بالكلام والدغدغة أبدا؛ لأنهم لا يؤمنون بالخلافة الإسلامية أصلا، ولا بوحدة الأمة الإسلامية التي قال الله تعالى عنها: ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ (٩٢) سورة الأنبياءوقد نصبهم أعداء الإسلام علينا ((بالقوة)) ليخدموا مصالحهم ويسحقوا شعوبهم.وقد بين النبي - صلى الله عليه وسلم - حالهمفعن النعمان بن بشير بن سعد، قال: كنا قعودا في المسجد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وكان بشير رجلا يكف حديثه، فجاء أبو ثعلبة، فقال: يا بشير بن سعد، أتحفظ حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الأمراء؟ وكان حذيفة قاعدا مع بشير، فقال حذيفة: أنا أحفظ خطبته، فجلس أبو ثعلبة، فقال حذيفة: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إنكم في النبوة ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكا عاضا، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون جبرية، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة»، ثم سكت" (١)____________(١)
- مسند أبي داود الطيالسي (١/ ٣٤٩) (٤٣٩) صحيح." (٢)

---

(١) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٥٣/٥

(٢) صدق الله العظيم وكذبت النبوءات، علي بن نايف الشحود ص/٨٤

"ثانيا: شبهات حول التوسل وردهاالشبهة الأولى: حديث استسقاء عمر بالعباس رضي الله عنهما:يحتجون على جواز التوسل بجاه الأشخاص وحرمتهم وحقهم بحديث أنس رضي الله عنه قال: ((أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا، فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. قال: فيسقون)) (١).فيفهمون من هذا الحديث أن توسل عمر رضي الله عنه إنما كان بجاه العباس رضي الله عنه، ومكانته عند الله سبحانه، وأن توسله كأنه مجرد ذكر منه للعباس في دعائه، وطلب منه لله أن يسقيهم من أجله، وقد أقره الصحابة على ذلك، فأفاد بزعمهم ما يدعون.وأما سبب عدول عمر رضي الله عنه عن التوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم - بزعمهم – وتوسله بدلا منه بالعباس رضي الله عنه، فإنما كان لبيان جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل ليس غير.وفهمهم هذا خاطئ، وتفسيرهم هذا مردود من وجوه كثيرة أهمها:١ – إن القواعد المهمة في الشريعة الإسلامية أن النصوص الشرعية يفسر بعضها بعضا، ولا يفهم شيء منها في موضوع ما بمعزل عن بقية النصوص الواردة فيه. وبناء على ذلك فحديث توسل عمر السابق إنما يفهم على ضوء ما ثبت من الروايات والأحاديث الواردة في التوسل بعد جمعها وتحقيقها، ونحن والمخالفون متفقون على أن في كلام عمر: ((كنا نتوسل إليك بنبينا .. وإنا نتوسل إليك بعم نبينا)) شيئا محذوفا، لا بد له من تقدير، وهذا التقدير إما أن يكون: (كنا نتوسل بـ (جاه) نبينا، وإنا نتوسل إليك بـ (جاه) عم نبينا) على رأيهم هم، أو يكون: (كنا نتوسل إليك بـ (دعاء) نبينا، وإنا نتوسل إليك بـ (دعاء) عم نبينا) على رأينا نحن.ولا بد من الأخذ بواحد من هذين التقديرين ليفهم الكلام بوضوح وجلاء.ولنعرف أي التقديرين صواب لا بد من اللجوء إلى السنة، لتبين لنا طريقة توسل الصحابة الكرام بالنبي صلى الله عليه وسلم.ترى هل كانوا إذا أجدبوا وقحطوا قبع كل منهم في داره، أو مكان آخر، أو اجتمعوا دون أن يكون معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم دعوا ربهم قائلين: (اللهم بنبيك محمد، وحرمته عندك، ومكانته لديك اسقنا الغيث). مثلا أم كانوا يأتون النبي صلى الله عليه وسلم ذاته فعلا، ويطلبون منه أن يدعو الله تعالى لهم، فيحقق صلى الله عليه وسلم طلبتهم، ويدعو ربه سبحانه، ويتضرع إليه حتى يسقوا؟أما الأمر الأول فلا وجود له إطلاقا في السنة النبوية الشريفة، وفي عمل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، ولا يستطيع أحد من الخلفيين أو الطرقيين أن يأتي بدليل يثبت أن طريقة توسلهم كانت بأن يذكروا في أدعيتهم اسم النبي صلى الله عليه وسلم، ويطلبوا من الله بحقه وقدره عنده ما يريدون. بل الذي نجده بكثرة، وتطفح به كتب السنة هو الأمر الثاني، إذ تبين

أن طريقة توسل الأصحاب الكرام بالنبي صلى الله عليه وسلم إنما كانت إذا رغبوا في قضاء حاجة، أو كشف نازلة أن يذهبوا إليه صلى الله عليه وسلم، ويطلبوا منه مباشرة أن يدعو لهم ربه، أي أنهم كانوا يتوسلون إلى الله تعالى بدعاء الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ليس غير. ويرشد إلى ذلك قوله تبارك وتعالى: وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جآؤوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما [النساء:٦٤]. ___________(١) [٣٧٤٥])) رواه البخاري (١٠١٠).." [1]

"ثم ذكر حكاية بإسناد غريب (١) منقطع رواها عن غير واحد إجازة، قالوا: حدثنا أبو العباس أحمد بن عمر بن دلهات قال: حدثنا أبو الحسن علي بن فهر، ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرح، ثنا أبو الحسن عبد الله بن المنتاب، ثنا يعقوب (٢) بن إسحاق بن أبي إسرائيل، ثنا ابن حميد (٣) قال: ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له مالك: يا أمير المؤمنين، لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله أدب قوما فقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي [الحجرات: ٢] الآية، ومدح قوما فقال إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله [الحجرات: ٣] الآية، وذم قوما فقال إن الذين ينادونك من وراء الحجرات [الحجرات: ٤] الآية، وإن حرمته ميتا كحرمته حيا. فاستكان لها أبو جعفر، فقال: يا أبا عبد الله، أستقبل القبلة وأدعو؟ أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله، قال الله تعالى ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما [النساء: ٦٤]: (٤)....___________(١) لقد بحثت عن رجال هذا الإسناد بدءا من أبي العباس أحمد بن عمر بن دلهات إلى أبي الحسن بن المنتاب في ترتيب المدارك للقاضي عياض، والصلة لابن بشكوال، فلم أقف لأحد منهم على ترجمة، فهو إسناد غريب حقا كما وصفه شيخ الإسلام.(٢) هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن كامجر، قال الدارقطني لا بأس به، ((تاريخ بغداد)) (١٤/ ٢٩١).(٣) قال الذهبي في ((المغني)) (٢/ ٥٧٣): ضعيف لا من قبل حفظه، قال يعقوب بن شيبة: كثير المناكير. وقال البخاري: فيه نظر. وقال النسائي: ليس بثقة. وقال أبوزرعة: يكذب. وقال صالح جزرة: ما رأيت أحذق بالكذب منه ومن ابن الشاذكوني.(٤) قال ابن تيمية في ((مجموع الفتاوى)) (١/

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣/١٣١

٣٥٣): كذب على مالك ليس لها إسناد معروف وهو خلاف الثابت المنقول عنه بأسانيد الثقات في كتب أصحابه.." (١)

"ومعلوم أن هذا لم يأمر به النبي صلى الله عليه وسلم ولا سنه لأمته، ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين لا مالك ولا غيره من الأئمة، فكيف يجوز أن ينسب إلى مالك مثل هذا الكلام الذي لا يقوله إلا جاهل لا يعرف الأدلة الشرعية ولا الأحكام المعلومة بأدلتها الشرعية، مع علو قدر مالك وعظم فضيلته وإمامته، وتمام رغبته في اتباع السنة وذم البدع وأهلها؟ وهل يأمر بهذا أو يشرعه إلا مبتدع؟ فلو لم يكن عن مالك قول يناقض هذا لعلم أنه لا يقول مثل هذا.ثم قال في الحكاية: "استقبله واستشفع به فيشفعك الله". والاستشفاع به معناه في اللغة؛ أن يطلب منه الشفاعة كما يستشفع الناس به يوم القيامة، وكما كان أصحابه يستشفعون به.ومنه الحديث الذي في (السنن) (١) ((أن أعرابيا قال: يا رسول الله! جهدت الأنفس وجاع العيال، وهلك المال، فادع الله لنا فإنا نستشفع ب الله عليك ونستشفع بك على الله. فسبح رسول الله حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، وقال: ويحك أتدري ما تقول؟ شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع به على أحد من خلقه)).وذكر تمام الحديث فأنكر قوله: "نستشفع بالله عليك". ومعلوم أنه لا ينكر أن يسأل المخلوق بالله أو يقسم عليه بالله، وإنما أن يكون الله شافعا إلى المخلوق، ولهذا لم ينكر قوله: "نستشفع بك على الله"؛ فإنه هو الشافع المشفع.وهم – لو كانت الحكاية صحيحة – إنما يجيئون إليه لأجل طلب شفاعته صلى الله عليه وسلم ولهذا قال في تمام الحكاية: ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جآؤوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما [النساء: ٦٤] الآية، وهؤلاء إذا شرع لهم أن يطلبوا منه الشفاعة والاستغفار بعد موته فإذا أجابهم فإنه يستغفر لهم، واستغفاره لهم دعاء منه وشفاعة أن يغفر الله لهم.وإذا كان الاستشفاع منه طلب شفاعته، فإنما يقال في ذلك: (استشفع به فيشفعه الله فيك) لا يقال: فيشفعك الله فيه وهذا معروف الكلام، ولغة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسائر العلماء، يقال: شفع فلان في فلان فشفع فيه. فالمشفع الذي يشفعه المشفوع إليه هو الشفيع المستشفع به، لا السائل الطالب من غيره أن يشفع له، فإن هذا ليس هو الذي يشفع، فمحمد صلى الله عليه وسلم هو الشفيع المشفع، ليس المشفع الذي يستشفع به. ولهذا يقول في دعائه: يا رب شفعني، فيشفعه الله فيطلب من الله سبحانه أن يشفعه لا أن يشفع طالبي

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣/١٥٢

شفاعته، فكيف يقول: واستشفع به فيشفعك الله؟.وأيضا فإن طلب شفاعته ودعائه واستغفاره بعد موته وعند قبره ليس مشروعا عند أحد من أئمة المسلمين، ولا ذكر هذا أحد من الأئمة الأربعة وأصحابهم القدماء، وإنما ذكر هذا بعض المتأخرين قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية– ص١٤٧ــــــــــــــ(١) رواه أبوداود (٤٧٢٦) والطبراني (٢/ ١٢٨) والآجري في ((الشريعة)) (١/ ٢٨٠) من حديث جبير بن مطعم، قال أبو داود والحديث بإسناد أحمد بن سعيد هو الصحيح وافقه عليه جماعة، وقال ابن القيم في ((مختصر الصواعق المرسلة)) (٤٣٤): إسناده حسن، وقال ابن كثير في ((البداية والنهاية)) (١/ ٨): له طريق أخرى عند غير محمد بن إسحاق، وضعفه الألباني في ((ضعيف سنن أبي داود))..." [١]

"١ – استدلالهم على استحباب طلب الاستغفار من الرسول صلى الله عليه وسلم عند قبره بعموم قوله تعالى: ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما [النساء: ٦٤].٢ – استدلالهم على مشروعية التبرك بالمواضع التي صلى فيها الرسول صلى الله عليه وسلم بحديث صلاة الرسول صلى الله عليه وسلم في بيت عتبان بن مالك رضي الله عنه.٣ – استدلالهم على جواز اتخاذ المساجد على القبور بقوله تعالى في قصة أصحاب الكهف: قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا [الكهف: ٢١].وقد يوجد التحريف من قبلهم عن طريق تحريف النصوص المعارضة لهم.مثال ذلك تحريفهم نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ قبره عيدا بقوله عليه الصلاة والسلام: ((لا تجعلوا قبري عيدا)) (١).فقالوا: هذا أمر بملازمة قبره، والعكوف عنده، واعتياد قصده وانتيابه، ونهي أن يجعل بمنزلة العيد الذي يكون من الحول إلى الحول، بل يقصد كل ساعة وكل وقت (٢).وهذا تحريف للمعاني، ومناقضة لما قصده الرسول صلى الله عليه وسلم، وقلب للحقائق (٣).سادسا: إضاعة السنن:من المفاسد في الدين التي يشتمل عليها التبرك الممنوع إضاعة السنن. وهذا من خصائص البدع (ذلك أن القلوب إذا اشتغلت بالبدع أعرضت عن السنن) (٤).ولهذا جاء في الحديث ((ما أحدث قوم بدعة إلا رفع مثلها من السنة)) (٥).ولا شك أن السنن تموت إذا أحييت البدع (لأن الباطل إذا عمل به لزم ترك العمل بالحق، كما في العكس، لأن المحل الواحد لا يشتغل إلا بأحد الضدين) (٦).ثم إن من لم يعطل الفرائض والسنن فستضعف عنايته بها على الأقل، بسبب تعلقه بالبدع.قال شيخ الإسلام ابن تيمية عند سياقه مفاسد

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣/١٥٥

البدع: (ومنها أن الخاصة والعامة تنقص بسببها عنايتهم بالفرائض والسنن، ورغبتهم فيها، فتجد الرجل يجتهد فيها ويخلص وينيب، ويفعل فيه، ما لا يفعله في الفرائض والسنن، حتى كأنه يفعل هذه عبادة، ويفعل الفرائض والسنن عادة ووظيفة، وهذا عكس الدين، فيفوته بذلك ما في الفرائض والسنن من المغفرة، والرحمة، والرقة، والطهارة، والخشوع، وإجابة الدعوة، وحلاوة المناجاة، إلى غير ذلك من الفوائد، إن لم يفته هذا كله فلابد أن يفوته كماله) (٧).هذا ومن الأمثلة على ما يؤدي إليه التبرك الممنوع من إضاعة الواجبات والسنن ما يأتي:١ - التبرك بقبور الأنبياء والصالحين، والعكوف عندها ومجاورتها، ونحو ذلك من المظاهر المبتدعة يشغل عن كثير من الفرائض والواجبات، والسنن المشروعة في الدين.__________(١) رواه أبو داود (٢٠٤٢)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٣/ ٤٩١) (٤١٦٢). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. والحديث سكت عنه أبو داود، وصحح إسناده عبدالحق الإشبيلي في ((الأحكام الصغرى)) (٨٩٢) كما أشار إلى ذلك في المقدمة، والنووي في ((الأذكار)) (١٥٤).(٢) ((إغاثة اللهفان)) لابن القيم (١/ ١٩٢).(٣) ((إغاثة اللهفان)) لابن القيم (١/ ١٩٢، ١٩٣).(٤) ((اقتضاء الصراط المستقيم)) (٢/ ٧٤٠).(٥) رواه أحمد (٤/ ١٠٥) (١٧٠١١) ، مرفوعا من حديث غضيف بن الحارث. قال الهيثمي ((مجمع الزوائد)) (١/ ١٩٣): فيه أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم وهو منكر الحديث. وقال الشوكاني في ((نيل الأوطار)) (٣/ ٣٣٣): في إسناده ابن أبي مريم وهو ضعيف وبقية وهو مدلس.(٦) ((الاعتصام)) للشاطبي (١/ ١١٤).(٧) ((الاقتضاء)) (٢/ ٦١١)، وانظر هذا المرجع (٢/ ٧٤١).." [١]

"كلام مشايخ الصوفية الحقة في الولايةقال المصنف رحمه الله تعالى: [كقول الشيخ أبي سليمان الداراني: إنه ليقع في قلبي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين: الكتاب والسنة].قوله: (النكتة) أي: الفائدة ونحو ذلك، ولذلك عندما نعرض مثلا بعض المنازل التي يعدونها من منازل الفضل إذا عرضناها على الكتاب والسنة وجدناها لا حقيقة لها ولا أصل لها كالدهش والهيمان والسكر المعدودة عندهم من مقدمات الفناء؛ فإن هذا لا يدل عليها شيء من كتاب ولا سنة.قال المصنف رحمه الله تعالى: [وقال أبو القاسم الجنيد رحمة الله عليه: علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يصلح له أن يتكلم في علمنا، أو قال: لا يقتدى به].فمثلا إنسان فقأ عينه لما نظر إلى امرأة، نقول: إن هذا أمر محرم، فلا يجوز أن يفقأ الإنسان عينه؛ لأجل أنه نظر إلى امرأة محرم عليه أن ينظر إليها، فيعاقبه،

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢٠٨/٣

بذلك؛ لأن هذا لم يرد في كتاب الله ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ ولأن هذا إفساد لما وهبه الله عز وجل، وليس من حقه أن يفعل ذلك، مع أن هذا كان غرضه غض البصر ونحو ذلك، فيقول: علمنا هذا -أي علم تهذيب النفوس وعلم أحوال القلوب- لا بد أن يعرض على الكتاب والسنة كسائر أنواع العلوم.قال المصنف رحمه الله تعالى: [وقال أبو عثمان النيسابوري: من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ [النور:٥٤].وقال أبو عمرو بن نجيد: كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل].والوجد: ما يجده السالك في قلبه من رقة وميل إلى المحبة ونحو ذلك، أو منازل من أحوال العباد قد تقع في قلبه فهو ينظر إلى هذه الأحوال ويعرضها على الكتاب والسنة وإذا خالفها كان باطلا.قال المصنف رحمه الله تعالى: [وكثير من الناس يغلط في هذا الموضع فيظن في شخص أنه ولي لله، ويظن أن ولي الله يقبل منه كل ما يقوله ويسلم إليه كل ما يقوله، ويسلم إليه كل ما يفعله وإن خالف الكتاب والسنة، فيوافق ذلك الشخص له، ويخالف ما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم الذي فرض الله على جميع الخلق تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر، وجعله الفارق بين أوليائه وأعدائه، وبين أهل الجنة وأهل النار، وبين السعداء والأشقياء، فمن اتبعه كان من أولياء الله المتقين وجنده المفلحين وعباده الصالحين، ومن لم يتبعه كان من أعداء الله الخاسرين المجرمين، فتجره مخالفة الرسول وموافقة ذلك الشخص أولا إلى البدعة والضلال، وآخرا إلى الكفر والنفاق والعياذ بالله، ويكون له نصيب من قوله تعالى: ﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا * يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا * لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا﴾ [الفرقان:٢٧ - ٢٩]، ومن قوله تعالى: ﴿يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا * وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا * ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا﴾ [الأحزاب:٦٦ - ٦٨].وقوله تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب * إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب * وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار﴾ [البقرة:١٦٥ - ١٦٧].وهؤلاء مشابهون للنصارى الذين قال الله تعالى

فيهم: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾ [التوبة:٣١].وفي مسند الترمذي عن عدي بن حاتم في تفسيره هذه الآية: لما سأل صلى الله عليه وسلم عنها فقال: (ما عبدوهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحرام فأطاعوهم وكانت هذه عبادتهم إياهم).ولهذا قيل في مثل هؤلاء: إنما حرموا الوصول بتضييع الأصول؛ فإن أصل الأصول تحقيق الإيمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فلا بد من الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فلا بد من الإيمان بأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جميع الخلق إنسهم وجنهم، وعربهم وعجمهم، وعلمائهم وعبادهم، وملوكهم وسوقتهم، وأنه لا طريق إلى الله عز وجل لأحد من الخلق إلا بمتابعته باطنا وظاهرا حتى لو أدركه موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء لوجب عليهم اتباعه كما قال تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين * فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ [آل عمران:٨١ – ٨٢].قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما بعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه، وقد قال تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا * وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا * فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا * أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا * وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما * فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ [النساء:٦٠ – ٦٥].وكل من خالف شيئا مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم مقلدا في ذلك من يظن أنه ولي لله فإنه بنى أمره على أنه ولي لله، وأن ولي الله لا يخالف في شيء، ولو كان هذا الرجل من أكبر أولياء الله كأكابر الصحابة والتابعين لهم بإحسان لن يقبل منه ما خالف الكتاب والسنة، فكيف إذا لم يكن كذلك؟! وتجد كثيرا من هؤلاء عمدتهم في

اعتقاد كونه ولياً لله أنه قد صدر عنه مكاشفة في بعض الأمور أو بعض التصرفات الخارقة للعادة مثل أن يشير إلى شخص فيموت، أو يطير في الهواء إلى مكة أو غيرها، أو يمشي على الماء أحيانا، أو يملأ إبريقا من الهواء] أي: إبريقا فارغا يملأه ماء من الهواء من غير محل.يقول المصنف رحمه الله تعالى: [أو ينفق بعض الأوقات من الغيب] بمعنى أنه يخبر بعض الأوقات عن أمور قد تكون غيبية.قال المصنف رحمه الله تعالى: [أو أن يختفي أحيانا عن أعين الناس، أو أن بعض الناس استغاث به وهو غائب أو ميت فرآه قد جاء فقضى حاجته، أو يخبر الناس بما سرق لهم، أو بحال غائب لهم، أو مريض أو نحو ذلك من الأمور، وليس في شيء من هذه الأمور ما يدل على أن صاحبها ولي لله، بل قد اتفق أولياء الله على أن الرجل لو طار في الهواء أو مشى على الماء لم يغتر به حتى ينظر متابعته لرسول صلى الله عليه وسلم وموافقته لأمره ونهيه.وكرامات أولياء الله تعالى أعظم من هذه الأمور، وهذه الأمور الخارقة للعادة وإن كان قد يكون صاحبها ولياً لله فقد يكون عدوا لله] يعني: من صار عندهم من ذلك أشياء يخدعون بها عوامهم، كالبوذيين والهندوس وغيرهم ممن يقوم بأعمال السحر.." (١)

"الحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي -تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذ الحافظ المزي- في كتابه 'الصارم المنكي في الرد على السبكي': (ذكرها الحافظ البيهقي في 'شعب الإيمان' بإسناد مظلم). قال: (ووضع لها بعض الكذابين إسنادا إلى علي رضي الله عنه). وقال أيضا ابن عبد الهادي في 'الصارم المنكي في الرد على السبكي' (ص.٤٣٠): (هذا خبر موضوع، وأثر مختلق مصنوع، لا يصلح الاعتماد عليه، ولا يحسن المصير إليه، وإسناده ظلمات بعضها فوق بعض).وقد أخطأ الإمام النووي -رحمه الله- حيث ذكر هذه القصة وسكت عليها؛ وكان الأولى أن لا يذكرها حتى لا يغر بها القراء ويستشهدوا بها.أقول: كيف تصح هذه القصة وفيها يقول العتبي: جاء الأعرابي إلى قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - وقال له: جئتك مستغفرا من ذنبي. بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو في قبره؟ والله تعالى يقول في كتابه: ﴿ومن يغفر الذنوب إلا الله﴾ (١). أي: لا يغفرها أحد سواه. قال الحافظ ابن عبد الهادي الحنبلي: (ولم يفهم أحد من السلف والخلف من الآية الكريمة: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ (٢)، إلا المجيء إليه

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ياسر برهامي ١١/٤

في حياته – صلى الله عليه وسلم – ليستغفر لهم).وهذه قضية لها علاقة بالعقيدة والتوحيد، فلا يجوز التساهل فيها والسكوت____________(١) آل عمران الآية (١٣٥).(٢) النساء الآية (٦٤).." [(١)]

"﴿ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ (١). (٢)- جاء في طبقات الحنابلة: وكان أحمد إذا نظر إلى نصراني غمض عينيه، فقيل له في ذلك؟ فقال: لا أقدر أنظر إلى من افترى على الله وكذب عليه. (٣)موقفه من الرافضة:- قال الإمام أحمد: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم –. إلى أن قال: ومن ولي الخلافة فأجمع عليه الناس ورضوا به، ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين، فدفع الصدقات إليه جائز براكان أو فاجرا. (٤)- وجاء في البداية والنهاية: قال أحمد حين اجتاز بحمص وقد حمل إلى المأمون في زمن المحنة، ودخل عليه عمرو بن عثمان الحمصي فقال له: ما تقول في الخلافة؟ فقال: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، ومن قدم عليا على عثمان فقد أزرى بأصحاب الشورى لأنهم قدموا عثمان رضي الله عنه. (٥)___________(١) النساء الآية (٦٤).(٢) غاية الأماني (١/ ١٧٩).(٣) الطبقات (١/ ١٢).(٤) المنهاج (١/ ٥٢٩).(٥) البداية (١٠/ ٣٤٢) ونحوه في المنهاج (١/ ٥٣٣ – ٥٣٤).." [(٢)]

"تأويلا﴾ (١). ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ (٢).﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (٦٥)﴾ (٣). وقال تعالى: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين (٨٩)﴾ (٤). وقال تعالى: ﴿وقد آتيناك من لدنا ذكرا (٩٩) من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا (١٠٠) خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا (١٠١)﴾ (٥). وقال تعالى: ﴿فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى (١٢٣) ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى (١٢٤)﴾ (٦) قال ابن عباس: تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما____________(١) النساء الآية (٥٩).(٢) النساء الآية (٦٤).(٣) النساء الآية (٦٥).(٤) النحل الآية (٨٩).(٥) طه الآيات (٩٩ – ١٠١).(٦) طه الآيتان (١٢٣ و١٢٤).." [(٣)]

---

(١) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ٥٧٠/١٠

(٢) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ٢٢/٤

(٣) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ٧٢/٩

"أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا (٦٠) وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا (٦١) فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا (٦٢) أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا (٦٣) وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما (٦٤) فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (٦٥)﴾ (١).أيها السادة! هذه آيات الله وأوامره، قد سمعتموها كثيرا، وقرأتموها كثيرا. ولست الآن بصدد تفسيرها أو شرحها، فهي آيات محكمة صريحة بينة، فيها عبرة لكم وعظة لو تأملتموها، وفكرتم في حالكم من طاعتها أو عصيانها، وفيما يجب عليكم حيالها، وأنتم تحكمون بقوانين لا تمت إلى__________(١) النساء الآيات (٥٩ - ٦٥).." (١)

"أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا (٦٠) وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا (٦١) فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا (٦٢) أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا (٦٣) وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما (٦٤) فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (٦٥)﴾ (١)،وقال تعالى: ﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين (٤٧) وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون (٤٨) وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين (٤٩) أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم__________(١) النساء الآيات (٦٠ - ٦٥) ..." (٢)

---

(١) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ٣٦٥/٩

(٢) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ٤٠٣/٩

"من مميزات هذه الأمة أن جعلت سعادتها في طاعة الرسول صلى الله عليه وسلمقال رحمه الله: [وجعل هذا الميراث يحمله من كل خلف عدوله أهل العلم والدين، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين؛ لتدوم بهم النعمة على الأمة، ويظهر بهم النور من الظلمة، ويحيا بهم دين الله الذي بعث به رسوله، وبين الله بهم للناس سبيله، فأفضل الخلق أتبعهم لهذا النبي الكريم المنعوت في قوله تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾ [التوبة:١٢٨].وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب العالمين، وإله المرسلين، وملك يوم الدين.وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله إلى الناس أجمعين، أرسله والناس من الكفر والجهل والضلال في أقبح خيبة وأسوأ حال، فلم يزل صلى الله عليه وسلم يجتهد في تبليغ الدين وهدى العالمين وجهاد الكفار والمنافقين، حتى طلعت شمس الإيمان، وأدبر ليل البهتان، وعز جند الرحمن، وذل حزب الشيطان، وظهر نور الفرقان، واشتهرت تلاوة القرآن، وأعلن بدعوة الأذان، واستنار بنور الله أهل البوادي والبلدان، وقامت حجة الله على الإنس والجان، لما قام المستجيب من معد بن عدنان صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان، صلاة يرضى بها الملك الديان، وسلم تسليما مقرونا بالرضوان.أما بعد: فإنه لا سعادة للعباد، ولا نجاة في المعاد إلا باتباع رسوله: ﴿ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم﴾ [النساء:١٣]، ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين﴾ [النساء:١٤]، فطاعة الله ورسوله قطب السعادة التي عليه تدور، ومستقر النجاة الذي عنه لا تحور.فإن الله خلق الخلق لعبادته كما قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات:٥٦]، وإنما تعبدهم بطاعته وطاعة رسوله، فلا عبادة إلا ما هو واجب أو مستحب في دين الله، وما سوى ذلك فضلال عن سبيله.ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)، أخرجاه في الصحيحين، وقال صلى الله عليه وسلم في حديث العرباض بن سارية الذي رواه أهل السنن وصححه الترمذي: (إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة).وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره أنه كان يقول في خطبته: (خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة).وقد ذكر الله طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه في نحو من أربعين موضعا من القرآن، كقوله تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد

أطاع الله﴾ [النساء:٨٠]، وقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما * فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ [النساء:٦٤ – ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين﴾ [آل عمران:٣٢]، وقال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ [آل عمران:٣١]، فجعل محبة العبد لربه موجبة لاتباع الرسول، وجعل متابعة الرسول سببا لمحبة الله عبده، وقد قال تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا﴾ [الشورى:٥٢]، فما أوحاه الله إليه يهدي به الله من يشاء من عباده، كما أنه صلى الله عليه وسلم بذلك هداه الله تعالى كما قال تعالى: ﴿قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي﴾ [سبأ:٥٠]، وقال تعالى: ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين * يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم." (١)

"فوائد الدعاء للغير وثمارهقال رحمه الله تعالى: [فالدعاء للغير ينتفع به الداعي والمدعو له، وإن كان الداعي دون المدعو له، فدعاء المؤمن لأخيه ينتفع به الداعي والمدعو له، فمن قال لغيره: ادع لي وقصد انتفاعهما جميعا بذلك كان هو وأخوه متعاونين على البر والتقوى، فهو نبه المسئول وأشار عليه بما ينفعهما، والمسئول فعل ما ينفعهما بمنزلة من يأمر غيره ببر وتقوى، فيثاب المأمور على فعله، والآمر أيضا يثاب مثل ثوابه؛ لكونه دعا إليه، لاسيما ومن الأدعية ما يؤمر بها العبد، كما قال تعالى: ﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾ [محمد:١٩]، فأمره بالاستغفار، ثم قال: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ [النساء:٦٤].فذكر سبحانه استغفارهم، واستغفار الرسول لهم إذ ذاك مما أمر به الرسول، حيث أمره أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات، ولم يأمر الله مخلوقا أن يسأل مخلوقا شيئا لم يأمر الله المخلوق به، بل ما أمر الله العبد أمر إيجاب أو استحباب ففعله هو عبادة لله وطاعة وقربة إلى الله، وصلاح لفاعله وحسنة فيه، وإذا فعل ذلك كان أعظم لإحسان الله إليه، وإنعامه عليه،

(١) شرح باب توحيد الألوهية من فتاوى ابن تيمية، ناصر العقل ٥/١

بل أجل نعمة أنعم الله بها على عباده أن هداهم للإيمان].وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.." (١)

"عدم جواز الذهاب إلى قبر الرسول لطلب الاستغفار منهQ كيف نجيب على من يستدل بقوله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول**﴾ [النساء:٦٤] على جواز الذهاب إلى قبر الرسول وسؤاله أن يدعو الله له بالمغفرة؟A المقصود باستغفار الرسول في حياته فقط، فيجوز أن يذهبوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فيستغفر لهم في حياته، ويدعو لهم في حياته، لكن بعد أن مات لا يجوز أن يطلب منه؛ لأن كان في حياته يقدر على الاستغفار، ولكنه بعد موته لا يستطيع فلا يسأل الإنسان إلا شيئا يقدر عليه، وبالذات أنه فصل بيننا وبينه بحياة أخرى، فنحن في الدنيا وهو في البرزخ صلى الله عليه وسلم؛ ولهذا لا يجوز أن يستغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم، أو أن يطلب منه عند قبره شيء.." (٢)

"أنواع الاستشفاع بالملائكة والنبيينقال رحمه الله تعالى: [والمشركون من هؤلاء قد يقولون: إنا نستشفع بهم أي نطلب من الملائكة والأنبياء أن يشفعوا، فإذا أتينا قبر أحدهم طلبنا منه أن يشفع لنا، فإذا صورنا تمثاله –والتماثيل إما مجسدة وإما تماثيل مصورة كما يصورها النصارى في كنائسهم– قالوا: فمقصودنا بهذه التماثيل تذكر أصحابها وسيرهم، ونحن نخاطب هذه التماثيل ومقصودنا خطاب أصحابها ليشفعوا لنا إلى الله، فيقول أحدهم: يا سيدي فلان، أو يا سيدي جرجس أو بطرس أو يا ستي الحنونة مريم، أو يا سيدي الخليل أو موسى بن عمران أو غير ذلك، اشفع لي إلى ربك، وقد يخاطبون الميت عند قبره: سل لي ربك، أو يخاطبون الحي وهو غائب كما يخاطبونه لو كان حاضرا حيا، وينشدون قصائد، يقول أحدهم فيها: يا سيدي فلان! أنا في حسبك أنا في جوارك، اشفع لي إلى الله، سل الله لنا أن ينصرنا على عدونا، سل الله أن يكشف عنا هذه الشدة، أشكو إليك كذا وكذا، فسل الله أن يكشف هذه الكربة.أو يقول أحدهم: سل الله أن يغفر لي، ومنهم من يتأول قوله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ [النساء:٦٤]، ويقولون: إذا طلبنا منه الاستغفار بعد موته كنا بمنزلة الذين طلبوا الاستغفار من الصحابة، ويخالفون بذلك إجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان

---

(١) شرح باب توحيد الألوهية من فتاوى ابن تيمية، ناصر العقل ٥/١٥

(٢) شرح القواعد المثلى - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ١٧/١

وسائر المسلمين، فإن أحدا منهم لم يطلب من النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته أن يشفع له ولا سأله شيئا، ولا ذكر ذلك أحد من أئمة المسلمين في كتبهم، وإنما ذكر ذلك من ذكره من متأخري الفقهاء، وحكوا حكاية مكذوبة على مالك رضي الله عنه سيأتي ذكرها وبسط الكلام عليها إن شاء الله تعالى]. يقصد بذلك أن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وتابعيهم وأئمة السلف في القرون الثلاثة الفاضلة، لم يكن أحد منهم يأتي إلى قبر النبـي صلى الله عليه وسلم فيسأله شيئا ولا يطلب منه شيئا لا لجلب نفع ولا لدفع ضر، هذا بإجماع أهل التحقيق من المسلمين، مع أن الصحابة تحدث لهم من الكروب والكوارث والمصائب الخاصة والعامة ما يستدعي أن يطلبوا لو كان ذلك مشروعا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله، والمعنى أن الصحابة لم يكونوا يطلبون من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو لهم، فهذه قاعدة عظيمة يجب استصحابها، وهي رد قاطع بين على جميع أهل الأهواء والبدع الذين يمارسون هذه الشركيات عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه لم يرد ولم ينقل عن أحد من الأئمة المعتبرين أنه كان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يجيز الوقوف لدعائه أو يطلب منه شيئا لا من أمر الدين ولا من أمر الدنيا، ولا يطلب منه أن يدعو الله له. بعضهم يقول: نعم، أنا لا أطلب من النبي صلى الله عليه وسلم شيئا؛ لكن أطلب منه أن يدعو الله أن يفرج عن المسلمين مثلا. فنقول: هذا لم يحدث من الأئمة السابقين، بل كانوا إذا حدث أمر يتوجهون إلى القبلة ويدعون الله عز وجل جماعة وأفرادا مع قربهم من القبر. إذا: هذا إجماع على أن السلف لم يكن عندهم شيء من هذه البدع بإطلاق، فضلا عن أن يقروها. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [فهذه الأنواع من خطاب الملائكة والأنبياء والصالحين بعد موتهم عند قبورهم وفي مغيبهم، وخطاب تماثيلهم، هو من أعظم أنواع الشرك الموجود في المشركين من غير أهل الكتاب، وفي مبتدعة أهل الكتاب والمسلمين الذين أحدثوا من الشرك والعبادات ما لم يأذن به الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾ [الشورى:٢١]، فإن دعاء الملائكة والأنبياء بعد موتهم وفي مغيبهم وسؤالهم والاستغاثة بهم والاستشفاع بهم في هذه الحال، ونصب تماثيلهم بمعنى طلب الشفاعة منهم هو من الدين الذي لم يشرعه الله ولا ابتعث به رسولا ولا أنزل به كتابا، وليس هو واجبا ولا مستحبا باتفاق المسلمين، ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا أمر به إمام من أئمة المسلمين، وإن كان ذلك مما يفعله كثير من الناس ممن له عبادة وزهد، ويذكرون فيه حكايات ومنامات، فهذا كله من الشيطان، وفيهم من ينظم القصائد في دعاء الميت والاستشفاع به والاستغاثة، أو يذكر ذلك في ضمن

مديح الأنبياء والصالحين، فهذا كله ليس بمشروع ولا واجب ولا مستحب باتفاق أئمة المسلمين، ومن تعبد بعبادة ليست واجبة ولا مستحبة وهو يعتقدها واجبة أو مستحبة فهو ضال مبتدع بدعة سيئة لا بدعة حسنة باتفاق أئمة الدين، فإن الله لا يعبد إلا بما هو واجب أو مستحب.وكثير من الناس يذكرون في هذه الأنواع من الشرك منافع ومصالح، ويحتجون عليها بحجج من جهة الرأي أو الذوق، أو من جهة التقليد والمنامات ونحو ذلك.وجواب هؤلاء من طريقين: أحدهما: الاحتجاج بالنص والإجماع.والثاني: القياس والذوق والاعتبار ببيان ما في ذلك من الفساد، فإن فساد ذلك راجح على." [1]

"تفنيد ما يروى عن مالك في التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلمالآن سيورد القصة المكذوبة التي أشار إليها الشيخ قبل قليل عن مالك، ويذكر أنها باطلة ولا أصل لها.قال رحمه الله تعالى: [فهذا كله نقله القاضي عياض من كتب أصحاب مالك المعروفة.ثم ذكر حكاية بإسناد غريب منقطع رواها عن غير واحد إجازة، قالوا: حدثنا أبو العباس أحمد بن عمر بن دلهات قال: حدثنا أبو الحسن علي بن فهر قال: حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرح، قال: حدثنا أبو الحسن عبد الله بن المنتاب، قال: حدثنا يعقوب بن إسحاق بن أبي إسرائيل، قال: حدثنا ابن حميد قال: ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له مالك: يا أمير المؤمنين، لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله أدب قوما فقال: ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ [الحجرات:٢] الآية، ومدح قوما فقال: ﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله﴾ [الحجرات:٣] الآية، وذم قوما فقال: ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾ [الحجرات:٤] الآية، وإن حرمته ميتا كحرمته حيا، فاستكان لها أبو جعفر، فقال: يا أبا عبد الله، أستقبل القبلة وأدعو؟ أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله، قال الله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ [النساء:٦٤].قلت: وهذه الحكاية منقطعة؛ فإن محمد بن حميد الرازي لم يدرك مالكا لا سيما في زمن أبي جعفر المنصور، فإن أبا جعفر توفي بمكة سنة (١٥٨هـ)، وتوفي مالك سنة ١٧٩هـ، وتوفي محمد بن حميد الرازي سنة ٢٤٨هـ ولم يخرج من بلده حين رحل في طلب العلم إلا وهو كبير مع أبيه، وهو مع هذا ضعيف عند أكثر أهل الحديث، كذبه أبو زرعة وابن واره.وقال صالح بن محمد الأسدي: ما رأيت أحدا

---

(١) شرح كتاب قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ناصر العقل ٧/٣

أجرأ على الله منه وأحذق بالكذب منه.وقال يعقوب بن شيبة: كثير المناكير.وقال النسائي: ليس بثقة.وقال ابن حبان: ينفرد عن الثقات بالمقلوبات.وآخر من روى الموطأ عن مالك هو أبو مصعب وتوفي سنة ٢٤٢هـ وآخر من روى عن مالك على الإطلاق هو أبو حذيفة أحمد ابن إسماعيل السهمي توفي سنة ٢٥٩هـ.وفي الإسناد أيضا من لا تعرف حاله.وهذه الحكاية لم يذكرها أحد من أصحاب مالك المعروفين بالأخذ عنه، ومحمد بن حميد ضعيف عند أهل الحديث إذا أسند، فكيف إذا أرسل حكاية لا تعرف إلا من جهته؟ هذا إن ثبتت عنه، وأصحاب مالك متفقون على أنه بمثل هذا النقل لا يثبت عن مالك قول له في مسألة في الفقه، بل إذا روى عنه الشاميون كـ الوليد بن مسلم ومروان بن محمد الطاطري ضعفوا رواية هؤلاء، وإنما يعتمدون على رواية المدنيين والمصريين، فكيف بحكاية تناقض مذهبه المعروف عنه من وجوه رواها واحد من الخراسانيين لم يدركه وهو ضعيف عند أهل الحديث؟ مع أن قوله: (وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة)، إنما يدل على توسل آدم وذريته به يوم القيامة، وهذا هو التوسل بشفاعته يوم القيامة، وهذا حق.كما جاءت به الأحاديث الصحيحة حين يأتي الناس يوم القيامة آدم ليشفع لهم، فيردهم آدم إلى نوح، ثم يردهم نوح إلى إبراهيم، وإبراهيم إلى موسى، وموسى إلى عيسى، ويردهم عيسى إلى محمد صلى الله عليه وسلم، فإنه كما قال: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، آدم فمن دونه تحت لوائي يوم القيامة ولا فخر)]..." (١)

"التوسل بطلب الدعاء من الأمواتمما انتشر بين المسلمين اليوم التوسل بدعاء الأموات، فتجد المرء يذهب إلى قبر الولي من أولياء الله الصالحين، فيقول: أنت الآن بين يدي ربك، وأنت لك المكانة عند الله، فادع الله أن يغفر لي.وهذا تعلق به الصوفية عندما قالوا: قال الله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ [النساء:٦٤].فقالوا: إن لك أن تذهب إلى قبر النبي فتقول: يا رسول الله! أنت بين يدي الله جل في علاه وأنت في الجنات الآن، فاستغفر لي عند ربي، وادع الله أن يدخلني الجنة، وادع الله أن يجعلني في الفردوس الأعلى، ويحتجون بقول الله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول**﴾ [النساء:٦٤] فقالوا: هذه الآية فيها دلالة واضحة على التوسل وطلب الدعاء من الأموات.وهذا الكلام لا يصح بحال من الأحوال، وخطؤه بين، إذ إنه: أولا: لم يرد دليل على ذلك من الكتاب ولا من السنة، ولا من فعل الصحابة

---

(١) شرح كتاب قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ناصر العقل ٤/١٩

رضوان الله عليهم.الأمر الثاني: أن الله قد نفى سماع الأموات، ونفى رسول الله أن ينتفع أحد بالأموات، بل الأموات هم الذين ينتفعون بالأحياء.قال الله تعالى ينفي سماع الأموات: ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ [النمل:٨٠].وقال أيضا: ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾ [فاطر:٢٢] فأثبت عدم السماع لهم.ومما يؤيده قول النبي صلى الله عليه وسلم الثابت في الصحيح: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: علم ينتفع به، وولد يدعو له، وصدقة جارية) وليس فيها الدعاء للغير، بل هو الذي يحتاج للدعاء من غيره، فإن الميت إذا مات انقطع عمله، فلا يستطيع أن يتكلم مع ربه، ولا أن يطلب من ربه شيئا، فهذه دلالة واضحة على أن هذه بدعة مميتة.والتوسل بطلب الدعاء من الأموات ذريعة للشرك؛ لأنهم اتخذوا سببا لم يشرعه الله جل في علاه، والقاعدة عند العلماء: أن من اتخذ سببا لم يسببه الله في الكتاب أو في السنة فقد أشرك.والدليل على ذلك: قول الله تعالى: ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾ [الشورى:٢١] فهذه قاعدة جليلة جدا تبين لنا أن ما يصنعونه ذريعة إلى الشرك؛ لأن الإنسان إذا شرع لنفسه فقد تأتيه الهواجس، فيضع نفسه في مقام الربوبية، ولذلك قال العلماء: التوسل بطلب الدعاء من الأموات شرك أصغر.." (١)

"الزيارة البدعية للقبور وصورهاالنوع الثاني من الزيارة: الزيارة البدعية: والزيارة البدعية أصلها مشروع وهيئتها محدثة، فالأصل في زيارة القبور أن يرق فيها القلب، وتدمع بها العين، ويتذكر الموت والآخرة فهذه مشروعة، لكن يأتي أحدهم بهيئة مستحدثة مبتدعة كأن يشد الرحل إلى المقبور لزيارته، كالذين يذهبون إلى البدوي أو إلى أبي العباس، أو إلى أبي الدرداء، فهذا كله يعتبر من البدع المنكرات؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد).فلا يمكن أن تعظم بقعة من بقاع الأرض لأحد فيها ولا لشيء فيها إلا ثلاثة مساجد: المسجد الأقصى، والمسجد النبوي، ومسجد الكعبة.وأيضا من المستحدثات: أن يدخل المرء إلى هذا القبر لبنائه وتعليته، ناهيك عن الكتابات التي تحدث كالمغفور والمرحوم المتصدق وغير ذلك من التفاخر المعلوم، فهذا أيضا من البدع.وإيقاد السرج على القبور من المحدثات التي تجعل الزيارة بدعية.من هذه أيضا: أن يذهب المرء للمقبور ليستغفر لهذا الزائر الذي يدخل عليه، كما يدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فيقول: يا رسول الله! استغفر لي ربي، أو استغفر لي

---

(١) شرح كتاب الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق لابن تيمية – محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٧/٤

ربك.فهذه من الزيارة البدعية أو الشركية؛ لأنها مخالفة لفعل النبي والصحابة والسلف ولا دليل عليها.لكن أبى علينا الذين يفعلون ذلك وقالوا: عندنا أدلة من الكتاب ومن الأثر: أولا: قول الله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ [النساء:٦٤] فهذه الآية فيها دلالة على ما نريد، ووجه الدلالة من هذه الآية أنها على العموم سواء كان حيا أو ميتا.ويرد عليهم في هذا بأن نقول: هناك فارق في اللغة بين إذ وإذا، فإذا ظرف زمان للمستقبل، أما إذ فظرف زمان للماضي، فقول الله جل في علاه: ((ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم)) يعني في الماضي، وقول الله تعالى: ((ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول**)) يعني: حال حياته؛ لأن إذ ظرف زمان للماضي، ويكون معنى الآية: لغفر الله لهم.واستدلوا من الأثر بأن الأعرابي الذي جاء للنبي في قبره وقال: يا رسول الله، إني أقرأ الآيات: ((ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم)) ثم قال: يا رسول الله، استغفر لي الله.فكان هناك من ينام عند قبر النبي فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه في المنام فقال: (اذهب إلى هذا الأعرابي فقل له: قد غفر الله لك)، واحتجوا بهذه القصة.فنقول لهم: أحكام الشرع لا تناط بحال من الأحوال بهذه الرؤيا المنامية، بل أحكام الشرع تناط بقال الله قال رسوله صلى الله عليه وسلم، ناهيك عن أن الصحابة لم يفعلوا ذلك، والتابعون ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين لم يفعلوا ذلك.فثبت أن هذه التوسلات أو هذه الاستدلالات كلها باطلة، وأن هذه الزيارة بدعية، وأن الذي يذهب إلى رسول الله مدعيا حياة النبي نقول له: حياة النبي حياة برزخية لا تقاس على الحياة الدنيوية، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يملك لنفسه شيئا حتى يملك لك شيئا فيستغفر لك الله جل في علاه.ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم لم يبين لأمته أن يذهبوا إلى قبره بعد مماته فيطلبوا منه الاستغفار لهم، ولو كان خيرا لسبقونا إليه، فلما لم يفعلوا دل ذلك على أنه ليس بمشروع.." (١)

"آيات الرجاء في سورة النساءقال: [قال عبد الله بن مسعود: آيات في كتاب الله في سورة النساء خير للمسلمين من الدنيا وما فيها، وهي قول الله عز وجل: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما﴾ [النساء:٣١]] والآية محل نزاع في تأويلها عند أهل العلم.فقال بعض العلماء: شرط مغفرة الصغائر عدم الوقوع في الكبائر، فمثلا قوله عليه الصلاة والسلام: (الوضوء إلى الوضوء،

---

(١) شرح كتاب الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق لابن تيمية - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٨/٧

والجمعة إلى الجمعة، والصلاة إلى الصلاة)، وغير ذلك من المكفرات مثل (ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينها ما اجتنبت الكبائر)، أي: إذا اجتنبت الكبائر، فهذه الأعمال والطاعات وغيرها كفيلة بمغفرة الصغائر ومحوها إذا اجتنبت الكبائر، هذا تأويل.أي: هذه الأعمال لا تكفر الصغائر إلا إذا اجتنبت الكبائر.وبعضهم يقول وهو مذهب جماهير أهل العلم: هذه الأعمال -أي: الصغائر- تكفرها هذه الطاعات وقعت الكبائر أو لم تقع، أي: أنهم يقولون: هذه الطاعات تكفر الصغائر دون الكبائر.قال: [وقوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء:٤٨]، وقوله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ [النساء:٦٤]، وقوله تعالى: ﴿ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما﴾ [النساء:١١٠].قال الحسين: وأنا أقول آية خامسة خير للمسلمين من الدنيا وما فيها هي في سورة النساء كذلك، وهي قوله تعالى: ﴿ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما﴾ [النساء:١٤٧].وعن ابن عمر قال: ما زلنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى سمعنا من نبينا صلى الله عليه وسلم: (﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء:٤٨].قال النبي صلى الله عليه وسلم: وإني ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة).وعن معبد الجهني قال: قلت لـ عبد الله بن عمر: رجل لم يدع شيئا من الخير إلا عمله، إلا أنه كان شاكا؟ قال: هلك ألبتة].فلو أن رجلا لم يعمل سوءا قط، بل كانت كل أعماله خيرا وصلاحا وبرا وتقوى؛ غير أنه كان يشك في الله عز وجل فقد هلك ألبتة، أي: لا ينفعه عمله قط.قال: [قلت: رجل لم يدع من الشر شيئا إلا عمله، غير أنه يشهد أن لا إله إلا الله، قال: عش ولا تغتر].وهذا مثل سائر بين العرب: عش ولا تغتر.وهذا المثل قيل لبدوي كان يريد أن يسافر بإبله ليلا في الصحراء ويقطع المسافات، فظن أن الصحراء لا تخلو من طعام وشراب ليطعم وتطعم دابته ويشرب وتشرب دابته، وظن أن هذا من باب التوكل على الله، فلما سأل الناس عن ذلك، قالوا: عش ولا تغتر، أي: لا تركن إلا إلى أمر يقيني موثوق منه، وأما ظنك أن الصحراء بها طعام وشراب فهذا مجرد ظن وليس يقينا، ولكن اليقين أن طعام الدبة وشرابها بين يديك الآن، فعشها وأطعمها وأسقها، ولا تغتر، أي: لا تقع في أمر مظنون، فإن وجدت في الصحراء طعاما وشرابا فيكون ما قد فعلته في حضرك زيادة في الخير، وإذا انقطع بك السبيل في الصحراء فتكون قد عشيت ولم تغتر.وهكذا قال عبد الله بن عمر وابن عباس وغير واحد لمن تكلم في هذه القضية، والمثل كان معلوم المعنى لدى السامع والمتكلم، أي: افعل الخير وتب

من الذنب ولا تغتر برحمة الله تعالى، فإن رحمك كان بها، وكانت طاعتك زيادة في البر والتقوى، وإن حاسبك الله عز وجل كان عندك من الطاعة ما يؤهل لمغفرة الذنب.." (١)

"إبطال شبه الجهمية بالأدلة الشرعيةيرد على هؤلاء الجهمية وغيرهم بقول الله عز وجل: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما * فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ [النساء:٦٤ - ٦٥]، فقد أخبر الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات الكريمة أنه أرسل الرسل ليطاعوا، وأمر بطاعتهم، وأمر بطلب الاستغفار منهم، ونفى الإيمان عمن لم يحكم الرسول في موارد النزاع أو كان في نفسه حرج من حكم الله ولم يسلم لحكم الله ورسوله تسليما كاملا.ومن الأدلة قول الله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾ [آل عمران:٣١]، فقد بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أن علامة محبة الله اتباع الرسول، فمن اتبع الرسول عليه الصلاة والسلام فهو من أحباب الله، ومن خالف الرسول فهو من أعداء الله، ومن لم ينقد لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فإنه يعمل بإرادة نفسه، وهذا غش للنفس، وهو من الكبر.وإذا كان الذين يقولون: لن نؤمن حتى يكون لنا مثل الرسل كفارا، فكيف بمن قال: إنه أعلى من الرسل؟! ولكن هؤلاء الجهمية -والعياذ بالله- استحوذ عليهم الشيطان فأعرضوا عن النصوص، ولم يعملوا بها، واتخذوها وراءهم ظهريا، ولذلك وصلوا إلى ما وصلوا إليه من الضلال والتيه، نسأل الله السلامة والعافية.وظاهر النصوص، وظاهر كلام العلماء يوحي بأن الجهمية كفار، وأنه ليس معهم من الإيمان أو الدين شيء، ولهذا قال كثير من العلماء -وعلى رأسهم الإمام أحمد رحمه الله-: إن كلام الجهمية يدور على أنه ليس فوق العرش إله ولا رب، وقد رد عليهم الإمام أحمد رحمه الله في رسالة له صغيرة الحجم، لكنها عظيمة المعنى والمتن، تسمى الرد على الزنادقة، أو الرد على الجهمية والزنادقة، وهي رسالة صغيرة مطبوعة، وكثيرا ما ينقلها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وينقل نصوصا منها في كثير من كتبه، حتى إنه ربما نقلها كلها، وفرقها في كتبه، فهي رسالة عظيمة على صغر حجمها.." (٢)

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - حسن أبو الأشبال، حسن أبو الأشبال الزهيري ١٠/٥٤

(٢) دروس في العقيدة - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٧/٤

"منكرو الشفاعة والرد عليهممن الذين أنكروا الشفاعة مصطفى محمود، ومصطفى محمود من المعتزلة، لأن المعتزلة هم الذين أنكروا الشفاعة، وقالوا: لا شفاعة، لكن مع ذلك أثبتوا الشفاعة العظمى ولم ينكروها، وإنما أنكروا الشفاعة لأهل الكبائر، فصاحب الكبيرة عند المعتزلة في منزلة بين المنزلتين، أي: أنه في الدنيا لا كافر ولا مؤمن، أما في الآخرة فهو مخلد في النار.أما الخوارج فقالوا: صاحب الكبيرة كافر في الدنيا والآخرة، وهو مخلد في النار، ولما ناظرهم ابن عباس رجع بثلثي الخوارج.إذا: فالمعتزلة كانوا أجبن عند اللقاء من الخوارج، قالوا: لا نقول كافرا؛ لأنه يقول: لا إله إلا الله، لكن هو في منزلة بين المنزلتين، ويسمى فاسقا في الدنيا، لكن حكمه في الآخرة حكم الكفرة، ولا يمكن أن يكون من أهل الجنان، ولا يمكن أن يشفع له أحد؛ لأن الله نفى الشفاعة عن الكافرين، وهم قد استحقوا الخلود في النار.فإذا قول المعتزلة وقول الخوارج ينبثق عن قولهم واعتقادهم بأن أهل الكبائر من الكفار وليسوا من المسلمين، وهذا منهج فيه العطب، فقد ضيع كثيرا من الشباب في مصر والجزائر والسعودية؛ لعدم انضباطهم الفكري، وعدم تعلمهم علم الدين الصحيح على أصله وأسسه.إذا: نقول: إن الشفاعة التي أنكرها المعتزلة ثابتة بالسنة الناصعة، وقد أجمع عليها أهل السنة والجماعة، وأهل الاعتزال وأهل الخوارج من المبتدعة لا يخرمون ولا يخرقون هذا الإجماع بحال من الأحوال.ويبقى لنا فقط ما قاله المؤلف حيث أتى بحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم يختم به جواز شفاعة المخلوق للمخلوق بما رواه أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا له: (إنا نستشفع بك على الله، وإنا نستشفع بالله عليك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ويحكم! شأن الله أعظم من ذلك، أو قال: إنه لا يستشفع بالله على أحد) أي: لا يستشفع بالله على أحد من خلقه، فهم عندما قالوا: (يا رسول الله! إنا نستشفع بك على الله) أقرهم، ولما قالوا: (إنا نستشفع بالله عليك، قال: شأن الله أعظم، إنه لا يستشفع بالله على أحد) فوجه الدلالة كأنهم يقولون: إنا نستشفع بدعائك في حياتك، وبشفاعتك في عرصات يوم القيامة عند البعث، وهذا فيه رد على الذين يستشفعون بالنبي وهو ميت.إذا: وجه الدلالة أنهم يستشفعون بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم، وهناك آية تثبت ذلك، وهي قوله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك﴾ [النساء:٦٤] أي: يستشفعون بدعائك؛ ﴿فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ [النساء:٦٤]، فاستشفعوا باستغفار ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم.أما إنكار النبي صلى الله عليه وسلم قولهم: (وإنا نستشفع بالله عليك) فلعظم حق الله جل في علاه؛ لأنهم بذلك كأنهم أنزلوا الخالق منزلة المخلوق، وأما المخلوق فممكن أن يذهب زيد ليشفع

لمحمد عند عمرو، وقد يقبل عمرو شفاعة زيد أو يردها، لكن لا يمكن أن يشفع الله عند أحد، ثم هذا المشفوع عنده يقبل كلام الله أو يرده، هذا لا يمكن؛ لأن هذا سوء أدب مع الله؛ ولأن الله هو الحاكم والكل محكوم، والله هو الرب والكل مربوب، والله هو الخالق والكل مخلوق، وإنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون.إذا: الشفاعة كلها يملكها الله جل في علاه، وعباد الله ملك لله جل في علاه، وإذا قضى أمرا فلا أحد يستطيع أن يرد قضاء الله جل في علاه.." (١)

"التوسل بدعاء الأمواتالنوع الأخير: وهو التوسل الشركي المتوسط، فالشرك طرفان ووسط: فالطرف الأول: شرك أكبر مخرج من الملة، والطرف الثاني: مختلف فيه، والخلاف فيه غير سائغ؛ لأنه لا دليل عليه، وهو التوسل بجاه النبي صلى الله عليه وسلم، والوسط هو: التوسل بدعاء الأموات، وهو شرك أصغر، وأما أن يذهب الإنسان إلى الميت فيقول: يا بدوي! فرج كربتي وسد خلتي، أو مدد يا بدوي! فهذا حرام، من النوع الأول، أي: التوسل الشركي.لكنه في هذا النوع المتوسط من أنواع التوسل أصبح يقول: يا بدوي إن روحك طيبة، وأنت الآن عند ربك، وولي من أولياء الله الصالحين، فادع الله أن يغفر لي زلاتي، وأن يرزقني الولد، وأن يشفي مرضاي، فهذا لم يصرف العبادة لغير الله، ولم يقع في الشرك الأكبر، ولا اعتقد في غير الله ما لا يعتقد إلا في الله، ففر من الأمرين: من صرف العبادة لغير الله فلم يقع في الشرك الأكبر، وفر أيضا: من الاعتقاد في غير الله ما لا يعتقد إلا في الله؛ لأنه لا يعتقد أن البدوي يستطيع أنه يشفي مريضه أو يغفر زلاته، ولكن يقول: إن البدوي يسمعني، فأنا أقول له -وهو رجل صالح- ادع الله لي.ودليلهم على جواز مثل ذلك ما يأتي: أولا: أن الأولياء الذي قد ماتوا لهم مكانة عند الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [يونس:٦٢].وقال النبي صلى الله عليه وسلم عن الله في الحديث القدسي: (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب).ثانيا: أن النبي صلى الله عليه وسلم أثبت لنا أن الأموات يسمعون، فالميت يسمعنا ويرد علينا السلام، فيذهب إلى الله بروحه فيدعو الله لنا، والدليل على أن الأموات يسمعون قول النبي صلى الله عليه وسلم: (يا أبا جهل! هل وجدت ما وعد الله حقا؟ يا فلان هل وجدت ما وعد الله حقا؟ فقال له عمر: يا رسول الله! هم أموات أيسمعون؟ قال: هم أسمع منكم اليوم).ومن الأدلة على أن الأموات يسمعون كذلك: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من سلم أو صلى علي رد الله علي روحي فأسلم، أو أرد عليه السلام) فهذه دلالة على أنه صلى الله عليه وسلم

(١) شرح الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، محمد حسن عبد الغفار ١٣/٣

يسمع وهو ميت.ومن الأدلة أيضا: قول النبي صلى الله عليه وسلم (وإن الميت ليسمع قرع نعالهم) وقد قال: عمرو بن العاص عند موته: فقفوا عند قبري مقدار ذبح جزور حتى استأنس بكم.فقالوا: هذه أدلة على أن الأموات الصالحين يسمعوننا، فنحن طلبنا منهم أن يدعوا لنا قياسا على طلب الدعاء من الأحياء، ف عكاشة بن محصن قال: للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله! ادع الله أن أكون منهم، فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم وهو حي يسمع ويدعو فيجوز أن نسأله هو وغيره من الأموات أن يدعو لنا، ونقول: ادع الله لنا يا رسول الله! قال الله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ [النساء:٦٤]، أي: قالوا: يا رسول الله! استغفر لنا، فاستدلوا بالأثر والنظر، وقالوا: هذه أدلة على جواز سؤال الدعاء من الأموات.." [١]

"مذهب أهل السنة في التوسل بدعاء الأموات ومناقشة رأي المجيزين

ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن التوسل بدعاء الأموات شرك، والدليل على ذلك أن عمر استسقى بدعاء العباس ولم يستسق بالميت، وهذا فيه دلالة على عدم الجواز، ولو كان خيرا لسبقونا إليه.

إذا: فالتوسل بدعاء الأموات لا يصح لأدلة منها: أنه لو كان جائزا لعلمه النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه؛ لأن أبا ذر نظر إلى طائر يطير في السماء فقال: هذا الطائر يقلب جناحيه، ولنا في تقليب الجناح علم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما ترك النبي صلى الله عليه وسلم شيئا إلا علمنا إياه، فلو كان التوسل بدعاء الأموات جائزا لعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه، فلما لم يعلمنا ذلك ولم يرد أثر ولا نظر ولا قياس ولا فعل من النبي صلى الله عليه وسلم دل ذلك على أنه لا يصح، وقد علمنا النبي صلى الله عليه وسلم بديلا عن التوسل بدعاء الأموات وهو التوسل بالأعمال الصالحة، وبدعاء الأحياء، ولم يرد عنه التوسل بدعاء الأموات، ولما بين لنا جواز التوسل بدعاء الأحياء، وسكت عن دعاء الأموات دل على أنه غير مشروع.

وهذا هو الدليل على عدم جواز طلب الدعاء من الأموات، فإن لم يستطيعوا الجواب عليه فلابد من الرد على أدلتهم التي استدلوا بها على جواز ذلك، فقد قالوا بجواز دعاء الأموات لأمرين: الأمر الأول: أن لهم جاها عند الله جل في علاه.

الأمر الثاني: أنهم يسمعون من يسألهم.

---

(١) شرح الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، محمد حسن عبد الغفار ١٣/٤

والجواب على الأمر الأول هو: أننا نقر على أن للأموات الصالحين وجاهة عند الله، وهذه الوجاهة لا تنفعكم وإنما تنفعهم هم، فتوسلكم بوجاهتهم عند الله توسل بأجنبي.

وأما الجواب على الأمر الثاني فهو: أن الأموات لا يسمعون، قال الله تعالى: ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾ [فاطر:٢٢]، فنفى الله جل وعلا أن أهل القبور يسمعون، وقوله تعالى: ﴿إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء﴾ [النمل:٨٠]، فنفى سبحانه سماع الموتى، فإن قالوا: أنتم نفيتم ونحن اثبتنا النفي، والقاعدة تقول: إن المثبت يقدم على النافي، فنحن أثبتنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يسمعون قرع النعال) قلنا: اتفقنا معكم على هذا السماع، لكن هذا السماع سماع خاص وليس بعام؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل: يسمعون أحوالكم وكلامكم، وإنما قال: (يسمعون قرع نعالكم)، وقال: يسمعون السلام فقط، فهذا دليل خاص، ودليلنا عام، فلا نحمل العام على الخاص، وإنما يبقى العام على عمومه ويعمل به في عمومه، إلا في حالة واحدة خاصة، والأصل: أن الموتى لا يسمعون بدليل قول الله تعالى: ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾ [فاطر:٢٢]، وقول الله تعالى: ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ [النمل:٨٠]. فالموتى لا يسمعون إلا في حالة واحدة، بينها وأظهرها النبي صلى الله عليه وسلم، وهي: قرع النعال عند الدفن، أو سماع السلام، لكنكم تذهبون وتسألونهم أن يدعوا لكم، وهم لا يسمعون.

وإن سلمنا جدلا أن الموتى يسمعون كلامكم، فأنتم تذهبون إليهم وتقولون: ادعوا الله لنا، وتذهبون للبدوي وتقولون: ادع الله أن يغفر لنا، فإن ما يقوم به الموتى بزعمكم هو عمل، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)، فبطلت مع ذلك حجتكم.

بقي أمر واحد وهو: قياسهم دعاء الأموات على دعاء الأحياء، واستدلالهم بقول: عكاشة: ادع الله لي يا رسول الله! أن يجعلني منهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أنت منهم) وقياسهم دعاء النبي بعد مماته على دعائه بعد حياته؛ لقول الله ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول**﴾ [النساء:٦٤].

فيجاب عليه بالآتي: أولا: هذا القياس قياس فاسد الإعتبار؛ لأنه صادم النصوص.

ثانيا: هذا القياس قياس مع الفارق، والفارق هو: أن الحياة البرزخية لا تقاس على الحياة الدنيوية، والله جل وعلا يبين أنه لا يستوي الأحياء والأموات عموما، وهذه الحياة البرزخية حياة غيبية لا نعلمها، وأنتم قستم

ما علمتم على ما لم تعلموا، فالحياة البرزخية تخالف الحياة الدنيوية، فأصبح قياسكم قياسا مع الفارق، وهو فاسد الاعتبار لا يصح.

فينبغي على من سمع هذه الأدلة ألا يقول: بالتوسل بدعاء الأموات، ولا بجاه النبي صلى الله عليه وسلم، بل التوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى، وبذاته تعالى وأفعاله.." (١)

"ويكون مأخوذا عن تمييز ما يستقبله فربما خرج إلى بعض ما ينكر عليه من لم يعرف حاله ويرجع على نفسه صاحبه إذا سكنت غلبات ما يجده ويكون الذي غلب عليه خوف أو هيبة أو إجلال أو حياء أو بعض هذه الأحوالكما جاء في الحديث عن أبي لبابة بن عبد المنذر حين إستشاره بنو قريظة لما استنزلهم النبي صلى الله عليه وسلم على حكم سعد بن معاذ فأشار بيده إلى حلقة أنه ذبح ثم ندم على ذلك وعلم أنه قد خان الله ورسوله فانطلق على وجهه حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده وقال لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله علي مما صنعتفهذا لما غلب عليه الخوف من الله عز وجل حال بينه وبين أن يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هو الواجب عليه لقول الله عز وجل ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول**﴾ الآيةوليس في الشريعة ارتباط بالسواري والعمدوقال النبي صلى الله عليه وسلم لما أن استبطاه أما لو جاءني لإستغفرت له فأما إذ فعل ما فعل فماأنا بالذي اطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه فلما علم الله صدقه وأن ذلك صدر عنه لغلبة الخوف عليه غفر له فأنزل الله توبته فأطلقه النبي صلى الله عليه وسلمفأبو لبابة رضي الله عنه لما أن غلب عليه الخوف لم يمكنه ملاحظة السبب وهو استغفار الرسول صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم﴾ الآية ولم يمكنه مراعاة الأدب والأدب أن يعتذر إلى من أذنب إليه وهو الرسول صلى الله عليه وسلم." (٢)

"الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات﴾ ١، قال: "كلهم في الجنة"٢.وروي عن أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – في قوله تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ ٣ قال لهم: "ما تقولون فيها؟ قالوا: استقاموا فلم يذنبوا، قال أبو بكر الصديق – رضي الله عنه –: حملتم الأمر على أشده استقاموا لم يرجعوا إلى عباده الأوثان"٤.وروي عن ابن مسعود – رضي الله عنه – أنه قال: "أربع آيات في سورة النساء خير للمسلمين من الدنيا وما فيها قوله تعالى: ﴿إن

---

(١) شرح الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، محمد حسن عبد الغفار ٤/١٤

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف أبو بكر الكلاباذي ص/١١٤

تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما﴾ ٥، وقوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ ٦،وقوله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ ٧، وقوله تعالى: ﴿ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد____________١ فاطر آية (٣٢) .٢ أخرجه ت. تفسير القرآن، سورة الملائكة ٣٦٣/٥ وقال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وأخرجه حم ٧٨/٣، وابن جرير في تفسيره ١٣٧/٢٢، واللالكائي في السنة ١٠٧١/٦، وفي إسناده رجلان لم يسمياه، حيث روى عن الوليد بن العيزار عن رجل من ثقيف عن رجل من كنانة عن أبي سعيد – رضي الله عنه –، وقد أورد ابن كثير روايات عديدة في هذا المعنى منها المرفوع ومنها الموقوف. انظر: تفسير ابن كثير ٥٥٥/٣.٣ فصلت آية (٣٠) .٤ أخرجه ابن جرير من عدة طرق عنه في تفسيره ١١٤/٢٤، واللالكائي في السنة١٠٧١/٦، وقد روى ابن جرير عن عمر بن الخطاب وغيره أن معنى استقاموا أي على الطاعة بفعل المأمور وترك المحظور.٥ النساء آية (٣١) .٦ النساء آية (٤٨) .٧ النساء آية (٦٤) .." [1]

"١٢٤ – فلو أن شعري والجوارح ألسن ... لمدحك كلت عن مقاربة العشر____________وهذا التوسل هو عين دين الإسلام لا يجحده أحد من المسلمين، لكن هذا التوسل في الحقيقة هو التوسل بالأعمال الصالحة، وإن سماه أحد توسلا بالأنبياء والصالحين فلا يتغير حكمه بهذه التسمية، فإن العبرة للمسمى والمعنون لا للاسم والعنوان.(الرابع) التوسل بدعاء النبي – صلى الله عليه وسلم – في حياته كفاحا، وكذلك التوسل بدعاء الصالحين، ومنه قول عمر – رضي الله عنه –: (اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا صلى الله عليه وسلم فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا). ومنه قول أعرابي حين أصابت الناس سنة على عهد النبي – صلى الله عليه وسلم –: (يا رسول الله هلك المال وجاع العيال، فادع الله لنا)، ومنها ما كانت الصحابة – رضي الله عنهم – من أن أحدهم متى صدر منه ما يقتضي التوبة جاء إليه، فقال: يا رسول الله فعلت كذا، وكذا فاستغفر لي، وإليه الإشارة في قوله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾. وهذا أيضا مما لا نزاع فيه لأحد، وعليه يحمل حديث الضرير (اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة) على تقدير ثبوته – قلت: (المحقق)، والصحيح أنه ثابت فقد رواه الترمذي، وأحمد، وغيرهما، وصححه الألباني، والأرناووط

---

(١) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار العمراني ٦٧٤/٣

-، أي بدعاء نبيك، ويدل عليه لفظ فقال "ادع الله" وقوله "اللهم شفعه في".].وأما ما في عبارة الناظم من إطلاق كون النبي - صلى الله عليه وسلم - ذخرا لنا في أمورنا كلها، في الدنيا، والدين، فإنه يحتاج للتقييد بكونه حيا، أو بما ورد به الدليل بعد موته: كنحو رد السلام على المسلم.ولا يفوتني هنا التنبيه على عدم مشروعية التوسل بذات النبي - صلى الله عليه وسلم -، أو بجاهه بعد موته؛ لعدول الصحابة - رضي الله عنهم - عنه، مع وجود المقتضي، وانتفاء الموانع، وتوسلهم بدعاء العباس - رضي الله عنه - للاستسقاء، فدل هذا على أن التوسل المشروع عندهم هو التوسل بدعائه، وبشفاعته، لا السؤال بذاته، ولا بجاهه، ومما يؤكد ذلك دعاء النبي للرجل الأعمى الذي توسل به - صلى الله عليه وسلم - ليرد الله له بصره. وانظر في التوسل: "قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة" لابن تيمية، و" التوصل إلى حقيقة التوسل" لمحمد نسيب الرفاعي، و"التوسل أنواعه، وأحكامه" للشيخ الألباني، و" صيانة الإنسان" للسهسواني، فقد أجاد في بيان أنواع التوسل المشروع، والممنوع، ولولا طول كلامه، وخشية الإطالة لنقلته برمته.." (١)

"وقوله تعالى: ﴿إذ يغشيكم النعاس أمنة منه﴾ [الأنفال: ١١].وقوله تعالى: ﴿ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب﴾ [ص: ٤٣].وقوله تعالى: ﴿نكالا من الله﴾ [المائدة: ٣٨].وقوله تعالى: ﴿وما نرسل بالآيات إلا تخويفا﴾ [الإسراء: ٥٩].وقوله تعالى: ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه (١) وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ [النحل: ٦٤].وقوله تعالى: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾ [النحل: ٨٩].النوع السابع: ما جاء بـ "لو"، كقوله تعالى: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾ [الأعراف: ٩٦].وقوله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ [النساء: ٦٤].وقوله تعالى: ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير﴾ [الشورى: ٢٧].وهي من أصرح الآيات في ذلك.النوع الثامن: ما جاء بـ " لولا "، كقوله تعالى: ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة﴾ [الزخرف: ٣٣].وقوله: ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم﴾ [يونس: ١٩]، [هود: ١١٠]، [فصلت: ٤٥].___________(١) من بداية هذه الآية إلى هنا لم يرد في (ش).." (٢)

---

(١) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد السرمري، جمال الدين ص/١٠٥

(٢) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير ٧/٣٠٦

"ولا ولي، لأن ذلك من الشرك الجلي، إلا أن الدليل القاطع خص عموم النهي بالأموات لقيام المانع، ودل على أن الاستغاثة بالحي الحاضر فيما يقدر عليه وكذلك الاستشفاع، كل منهما جائز من غير منازعة ولا دفاع، وأنهما خارجان من عموم الامتناع.قال الله جل جلاله: ﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه﴾ (القصص: من الآية ١٥) .وقال تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما﴾ (النساء: من الآية ٦٤) .فإن قيل: إذا كانتا من أنواع العبادات، فلم اختص الجواز بالأحياء دون الأموات، والأصل العموم والمساواة؟! (١) .قلنا: لا نسلم بكون صدور ذلك عبادة، ولا يواطئ لسان أحد في ذلك اعتقاده، حتى يتسنى على ذلك الاعتراض، ويلزم الإيراد والانتقاض.وغاية ما في ذلك، ونهاية ما هنالك، لسالكي هذه المسالك، التوصل إلى التوسل بما يقدرون عليه، وبالدعاء لا التوسل بالذوات، وهذا مقدور عليه في الحياة دون الممات، ولو كان هذا أمرا محظورا، وحجرا في حال الحياة محجورا، وشركا برب المشارق والمغارب، وكفرا موردا لسوء العواقب، وموقعا في مهواة المعاطب، لعتب عليه الصلاة والسلام على سواد من قارب، حين طرق قوله أسماعه، فكن لي شفيعا يوم لا ذو____________(١) انظر: صيانة الإنسان ص (٢١١-٢٣٩-٢٤٥) البروق النجدية ص (٨٢-١٤٠) الضياء الشارق ص (٤٥٣و٥٥٣) .." [1]

"ينصر امرأ مسلما في موضع ينقص فيه من عرضه وتهتك فيه حرمته إلا نصره الله في موضع يحب فيه نصرته " وروى مسلم من حديث أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال ملك ولك بمثل" وعنه أيضا أن رسول صلى الله عليه وسلم كان يقول: "دعوة المرىء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به آمين ولك بمثل" رواه مسلم وفي حديث آخر: "أسرع الدعاء إجابة دعوة غائب لغائب" وقد أثنى الله على الذين يثنون على المؤمنين خيرا ويدعون لهم به قال سبحانه وتعالى: ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالأيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ فالدعاء للغير ينتفع به الداعي والمدعو له وان كان الداعي دون المدعو له رتبة، فقد قال صلى الله عليه وسلم لعمر ابن الخطاب رضي الله عنه لما أراد أن يعتمر وودعه لا تنسنا يا أخي من دعائك، فالنبي صلى الله عليه وسلم قد طلب من أمته الدعاء، ولكن ليس ذلك من باب سؤالهم، بل هو كأمره لهم بسائر

---

(١) العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين ابن غنام، حسين ص/١٧١

الطاعات التي يثابون عليها مع أنه عليه الصلاة والسلام له مثل أجورهم في كل ما يعملون لأنه صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كل عليه من الوزر مثل أوزار من تبعه لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا وهو عليه الصلاة والسلام داعي الأمة إلى هدى فله مثل أجورهم، في كل ما اتبعوه فيه، وكذلك إذا صلوا عليه فان الله يصلي على أحدهم عشرا وله صلى الله عليه وسلم مثل أجورهم مع ما يستجيبه الله تعالى من دعائهم له فكذلك الدعاء قد أعطاهم الله أجرهم عليه وصار ما يحصل له به من النفع نعمة من الله عليه، ومن قال لآخر ادع لي وقصد انتفاعهما جميعا بذلك كان هو وأخوه متعاونين على البر والتقوى، فالسائل نبه المسؤول وأشار عليه بما ينفعهما، والمسؤول قد فعل ما هو نفع لهما، فهما بمنزلة من يأمر غيره ببر وتقوى فيثاب المأمور على فعله، والآمر يثاب لكونه دعا إليه، لاسيما إذا فعل من الأدعية ما أمر الله به العبد كما قال: ﴿استغفر لذنبك وللمؤمنين﴾ فأمره بالاستغفار ثم قال: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ فذكر الله استغفار الرسول صلى الله عليه وسلم لهم في ذلك." (١)

"زيارة القبور الشرعية وما ورد في ذلكوأما قولكم (ما يفعل من زيارتها فهو أمر مندوب كما ورد في الخبر الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم "كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها" فيكف يذهب إلى تكفير من يزورها مع رعاية الأدب لاسيما زيارة قبر الشريف، فإنها من أعظم القرب وأرجى الطاعات وفي شرح المختار هي أفضل المندوبات والمستحبات، بل تقرب من درجة الواجبات، وفي مناسك الطرابلسي نقلا عن مناسك الفارسي أنها قريبة الواجب في حق من كان له سعة قال تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ وري الدارقطني وأبو بكر البزار عن النبي صلى الله عليه وسلم " من زار قبري وجبت له شفاعتي" وقال صلى الله عليه وسلم "من جاءني زائرا لا تهمه إلا زيارتي كان حقا علي أن أكون شفيعا له يوم القيامة" أخرجه الدارقطني وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ("لا عذر لمن كان له سعة من أمته ولم يزره") أخرجه الحافظ محمد ابن عساكر وعنه صلى الله عليه وسلم قال: "من حج وزار قبري بعد موتي كمن زارني في حياتي"

---

(١) التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/٢٠٣

أخرجه الدارقطني وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من زارني في المدينة متعمدا كان في جواري إلى يوم القيامة") .فنقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا قد نهى الرجال عن زيارة القبور سدا للذريعة." (١)

"جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا﴾ ١.وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ... ﴾ ٢ إلى قوله: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ ٣ ٤.وقال تعالى: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾ ٥.وقال تعالى: ﴿وقد آتيناك من لدنا ذكرا من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا﴾ ٦.وقال تعالى: ﴿فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ ٧.قال ابن عباس: " تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا ﴿يضل﴾ في الدنيا، ﴿ولا يشقى﴾ في الآخرة.وقال تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الأيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ ٨.فيا عجبا ممن يزعم أن الهداية والسعادة لا تحصل بالقرآن ولا بالسنة، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يهتد إلا بذلك.كما قال تعالى: ﴿قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي إنه سميع قريب﴾ ٩، ثم بعد ذلك يحيلها على قول فلان وفلان.وقال تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ ١٠.والآيات في هذا المعنى كثيرة، فوجب على كل من عقل عن الله أن يكون على بصيرة ويقين في دينه.كما قال تعالى: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ ١١.______________ ١ سورة النساء آية: ٢.١٧٤ سورة النساء آية: ٣.٥٩ سورة النساء آية: ٤.٦٤ سورة النساء آية: ٥.٦٥ سورة النحل آية: ٦.٨٩ سورة آية: ٩٩-٧.١٠١

---

(١) التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/٢٣٢

سورة آية: ١٢٣-١٢٤.٨ سورة الشورى آية: ٩.٥٢ سورة سبأ آية: ١٠.٥٠ سورة الحشر آية: ١١.٧ سورة يوسف آية: ١٠٨.." (١)

"مسرا لهم النصيحة.والثاني: أن معناه قل لهم في معنى أنفسهم، كما يقال: قل لفلان في كيت وكيت، أي: في ذلك المعنى.قلت: وهذا القول أحسن.ثم قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله﴾ ١. قال ابن كثير: أي: إنما فرضت طاعته على من أرسله إليهم. وقال ابن القيم: هذا تنبيه على جلالة منصب الرسالة، وعظم شأنها، وأنه سبحانه لم يرسل رسله عليهم الصلاة والسلام إلا ليطاعوا بإذنه، فتكون الطاعة لهم لا لغيرهم، لأن طاعتهم طاعة مرسلهم، وفي ضمنه أن من كذب رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم فقد كذب الرسل. والمعنى أنك واحد منهم تجب طاعتك، وتتعين عليهم كما وجبت طاعة من قبلك من المرسلين، فإن كانوا قد أطاعوهم كما زعموا وآمنوا بهم، فما لهم لا يطيعونك، ويؤمنون بك؟! والإذن ههنا هو الإذن الأمري لا الكوني، إذ لو كان إذنا كونيا قدريا لما تخلفت طاعتهم، وفي ذكره نكتة وهي أنه بنفس إرساله تتعيىن طاعته، وإرساله نفسه إذن في طاعته، فلا تتوقف على نص آخر سوى الإرسال بأمر فيه بالطاعة، بل متى تحققت رسالته، وجبت طاعته. فرسالته نفسها متضمنة للإذن في الطاعة. ويصح أن يكون الإذن ههنا إذنا كونيا قدريا، ويكون المعنى: ليطاع بتوفيق الله وهدايته، فتضمن الآية الأمرين الشرع والقدر، ويكون فيها دليل على أن أحدا لا يطيع رسله إلا بتوفيقه وإرشاده وهدايته، وهذا حسن جدا. والمقصود أن الغاية من الرسل هي طاعتهم ومتابعتهم، فإذا كانت الطاعة والمتابعة لغيرهم، لم تحصل الفائدة المقصودة من إرسالهم.وقوله: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ ٢.قال ابن القيم: لما علم سبحانه أن المرسل إليهم لا بد لهم من ظلم لأنفسهم، واتباع لأهوائهم، أرشدهم إلى ما يدفع عنهم شر ذلك____________١ سورة النساء آية: ٢.٦٤ سورة النساء آية: ٦٤.." (٢)

"ثم قال بعد ذلك: وقولي ثانيا أو شافعا لي مما قد جنيت غدا فهي شفاعة أخرى غير شفاعة الإنقاذ بالاستغفار للذنب، قال تعالى: ﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾ [محمد: ١٩] . وقال: ﴿أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ [النساء:٦٤] .

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/٥

(٢) تيسير ا لعزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/٤٨٥

فالأولى شفاعة فعلية بأن ينقذه من العذاب بعد وقوعه فيه، والثانية شفاعة قولية بأن يحال بين المذنب وبين المؤاخذة -قال- وهذا ظاهر. انتهى.أقول بل كله كلام باطل متناقض، من ذلك كونه جعل قوله في خطابه للنبي صلى الله عليه وسلم ومنقذي من عذاب الله والألم أو شافعا لي إخبارا فهذا باطل، بل هو استغاثة به صلى الله عليه وسلم لا خبر وقد قدمنا -عند قوله فيما تقدم: وصاحب البردة يخبر أنه إن لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم آخذا بيده وإلا فقل يا زلة القدم- إيضاح ذلك ولكن لو سلم أنه خبر مع استحالة كونه خبرا فهو إخبار منه للنبي صلى الله عليه وسلم لأن الخطاب معه فهو يخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يشفع له شفاعتين قولية وفعلية،فهو يخبر النبي بما لا يعلمه لأنه لو كان يعلم ذلك لم يحتج إلى إخباره له بذلك.وحقيقة كلامه إذا جعله خبرا أنه يقول أنت يار سول الله تشفع لي شفاعتين فعلية وقولية. فهل يوجد كلام أسمج من هذا الكلام؟! مع تضمنه الكذب على الله وعلى رسوله وتزكية نفسه بحصول شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم له، فهو والحالة هذه شاهد لنفسه بأنه من أهل الجنة، وجعله الشفاعة الأولى بأن ينقذه النبي صلى الله عليه وسلم من العذاب بعد وقوعه فيه، والشفاعة الثانية استغفار النبي صلى الله عليه وسلم له ما أعجب هذا!!هل في الآخرة توبة واستغفار؟! وإنما الواقع من الأنبياء وغيرهم الشفاعة، ولم يأت أهل الموقف إلى الأنبياء يقولون استغفروا لنا بل بقولون اشفعوا لنا.وأيضا إذا حصلت لهذا الشفاعة الفعلية بزعمه، وهي الإنقاذ من العذاب فقد سلم من المؤاخذة بذنبه فلا يحتاج أن يشفع له ثانيا بأن لا يؤاخذ." (١)

"جاز أن يطلب منه بعد الموت، ومن منع فعليه الدليل، وعلى قولكم أن الطلب عبادة يقتضي ألا فرق بين الحياة والممات انتهى.أما إستدلاله بطلب الصحابة منه في حياته أن يدعوا لهم، ولم ينكر عليهم ولم يقل أنتم أشركتم، فهذا من المغالطة والترويج على الجهال، يقول إذا أنكرتم طلب الدعاء منه بعد موته لزمكم ألا تجيزوا١ طلب الدعاء منه في حياته!! وإذا قلتم إنه لا يشفع في الآخرة إلا من بعد إذن الله له لزمكم القول إنه لا يدعوا لأحد في الدنيا إلا من بعد إذن الله له في ذلك٢!!ويقول: لما ثبت أن الصحابة يطلبون الدعاء منه في حياته فكذلك يجوز بعد موته.ويقول: إذا كان يدعوا لهم بغير إذن الله في ذلك جاز أن يشفع لهم في الآخرة بغير إذن الله له هذا حقيقة كلامه.فيقال لهذا: وهل يقول أحد أنه لا يجوز طلب الدعاء منه في حياته صلى الله عليه وسلم أومن غيره؟ فلا يقول هذا أحد، فقد كان أصحابه يطلبون منه

---

(١) تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس عبد الله أبا بطين ص/٦٦

أن يدعو لهم ويستسقي لهم ويستنصرلهم ويستغفر لهم، وأمره الله بذلك فقال: ﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾ [محمد:١٩] . وقال: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ [النساء:٦٤] فدعاؤه صلى الله عليه وسلم من أعظم الوسائل إلى مطلوبهم وقال صلى الله عليه وسلم لعمر لما استأذنه في العمرة "أشركنا يا أخي في دعائك"٣ وما زال المسلمون يطلب بعضهم من بعض الدعاء قال تعالى:____________١ بياض في مكان هذه الكلمة في "ب".٢ في "ب" "إلا من بعد أن يأذن الله في ذلك".٣ أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب الدعاء، حديث ١٤٩٨، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ١١٠، حديث ٣٥٦٢، وابن ماجه، كتاب المناسك، باب فضل دعاء الحاج، حديث ٢٨٩٤، وضعفه العلامة الألباني، انظر ضعيف ابن ماجه رقم ٥٧٥.." [(١)]

"بأهلها، بل لما يخاف عليهم من الفتنة، وإنما تكون الفتنة إذا انعقد سببها، فلولا أن يحصل عند القبور ما يخاف الافتتان به لما نهي الناس عن ذلك. وكذلك ما يذكر من الكرامات وخوارق العادات التي توجد عند قبور الأنبياء والصالحين، مثل نزول الأنوار والملائكة عندها، وتوقي الشياطين والبهائم لها، واندفاع النار عنها وعمن جاورها – إلى أن قال – فجنس هذا حق١ وليس مما نحن فيه إلى أن قال وكل هذا لا يقتضي استحباب الصلاة عندها ولا قصد الدعاء والنسك عندها لما في قصد العبادات عندها من المفاسد التي علمها الشارع كما تقدم – قال – فذكرتهذه الأمور لأنها مما يتوهم معارضتها لما ذكرنا، وليس كذلك.واحتج المعترض بالحكاية التي ذكرها القاضي عياض في الشفاء: أن الإمام مالكا رحمه الله تناظر مع أبي جعفر المنصور، فقال مالك: يا أمير المؤمنين إن الله أدب أقواما فقال ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ [الحجرات:٢] . ومدح قوما فقال: ﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى﴾ [الحجرات:٣] .وإن حرمته ميتا كحرمته حيا. فاستكان لها أبو جعفر وقال: يا أبا عبد الله أستقبل القبلة أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال مالك: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم، بل استقبله وتشفع به. ثم قرأ ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ [النساء"٦٤] ٢ .____________١ في هامش "ط" ما نصه "قوله رحمه الله فجنس هذا حق يعني وقوعه ثابت ليس مراده أنه صواب".٢ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: " وهذه الحكاية منقطعة فإن محمد بن حميد الرازي لم يدرك مالكا ولاسيما في

---

(١) تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس عبد الله أبا بطين ص/١١٦

زمن أبي جعفر المنصور، فإن أبا جعفر توفي بمكة سنة ثمان وخمسين ومائة، وتوفي مالك سنة تسع وسبعين ومائة، وتوفي محمد بن حميد ١الرازي سنة ثمان وأربعين ومائتين، ولم يخرج من بلده حين رحل في طلب العلم إلا وهو كبير مع أبيه، وهو مع هذا ضعيف عند أكثر أهل الحديث. كذبه أبو زرعة وابن واره وقال صالح بن محمد الأسدي:." [1]

"فصل قال المعترض: (وفي كلام محيي الدين أبي زكريا يحيى النووي (الشافعي المشهور بالعلم والحفظ والإتقان، قال بعد أن ذكر) (١) صفة زيارة النبي -صلى الله عليه وسلم- وصفة السلام عليه وعلى صاحبيه، والانحراف عن استدباره واستقبال القبلة بالدعاء- قال: ثم يرجع الزائر إلى موقفه الأول قبالة وجه النبي -صلى الله عليه وسلم- فيتوسل به في حق نفسه، ويستشفع به إلى ربه، ومن أحسن، ما يقول: ما حكاه أصحابنا عن العتبي مستحسنين له) وذكر قصة العتبي؛ وهو تابعي جليل- فقال: (حكى العتبي أنه قال: كنت جالسا (٢) عند قبر النبي--صلى الله عليه وسلم-[فجاء أعرابي] ، (٣) فقال: السلام عليك يا رسول الله يا صفوة خلق الله أنت الذي عليك: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما﴾ [النساء: ٦٤] [النساء ٦٤] .وقد ظلمت نفسي (٤) ؛ وها أنا قد أتيتك (٥) أستغفر من ذنبي،ــــــــــــــ(١) ما بين القوسين ساقط من (ق) .(٢) ساقطة من (ق) و (م) و (ح) .(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (المطبوعة) .(٤) "وقد ظلمت نفسي " ساقطة من (ق) و (م) .(٥) في (المطبوعة) : " أتيت".." [2]

"وقد تقدم عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أنه حكى الإجماع على منعه، وأن النبوات متفقة على تحريمه، وابن عقيل تقدم كلامه فيمن دس الرقاع إلى ضرائح الموتى، للطلب منهم، ولو فرض أن هذا الأعرابي قد غفر له، فذلك أيضا لا يدل على حسن حاله؛ وأسباب الكائنات لا يحصيها إلا الله، وقد يستجاب لعباد الأصنام، كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية (١) رحمه الله في كتابه " اقتضاء الصراط المستقيم".ثم ليس في الحكاية أنه سأل الرسول شيئا، غايته أنه توسل به، ومسألة التوسل بذاته صلى الله عليه وسلم غير مسألة دعائه والاستغاثة به والطلب منه، وقد قال تعالى: ﴿ومن يغفر الذنوب إلا الله﴾ [آل عمران: ١٣٥] [آل عمران / ١٣٥] . فإذا كان الله (٢) هو المختص بمغفرة الذنوب، فكيف تطلب

---

(١) تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس عبد الله أبا بطين ص/١٤٠

(٢) مصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام عبد اللطيف آل الشيخ ٣/٤٧٠

المغفرة من غيره تعالى وتقدس؟ .وقد تقدم لهذا المعترض (٣) أنه قال: (وإنما الشرك طلب مغفرة الذنوب، وهداية القلوب، فجزم بأن هذا من الشرك) ؛ ثم رجع (٤) واحتج بها على الطلب من الرسول، كما قال البوصيري.قال الحافظ ابن عبد الهادي (٥) رحمه الله: (وقوله: إني سمعت الله يقول: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول**﴾ [النساء: ٦٤] الآية [النساء / ٦٤] .__________(١) ساقطة من (ق) و (م) .(٢) في (المطبوعة) زيادة: "سبحانه".(٣) في (م) و (ح) و (المطبوعة) زيادة: " الغبي ".(٤) في (ق) و (م) زيادة: "هو"، وفي (المطبوعة) زيادة: "يناقض نفسه".(٥) انظر: "الصارم المنكي" (ص ٢٧٢- ٢٧٥) .." [1]

"ولا كذلك من دعي إلى قبره ليستغفر له، ومن سوى بين الأمرين وبين المدعوين وبين الدعوتين فقد جاهر بالباطل، وقال على الله وكلامه ورسوله (١) وأمناء دينه غير الحق.وأما دلالة الآية على خلاف تأويله: فهو أنه سبحانه صدرها بقوله: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم (٢) إذ ظلموا أنفسهم جاءوك﴾ [النساء: ٦٤] (٣) [النساء -٦٤] .وهذا يدل على أن مجيئهم إليه ليستغفر لهم؟ إذ ظلموا أنفسهم طاعة له؟ ولهذا ذم من تخلف عن هذه الطاعة، ولم يقل مسلم قط إن على من (٤) ظلم نفسه بعد موته أن يذهب إلى قبره ويسأله أن يستغفر له، ولو كان هذا طاعة له لكان خير القرون قد عصوا هذه الطاعة وعطلوها ووفق لها (٥) هؤلاء الغلاة العصاة وهذا بخلاف قوله: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾ [النساء: ٦٥] [النساء / ٦٥] .فإنه نفى الإيمان عمن لم يحكمه، وتحكيمه هو تحكيم (٦) ما جاء به حيا وميتا، ففي حياته كان هو الحاكم (٧) بينهم بالوحي، وبعد وفاته نوابه وخلفاؤه.__________(١) في (ق) : "وكلام رسوله ".(٢) ساقطة من (م) .(٣) في بقية النسخ زيادة: فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول**.(٤) في (ق) : "في".(٥) في (م) : "له".(٦) في (المطبوعة) : "التحاكم إلى".(٧) في (ح) و (المطبوعة) : "الحكم".." [2]

"منه، فأي حجة تبقى لهذا المعترض الذي هو أجهل وأضل (١) من حمار أهله؟ .قال تعالى: ﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ [الجمعة: ٥] [الجمعة / ٥] .وأما حديث ربيعة بن كعب: فالاستدلال به خروج

---

(١) مصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام عبد اللطيف آل الشيخ ٤٧٦/٣

(٢) مصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام عبد اللطيف آل الشيخ ٤٨٠/٣

عن محل النزاع، وأهل العلم لا يمنعون من سؤاله صلى الله عليه وسلم في حال حياته، فإن المراد هنا طلب (٢) شفاعته بالدعاء.قال تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ [النساء: ٦٤] [النساء / ٦٤] .وهذا من جنس سؤال المخلوق ما يقدر عليه، ولهذا كان الإتيان إليه صلى الله عليه وسلم لطلب الاستغفار لمن ظلم نفسه مشروعا في حياته باتفاق الأمة، وأما بعد موته فلم ينقل عن أحد من أصحابه، ولا عن أحد من أئمة العلم والهدى أنه فعله، أو استحبه (٣) أو أمر به، حتى أن الحكاية التي تذكر عن العتبي ضعفها أهل العلم بالنقل، ولم يثبتوها وقد بسط الكلام عليها وكشف حال ناقليها، الحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادي رحمه الله تعالى في كتاب: "الصارم المنكي"، وتقدم تلخيص ذلك قريبا (٤) .____________(١) ساقطة من (ق) .(٢) ساقطة من (ح) و (المطبوعة) .(٣) في (ق) : "استحسنه".(٤) في (المطبوعة) زيادة: "وتبين أنها مكذوبة لا تقوم بها حجة".." [1]

"مستغفرا من ذنبي، مستشفعا بك إلى ربي، وأنشد البيتين، وقد استحسن ذلك كافة أهل العلم، وذكروه في المناسك في بحث الزيارة، واستحبوا ذلك، وكيف لا يثبت الاستحباب بهذه الحكاية، وهي واقعة في خير القرون ولم تنكر، وارتضاها الفقهاء؟ فهي دليل على الاستحباب، ثم إن الشيخ رحمه الله فسؤ أن سؤال الحاجة من النبي صلى الله عليه وسلم وغيره واقع، وأن المجتهد المخطئ والمقلد المتأول مثابون على حسن قصدهم، فلا يكفرون في مثل هذا، ولا يشركون ولا يؤثمون. انتهى كلام العراقي.والجواب: إن هذا النقل قد اعتراه ما اعترى أمثاله، وأجرى التحريف عليه قلم إفكه وضلاله، فإن الحافظ محمد بن عبد الهادي لما تكلم على الحكاية التي احتج بها السبكي عزاها إلى مالك في جوابه لأبي جعفر المنصور، وقرر أنها من الموضوعات وأن إسنادها إسناد مظلم منقطع، مشتمل على من يتهم بالكذب، وساق كلام الحفاظ في جرح رواتها، وإطراح ےديثهم ثم قال بعد ذلك:وقد قال شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط المستقيم: "ولم يكن أحد من السلف يأتي قبر نبي أو غير نبي لأجل الدعاء عنده، ولا كان الصحابة يقصدون الدعاء عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولا عند قبر غيره من الأنبياء، وإنما كانوا يصلون ويسلمون على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه. واتفق الأئمة على أنه إذا دعا بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم لا يستقبل قبره وتنازعوا عند السلام عليه".وذكر كلامهم في استقباله عند السلام، وقرر رد

---

(١) مصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام عبد اللطيف آل الشيخ ٥٠٩/٣

الحكاية المذكورة عن مالك، وذكر نصوصه التي يخالفها، وأطال الكلام، ثم قال بعدها:"وأما الحكاية في تلاوة مالك هذه الآية: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول**﴾ الآية [النساء: من الآية٦٤] فهو ـ والله أعلم ـ باطل؛ فإن هذا لم يذكره أحد من الأئمة فيما أعلم، ولم يذكر أحد منهم أنه استحب أن." (١)

"معنى انقطاعه بعد الموت؟ إن الحياة البرزخية هل هي مساوية للحياة الدنيوية في كل الأحكام عندكم أم لا؟ والأول بديهي البطلان لإطباق الأمة على انقطاع الأحكام المذكورة من الإمامة الصغرى وغيرها، وعلى الثاني فلا استبعاد في انقطاع حكم المجيء إليه بعد موته صلى الله عليه وسلم.(الرابع) قوله: "فأما استغفاره صلى الله عليه وسلم فهو حاصل لجميع المؤمنين بنص قوله تعالى: ﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾ . فاسد.بيانه أن المراد باستغفار الرسول الواقع في آية: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك﴾ . الاستغفار بعد وقوع الظلم استغفارا مستأنفا، فإن "استغفر" [في قوله] ﴿**واستغفر لهم الرسول**﴾ . معطوف على ﴿فاستغفروا الله﴾ . وهو الظاهر، أو على ﴿جاءوك﴾ . كما زعم السبكي في شفاء السقام، وعلى كلا التقديرين يكون بعد وقوع الظلم، أما على الأول فلأن استغفروا الله متأخر عن جاءوك، بدليل فاء التعقيب، والمعطوف في حكم المعطوف عليه، فيكون استغفر لهم الرسول متأخرا عن جاءوك، وجاءوك متأخرا عن الظلم، والمتأخر عن المتأخر عن الشيء متأخر عن ذلك الشيء، وأما على الثاني فلأن استغفر لهم الرسول على هذا التقدير معطوف على جاءوك والمعطوف في حكم المعطوف عليه، وجاءوك متأخر عن الظلم فاستغفار الرسول متأخر عن الظلم، فعلم بذلك أن الاستغفار العام المأمور به صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾ . لا يكفي فيما هنالك، وتدل عليه الآية الأخرى والسنة:أما الآية فقوله تعالى في سورة الممتحنة: ﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم﴾ . فعلم أن الاستغفار العام المأمور به صلى الله عليه وسلم لا يكفي بل كان صلي الله عليه وسلم مأمورا باستغفار آخر وقت أخذ البيعة والتوبة من الشرك والمعاصي.." (٢)

---

(١) منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس عبد اللطيف آل الشيخ ص/١٩٩

(٢) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان محمد بشير السهسواني ص/٢٧

"وردت في شأن المنافقين، فالاستغفار الذي فعله صلى الله عليه وسلم بامتثال قوله تعالى: ﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾ . لا يكون شاملا للاستغفار لأهل النفاق، بل قد نهى الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم عن الاستغفار للمنافقين فقال تعالى: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾ . وقال تعالى: ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره﴾ . وقال تعالى: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾ . فلا بد من أن يراد باستغفار الرسول –الذي ورد في شأن المنافقين– غير ما ورد في قوله تعالى: ﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾ . فإن المنافقين داخلون في آية: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم﴾ . دخولا أوليا، وإن سلم دخول غيرهم فيها بعموم العلة وما ضاهاه دخولا ثانويا.وههنا نظر وعنه جواب فتأمل. وهكذا فهم جمهور أهل التفسير من الاستغفار الاستغفار الخاص ولم يقل أحد منهم إن الاستغفار العام يكفي هاهنا، قال الشوكاني رحمه الله في فتح القدير: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم﴾ . بترك طاعتك والتحاكم إلى غيرك ﴿جاءوك﴾ متوسلين إليك متنصلين عن جناياتهم ومخالفاتهم ﴿فاستغفروا الله﴾ . لذنوبهم وتضرعوا إليك حتى قمت شفيعا فاستغفرت لهم.وقال الإمام الرازي في مفاتيح الغيب: يعني أنهم عندما ظلموا أنفسهم بالتحاكم إلى الطاغوت والفرار من التحاكم إلى الرسول جاءوا الرسول وأظهروا الندم على ما فعلوه وتابوا عنه واستغفروا منه **واستغفر لهم الرسول** بأن يسأل الله أن يغفر لهم عند توبتهم: ﴿لوجدوا الله توابا رحيما﴾ . انتهى.وقال أيضا (المسألة الثانية) لقائل أن يقول: أليس لو استغفروا الله وتابوا على وجه صحيح لكانت توبتهم مقبولة؟ فما الفائدة في ضم استغفار الرسول إلى استغفارهم؟(قلنا) الجواب عنه من وجوه: (الأول) أن ذلك التحاكم إلى الطاغوت كان مخالفة لحكم الله، وكان أيضا إساءة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وإدخالا للغم في قلبه، ومن." [١]

"كان ذنبه كذلك وجب عليه الاعتذار عن ذلك الذنب لغيره، فلهذا المعنى وجب عليهم أن يطلبوا من الرسول أن يستغفر لهم. (الثاني) : أن القوم لما لم يرضوا بحكم الرسول ظهر منهم ذلك التمرد، فإذا تابوا وجب عليهم أن يفعوا ما يزيل عنهم ذلك التمرد، وما ذاك إلا بأن يذهبوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ويطلبوا منه الاستغفار. اهـ.وقال أبو السعود: جاءوك من غير تأخير، كما يفصح عنه تقديم الظرف متوسلين بك في التنصل عن جناياتهم القديمة والحادثة، ولم يزدادوا جناية على جناية بالقصد إلى سترها

---

(١) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان محمد بشير السهسواني ص/٢٩

بالاعتذار الباطل، والأيمان الفاجرة، فاستغفروا الله بالتوبة والإخلاص، وبالغوا في التضرع إليك حتى انتصبت شفيعا لهم إلى الله تعالى واستغفرت لهم. اهـ.وقال في المدارك١: ولو وقع مجيئهم في وقت ظلمهم مع استغفارهم واستغفار الرسول لوجدوا الله توابا. اهـ. وقال البيضاوي: فاستغفروا الله بالتوبة والإخلاص، **واستغفر لهم الرسول** واعتذروا إليك حتى انتصبت لهم شفيعا. اهـ.وقد علم من تلك العبارات أن عامة أهل التفسير قد فهموا من الآية أن استغفار الرسول يكون بعد استغفارهم. وأما ما قال السبكي في شفاء الأسقام: وليس في الآية ما يعين أن يكون استغفار الرسول بعد استغفارهم بل هي محتلمة والمعنى يقتضي بالنسبة إلى استغفار الرسول أنه سواء تقدم أم تأخر فإن المقصود إدخالهم بمجيئهم واستغفارهم تحت من يشمله استغفار الرسول صلى الله عليه وسلم، وإنما يحتاج إلى المعنى المذكور، إذا جعلنا **﴿واستغفر لهم الرسول﴾** . معطوفا على ﴿فاستغفروا الله﴾ أما إن جعلناه معطوفا على ﴿جاءوك﴾ لم يحتج إليه. هذا آخر ما في الشفاء٢، ففيه نظر من وجوه:(الأول) أن عامة المفسرين قد فهموا من الآية أن يكون استغفار الرسول بعد استغفارهم، فالقول بأن ليس في الآية ما يعين أن يكون استغفار الرسول بعد استغفارهم تخطئة للجمهور ومخالفة لهم.______________١ هو تفسير النسفي.٢ أي شفاء السقام للسبكي.." [1]

"وتعليمها وإعظامها وإجلالها، والتأدب عند قراءتها، والإمساك عن الكلام فيها بغير علم، وإجلال أهلها لانتسابهم إليها، والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه، ومحبته ومحبة أهل بيته وأصحابه ومجانبة من ابتدع في سنته أو تعرض لأحد من عترته وصحبه ودعاء الوسيلة له، والصبر على لأواء مهجره وشدته ونحو ذلك، وكذلك التوسل بالصالحين بمحبتهم وتوقيرهم وإجلالهم، وما يحذو حذوه.وهذا التوسل هو عين دين الإسلام لا يجحده أحد من المسلمين، لكن هذا التوسل في الحقيقة هو التوسل بالأعمال الصالحة، وإن سماه أحد توسلا بالأنبياء والصالحين فلا يتغير حكمه بهذه التسمية، فإن العبرة للمسمى والمعنون لا للاسم والعنوان.(الرابع) التوسل بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم في حياته كفاحا، وكذلك التوسل بدعاء الصالحين، ومنه قول عمر رضي الله عنه: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا صلى الله عليه وسلم فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. ومنه قول أعرابي حين أصابت الناس سنة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله هلك المال وجاع العيال، فادع الله لنا، ومنها ما كانت الصحابة رضي الله عنهم من أن أحدهم متى صدر منه ما يقتضي التوبة جاء إليه، فقال: يا رسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي، وإليه الإشارة في

---

(١) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان محمد بشير السهسواني ص/٣٠

قوله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ . وهذا أيضا مما لا نزاع فيه لأحد، وعليه يحمل حديث الضرير "اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة" على تقدير ثبوته، أي بدعاء نبيك، ويدل عليه لفظ فقال "ادع الله" وقوله "اللهم شفعه في".(الخامس) أن يدعو الرب سبحانه بإضافته إلى عباده الصالحين، كما في حديث عائشة رضي الله عنها "اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل" المروي في صحيح مسلم. فلو قال أحد في دعائه: اللهم رب إبراهيم وموسى وعيسى وداود ومحمد –أو قال– اللهم رب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي –أو قال– اللهم رب فاطمة والحسن والحسين –أو قال– اللهم رب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد –أو قال– اللهم رب البخاري." (١)

"كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس لا ينبشونه، قلت: وما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حبست عنهم أبرزوا السرير فيمطرون. فقلت: من كنتم تظنون الرجل؟ قال: دانيال، قلت منذ كم وجدتموه مات؟ قال منذ ثلاثمائة سنة١. قلت: ما كان قد تغير منه شيء؟ قال. لا إلا الشعيرات من قفاه، إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض ولا تأكلها السباع.فانظر ما في هذه القصة من صنع أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وتعمية قبر هذا الرجل لئلا يفتتن به الناس، كذا في (تبعيد الشيطان بتقريب إغاثة اللهفان) .قوله: ومن أحسن ما يقال ما جاء عن العتبي، وهو مروى أيضا عن سفيان بن عيينة، وكل منهما من مشايخ الإمام الشافعي، قال العتبي: كنت جالسا عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول —وفي رواية: يا خير الرسل إن الله أنزل عليك كتابا صادق ا قال فيه: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ . وقد جئتك مستغفرا من ذنبي.أقول: ليست هذه الحكاية مما تقوم به الحجة، قال في الصارم المنكي: وهذه الحاكية التي ذكرها بعضهم يرويها عن العتبي بلا إسناد، وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب عن أبي الحسن الزعفراني عن الأعرابي، وقد ذكرها البيهقي في كتاب شعب الإيمان، بإسناد مظلم عن محمد بن روح بن يزيد البصري حدثني أبو حرب الهلالي قال: حج أعرابي، فلما جاء إلى باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أناخ راحلته فعقلها، ثم دخل المسجد حتى آتى القبر، ثم ذكر نحو ما تقدم وضع لها بعض الكذابين إسنادا إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما سيأتي ذكره.وفي الجملة ليست

---

(١) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان محمد بشير السهسواني ص/١٩٩

هذه الحكاية المذكورة عن الأعرابي مما تقوم به حجة، وإسنادها مظلم مختلف، ولفظها مختلف أيضا، ولو كانت ثابتة لم يكن فيها حجة على مطلوب_____________١ دانيال النبي عليه السلام كان في سبى نبوخذ نصر لبني إسرائيل قبل ميلاد المسيح بستمائة سنة وكتابه من أسفار اليهود المعروفة، وكتبه محمد رشيد رضا.." (١)

"المعترض، ولا يصلح الاحتجاج بمثل هذه الحكاية ولا الاعتماد على مثلها عند أهل العلم. وبالله التوفيق.قوله: وليس محل الاستدلال الرؤيا فإنها لا تثبت بها الأحكام لاحتمال حصول الاشتباه على الرائي كما تقدم ذلك، وإنما محل الاستدلال كون العلماء استحسنوا الإتيان بما تقدم ذكره، وذكروا في مناسكهم استحباب الإتيان به للزائر.أقول: استحسان جميع علماء الأمة ممنوع، وأما استحسان بعض العلماء فلا تثبت به الأحكام، كما أنها لا تثبت بالرؤيا، على أنه لو ثبت استحسان جميع علماء الأمة فكونه مجمعا عليه بالإجماع الاصطلاحي محل كلام، وبعد تسليم إمكان الإجماع الاصطلاحي فكونه حجة شرعية غير مسلم، والأحاديث الدالة على حجيته قد تقدم الكلام عليها، على أن كونها دالة على حجية الإجماع أيضا منظور فيه.قوله: وقال العلامة ابن حجر في الجوهر المنظم: وروى بعض الحفاظ عن أبي سعيد السمعاني أنه روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه أنهم بعد دفنه صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام جاءهم أعرابي فرمى بنفسه على القبر الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام.أقول: هذا الخبر ضعيف جدا حتى قيل أنه موضوع، قال في الصارم المنكي: فإن قيل قد روى أبو الحسن على بن إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن الكرخي عن علي بن محمد بن على حدثنا أحمد بن محمد بن الهيثم الطائي قال حدثني أبي عن أبيه عن سلمة ابن كهيل عن أبي صادق عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قدم علينا أعرابي بعدما دفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام، فرمى بنفسه على قبر النبي صلى الله عليه وسلم وحثى على رأسه من ترابه وقال: يا رسول الله قلت فسمعنا قولك، ووعيت من الله عز وجل فما وعينا عنك، وكان فيما أنزل الله تبارك وتعالى عليك: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ وقد ظلمت نفسي وجئتك لتستغفر لي، فنودي من

---

(١) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان محمد بشير السهسواني ص/٢٤٧

القبر أنه قد غفر لك.والجواب أن هذا الخبر منكر موضوع، وأثر مختلق مصنوع لا يصلح الاعتماد عليه،." (١)

"قال القاضي عياض وقال مالك في رواية ابن وهب: إذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة، ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده، فقوله في هذه الرواية إذا سلم ودعا قد يريد بالدعاء السلام فإنه قال يدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده، ويؤيد ذلك أنه قال في رواية ابن وهب: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وقد يراد أنه يدعو له بلفظ الصلاة كما ذكر في الموطأ من رواية عبد الله بن دينار أنه كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وفي رواية يحيى بن يحيى وقد غلطه ابن عبد البر وغيره وقالوا إنما لفظ الرواية على ما ذكره ابن القاسم والقعنبي وغيرهما: يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويسلم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وقال أبو الوليد الباجي: وعندي أنه يدعو للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظ الصلاة، ولأبي بكر وعمر لما في حديث ابن عمر من الخلاف.قال القاضي عياض وقال في المبسوط: لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج إلى سفر أن يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه ويدعو له ولأبي بكر وعمر، فإن أراد بالدعاء الصلاة والسلام فهو موافق لتلك الرواية، وإن كان أراد دعاء زائدا فهي رواية أخرى، وبكل حال فإنما أراد الدعاء اليسير.وأما ابن حبيب فقال: ثم يقف بالقبر متواضعا موقرا فيصلي عليه ويثني عليه بما حضر ويسلم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فلم يذكر إلا الثناء عليه مع الصلاة.وأما الإمام أحمد فذكر الثناء عليه بلفظ الشهادة له بذلك مع الدعاء له بغير الصلاة ومع دعاء الداعي لنفسه أيضا، ولم يذكر أن يطلب منه شيئا ولا يقرأ عند القبر قوله: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ . كما لم يذكر مالك ذلك ولا المتقدمون من أصحابنا ولا جمهورهم، بل قال في منسك المروزي: ثم ائت الروضة وهي بين القبر والمنبر فصل فيها وادع بما شئت، ثم ائت قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقل: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا محمد بن عبد الله، أشهد أن لا إله إلا أنت وأشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشهد أنك." (٢)

---

(١) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان محمد بشير السهسواني ص/٢٤٨

(٢) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان محمد بشير السهسواني ص/٢٥٣

"ظهر، فأخبرته الخبر، وكلا الإسنادين ضعيف، اهـ. ما في المجمع.قلت: قد ثبت منه أن كلا الإسنادين ضعيف، وفي المتن اضطراب، فتنبه.و (الثاني) أن قوله: "وإنك أدنى المرسلين وسيلة إلى الله" ليس نصا على أن الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه وسيلة، بل يحتمل أن يكون المراد أن قربته صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى أكثر من قربة سائر المرسلين إليه، كما أن المراد في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾ . هي القربة بلا خلاف، وكذلك المراد بها في قوله تعالى: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب﴾ . أو يكون المراد بها الدرجة والمنزلة، فإذا حاصله أن درجته صلى الله عليه وسلم ومنزلته أقرب إلى الله تعالى من درجة سائر المرسلين، ولو سلم أن المراد أن نفسه صلى الله عليه وسلم وسيلة لنا فلا دليل فيه للتوسل المنهي عنه، فإن كونه صلى الله عليه وسلم وسيلة بمعنى أنه صلى الله عليه وسلم واسطة تبلغنا أمر الله حق لا ينكره أحد، فإن الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه وما أمر به ونهى عنه، ولا يعرفون ما يستحقه من أسمائه الحسنى وصفاته العلى إلا بالرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده، وكذلك كونه صلى الله عليه وسلم وسيلة في حياته بأن الصحابة رضي الله عنهم متى صدر من أحدهم معصية وذنب جاء إليه صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله فعلت كذا وكذا، فاستغفر لي، وإليه الإشارة في قوله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ . وكذلك إذا وقع القحط في زمانه صلى الله عليه وسلم يأتي أحدهم فيقول: يا رسول الله هلكت المواشي وتقطعت السبل، فادع ... وهكذا يطلبون الدعاء مه صلى الله عليه وسلم في سائر حاجاتهم كشفاء المريض ورد البصر. وكذلك كونه صلى الله عليه وسلم وسيلة يوم القيامة ح يث يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهموا بذلك فيقولن: لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا، فيأتون آدم فنوحا فإبراهيم فموسى فعيسى فيقول: ائتوا محمدا عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم كما في حديث الشفاعة الطويل "فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه١ ". الحديث، ولكن______________١ قوله: "في داره فيؤذن لي عليه" ذكر الحافظ في شرح حديث أنس من كتاب الرقاق في البخاري: أن هذه العبارة من زيادة همام في روايته للحديث. أقول وفسروا داره هنا بحضرة قدسه، وبعضهم بالجنة من قوله تعالى: ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ . بناء على القول بأن السلام هنا اسم الله عز وجل، وذكر الحافظ ما قيل في الحكمة في انتقال النبي صلى الله عليه وسلم

من مكانه إلى دار السلام، وهي أن أرض الموقف مكان مخافة وإشفاق ومقام الشافع يناسب أن يكون في مكان إكرام. وكتبه محمد رشيد رضا.." (١)

"إذا دريت هذا فاعلم أن شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين ثابتة في الدنيا والآخرة، أما الشفاعة في الدنيا فقد قال الله تعالى في سورة النساء: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ .قال الحافظ ابن كثير في تفسيره تحت هذه الآية: يرشد تعالى العصاة والمذنبين –إذا وقع منهم الخطأ والعصيان– أن يأتوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فيستغفروا الله عنده، ويسألوه أن يستغفر لهم، فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم. انتهى.قال ابن عبد الهادي في الصارم المنكي: وهذه كانت عادة الصحابة معه صلى الله عليه وسلم أن أحدهم متى صدر منه ما يقتضي التوبة جاء إليه فقال: يا رسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي. اهـ.ويدل عليه ما روي عن كعب بن مالك في حديث طويل فيه: فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلا، فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله تعالى. اهـ.وقال تعالى في سورة آل عمران: ﴿فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر﴾ وقال تعالى في سورة محمد: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾ وقال تعالى في سورة الممتحنة: ﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله –إلى قوله تعالى– فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم﴾ وقال تعالى في سورة التوبة: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم﴾قال الحافظ ابن كثير: ﴿وصل عليهم﴾ أي ادع لهم واستغفر لهم كما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن أبي أوفى قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى بصدقة قوم صلى عليهم، فأتاه أبي بصدقته فقال: "اللهم صل على آل أبي أوفى ". اهـ.وفي فتح البيان قال ابن عباس رضي الله عنهما: استغفر لهم من ذنوبهم التي كانوا." (٢)

"﴿ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ وللملائكة أيضا قال الله تعالى في سورة المؤمنون: ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم. ربنا وأدخلهم جنات

---

(١) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان محمد بشير السهسواني ص/٢٨٠

(٢) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان محمد بشير السهسواني ص/٣٤٧

عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم. وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم﴾ ، وقوله تعالى في سورة الشورى: ﴿تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم﴾ ، بل عامة المؤمنين مأذونون في هذه الشفاعة قال تعالى: ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالأيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ .وعن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة" رواه الطبراني وإسناده جيد، كذا في مجمع الزوائد، وفي الباب عن أبي هريرة وأم سلمة وأبي الدرداء، ولكن في رواياتهم ضعف. وهي تكفي للتأييد.وهذا النوع من الشفاعة يجوز طلبه منه صلى الله عليه وسلم بلا مرية، بأن يأتي أحد منهم النبي صلى الله عليه وسلم في حياته ويستشفع به، لا أن يدعوه غائبا عنه، دل عليه قوله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول**﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا﴾ ، وقوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم﴾ ، وقول الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله لنا، وقوله صلى الله عليه وسلم لعمر: "إن خير التابعين رجل يقال له أويس، وله والدة وكان به بي اض، فمره فليستغفر لكم" رواه مسلم.______________١ معطوف على قوله: حاصل للأنبياء.." (١)

"الصلاة، ومع دعاء الداعي لنفسه أيضا لم يذكر أن يطلب منه شيئا، ولا يقرأ عند القبر قوله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ ١.كما لم يذكر مالك ذلك ولا المتقدمون من أصحابنا ولا جمهورهم، بل قال في منسك المروزي: ثم ائت الروضة وهي بين القبر والمنبر فصل فيها وادع بما شئت، ثم ائت قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقل: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا محمد بن عبد الله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله، وأشهد أنك بلغت رسالة ربك، ونصحت لأمتك، وجاهدت في سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وعبدت الله حتى أتاك اليقين، فجزاك الله أفضل ما جزى نبيا عن أمته، ورفع درجتك العليا، وتقبل شفاعتك الكبرى، وأعطاك سؤالك في الآخرة والأولى، كما تقبل من إبرهيم. اللهم احشرنا في زمرته، وتوفنا

---

(١) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان محمد بشير السهسواني ص/٣٥١

علی سنته، وأوردنا حوضه، واسقنا بكأسه مشربا رويا لا نظمأ بعده أبدا.وما من دعاء وشهادة وثناء يذكر عند القبر إلا وقد وردت السنة بذلك وما هو منه في سائر البقاع، ولا يمكن أحدا أن يأتي بذكر يشرع عند القبر دون غيره، وهذا تحقيق لنهيه أن يتخذ قبره أو بيته عيدا، فلا يقصد تخصصه بشيء من الدعاء للرسول صلى الله عليه وسلم فضلا عن الدعاء لغيره، بل يدعى بذلك للرسول صلى الله عليه وسلم حيث كان الداعي، فإن ذلك يصل إليه صلى الله عليه وسلم، وهذا بخلاف ما شرع عند قبر غيره، كقوله: "السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين إنا إن شاء الله بكم لاحقون، يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين" فإن هذا لا يشرع إلا عند القبور، ولا يشرع عند غيرها، وهذا مما يظهر به الفرق بينه وبين غيره، وأن ما شرعه وفعله أصحابه من المنع من زيارة قبره كما تزار القبور هو من فضائله، وهو رحمة لأمته ومن تمام نعمة الله عليها، فالسلف كلهم متفقون على أن الزائر لا يسأله شيئا، ولا يطلب منه ما يطلب منه في حياته ويطلب منه يوم القيامة، لا شفاعة ولا استغفار______________١ سورة النساء: ٦٤.." [1]

"شفيع﴾ ١ وقوله تعالى: ﴿الذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ ٢ وقوله: ﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون * قل لله الشفاعة جميعا﴾ ٣ وسورة الزمر أصل عظيم في هذا.ومن هذا قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين * يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد * يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير﴾ ٤. وكذلك قوله: ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت﴾ ٥. والقرآن عامته إنما هو في تقرير هذا الأصل العظيم الذي هو أصل الأصول" انتهى ما هو المقصود.وقال أيضا في أثناء جوابه المفصل بعد أن تكلم بكلام يتعلق بحكم الدعاء عند القبر ما نصه: "ولم يذكر عن أحد من الأئمة أنه استحب أن يسأل النبي صلى الله عليه وسلم بعد الموت، لا استغفارا ولا غيره، وكلامه المنصوص عنه- أي الإمام مالك- وعن غيره ينافي هذا، وإنما يعرف مثل هذا في حكاية ذكرها طائفة من متأخري الفقهاء عن أعرابي أنه أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وتلا هذه الآية، وهي قوله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ ٦ وأنشد بيتين:يا خير من دفن في القاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع

(١) غاية الأماني في الرد على النبهاني الألوسي، محمود شكري ٢٣٨/١

والأكمنفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم_______________١ سورة السجدة: ٢.٤ سورة الزمر: ٣.٣ سورة الزمر: ٤٣- ٤.٤٤ سورة الحج: ١١- ٥.١٣ سورة العنكبوت: ٦.٤١ سورة النساء: ٦٤." [1]

"فصل: قال الملحد: (الباب الأول: في الآيات القرآنية الدالة على جواز التوسل ... الخ....فصلقال الملحد: "الباب الأول في الآيات القرآنية الدالة على جواز التوسل به" ذكر بعض الآيات التي قرن الله بها اسمه باسم النبي- صلى الله عليه وسلم- وما يتعلق في بيان ذلك. قال تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ [النساء: آية ٦٤] وقال تعالى في شأن أهل أحد: ﴿فاعف عنهم واستغفر لهم﴾ [آل عمران: آية ١٥٩] وقال تعالى: ﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾ [محمد: آية ١٩] .والجواب أن يقال: قد سبق هذا الملحد إلى الاستدلال بهذه الآية من المشبهين أقوام وذكروا من الشبه نحو ما ذكره هذا وأكثر وأعظم تلبيسا وتمويها؛ وأجابهم على ذلك الأئمة الجهابذة الحفاظ الذين هم القدوة وبهم الأسوة وحسبنا ما ذكروه ووضحوه في هذه المسائل.فقال الإمام ال حافظ المحقق أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن عبد الهادي الحنبلي المقدسي؛ قدس الله روحه على ما." [2]

"بأن المصطفى قد مات حقا ... وأنا ميتون وذاك ١ جاريعلى كل الخلائق ليس يبقى ... سوى الخلاق من الخلق باريفأما في المنام فذاك ٢ حق ... يراه الصالحون أولو الفخاروأما يقظة فيراه حيا ... كما قد كان حيا ذو اختياروتدبير وتصريف ويدري ... كما يدريه في ماض وجارفدعوى هذه دعوى لعمري ... تبين أفكها بالإضرارفإذا تحققت هذا فهؤلاء لم تكن أحوالهم وخوارقهم ٢ أحوال وخوارق إيمانية؛ وإنما كانت أبصارهم وحقائق أحوالهم خيالات شيطانية؛ وعلى غير متابعة الكتاب والسنة مبنية؛ فلا يلتفت إلى أقوالهم؛ ولا يعول على ما ادعوه من أحوالهم؛ لأنها عن الحقائق الإيمانية خالية؛ وأقوالهم عن الدليل عارية.وأما قوله:"فالآية: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا

---

(١) غاية الأماني في الرد على النبهاني الألوسي، محمود شكري ٢/٣٣٧

(٢) الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية سليمان بن سحمان ص/٧٤

الله توابا رحيما﴾ [النساء: آية ٦٤] منسحب إلى الآن وإلى ما شاء الله."______________١ في طبعة الرياض "ذلك". ٢ في طبعة الرياض"وخوراقهم".." (١)

"فصل: ذكر الملحد قصة العتبي نقلا عن النووي، وبيان بطلانها ... الخ...فصل:قال الملحد: "وفي "الإيضاح" للنووي المؤلف في مناسك الحج على مذهب الإمام الشافعي- رحمه الله تعالى- ما نصه: ومن أحسن ما يقول ما حكاه أصحابنا عن العتبي مستحبين له، قال: كنت جالسا عند قبر النبي- صلى الله عليه وسلم- فجاء أعرابي، فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ [النساء: آية ٦٤] وقد جئتك مستغفرا من ذنبي، مستشفعا بك إلى ربي ثم أنشأ يقول:يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكمنفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرمأنت الشفيع الذي ترجى شفاعته ...على الصراط إذا ما زلت القدم." (٢)

"أبي طالب، فذكر نحو ما تقدم ١.قال الحافظ بن عبد الهدي: هذا الخبر منكر موضوع ٢ لا يصلح الاعتماد عليه، ولا يحسن المصير إليه، وإسناده ظلمات بعضها فوق بعض، والهيثم جد أحمد بن محمد بن الهيثم أظنه ابن عدي الطائي، فإن لم يكن هو فهو كذاب متروك ٣، وإلا فمجهول٤، وقال عباس٥ الدوري: سمعت يحيى بن معين يقول: الهيثم بن عدي كوفي ليس بثقة كان يكذب، وقال العجلي وأبو داود: كذاب، وقال أبو حاتم الرازي ٦والنسائي والدولابي والأزدي متروك الحديث، وقال______________١ ولفظها كما في "الصارم"- عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قدم علينا أعرابي بعد ما دفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام فرمي بنفسه إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وحثا على رأسه من ترابه. وقال: يا رسول الله قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله عز وجل فما وعينا عنك، وكان فيما أنزل الله عز جل عليك ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي.فنودي من القبر أنه قد غفر لك.٢ في"الصارم": وأثر مختلق مصنوع.٣ في "الصارم": متروك كذاب.٤ في "الصارم" بعد قوله:- مجهول:-

---

(١) الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية سليمان بن سحمان ص/١٠٥

(٢) الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية سليمان بن سحمان ص/2٢٥

وقد ولد الهيثم بن عدي بالكوفة ونشأ بها وأدرك زمان سلمة بن كهيل فيما قيل ثم انتقل إلى بغداد فسكنها. قال عباس ...٥ في الأصل وط: الرياض "ابن عباس".٦ في الأصل وط: الرياض "الرازي النسائي".." (١)

"فصل في آية: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك﴾...فصلقال العراقي: (ومنها: قوله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ [النساء: ٦٤] فقد علق الله تعالى قبول استغفارهم باستغفاره عليه الصلاة والسلام، وفي ذلك صريح دلالة على جواز التوسل به صلى الله عليه وسلم، وقبول المتوسل به، كما يفهم من قوله تعالى: ﴿لوجدوا الله توابا رحيما﴾ [النساء: ٦] وأنت تعلم أن استغفاره صلى الله عليه وسلم لأمته لا يتقيد بحال حياته، كما دلت عليه الأحاديث الواردة، مما سننقله، لا يقال: إن الآية وردت في قوم معينين، فلا عموم لها، لأنا نقول: إنها وإن وردت في قوم معينين في حال حياته صلى الله عليه وسلم، تعم بعموم العلة كل من وجد فيه ذلك الوصف، سواء كان في حال حياته، أو بعد موته صلى الله عليه وسلم) .والجواب أن نقول: قد سبق هؤلاء إلى الاستدلال بهذه الآية السبكي بنحو مما قال هذا، وأجابه الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي –رحمه الله تعالى– فقال١:ــــــــــــــــ١ في كتابه (الصارم المنكي في الرد على السبكي) ط الإفتاء (ص٤٢٤) وما بعدها.." (٢)

"ومما يدل على بطلانه قطعا: أنه لا يشك مسلم أن من دعي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته، وقد ظلم نفسه ليستغفر له، فأعرض عن المجيء وأباه، مع قدرته عليه، كان مذموما غاية الذم، مغموصا بالنفاق. ولا كذلك من دعي إلى قبره ليستغفر له، ومن سوى بين الأمرين، وبين المدعوين، وبين الدعوتين، فقد جاهر بالباطل، وقال على الله وكلامه ورسوله وأمناء١ دينه غير الحق.وأما دلالة الآية على خلاف تأويله فهو أنه سبحانه صدرها بقوله: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول**﴾ [النساء:٦٤] وهذا يدل على أن مجيئهم إليه ليستغفر لهم إذ ظلموا أنفسهم طاعة له، ولهذا ذم من تخلف عن هذه الطاعة، ولم يقل مسلم قط إن على من ظلم نفسه بعد موته أن يذهب إلى قبره، ويسأله أن يستغفر له، ولو كان هذا طاعة له لكان خير القرون قد عصوا هذه الطاعة. وعطلوها، ووفق لهذا هؤلاء الغلاة العصاة، وهذا بخلاف قوله: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى

---

(١) الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية سليمان بن سحمان ص/٢٥٥

(٢) الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق سليمان بن سحمان ص/٥٠٤

يحكموك فيما شجر بينهم﴾ [النساء:٦٥] فإنه نفى الإيمان عمن لم يحكمه، وتحكيمه هو تحكيم ما جاء به حيا وميتا، ففي_____________١ سقطت "وأمناء" من الأصل.." [١]

"تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ وقال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله، ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما، فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ ﴿وقال﴾ (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا﴾ وقال: ﴿تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين﴾ وقال جل علاه: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا﴾ وقال: ﴿ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا﴾ وقال: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾ وقال: ﴿إن الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم﴾ وقال: ﴿إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين﴾ ﴿وقال﴾ (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾ وقال: ﴿ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون﴾ وقال: ﴿وإن تطيعوه تهتدوا﴾ ﴿وقال﴾ (واتبعوا لعلكم ترحمون﴾ وقال: ﴿ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما﴾ وقال: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ وقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم﴾ وقال:." [٢]

"سبعون مجتهدا في زمانه؟! وأما أنت لا نعلم أحدا شهد لك بالاجتهاد المقيد فضلا عن المطلق، إلا ولدك في «طبقات الشافعية» !وإليك ما قاله أهل التفسير في هذه الآية الشريفة:قال العلامة المحقق خاتمة المحدثين ومجدد القرن الثالث عشر، أبو الطيب، السيد صديق خان، في تفسيره المسمى بـ «فتح البيان» ، المطبوع في المطبعة الأميرية بمصر، ما نصه: « ﴿وما أرسلنا من رسول﴾ : (من) زائدة للتوكيد،

---

(١) الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق سليمان بن سحمان ص/٥٠٨

(٢) السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات الشقيري ص/٢٠١

قاله الزجاج. والمعنى: ما أرسلنا رسولا إلا ليطاع فيما أمر به ونهى عنه، وهذه لام كي، والاستثناء مفرغ؛ أي: ما أرسلنا لشيء من الأشياء إلا للطاعة، (بإذن الله) : بعلمه، وقيل: بأمره، وقيل: بتوفيقه. وفيه توبيخ وتقريع للمنافقين الذين تركوا حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضوا بحكم الطاغوت.﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم﴾ : بترك طاعتك والتحاكم إلى غيرك من الطاغوت وغيره. ﴿جاءوك﴾ : متوسلين إليك، تائبين من النفاق متنصلين عن جناياتهم ومخالفاتهم؛ ﴿فاستغفروا الله﴾ : لذنوبهم بالتوبة والإخلاص، وتضرعوا إليك حتى قمت شفيعا لهم فاستغفرت لهم؛ وإنما قال: **﴿واستغفر لهم الرسول﴾** على طريقة الالتفات لقصد التفخيم بشأن الرسول صلى الله عليه وسلم، وتعظيما لاستغفاره وإجلاله لا للمجيء إليه؛ ﴿لوجدوا الله توابا رحيما﴾ ؛ أي: كثير التوبة والرحمة لهم. وهذا المجيء يختص بزمان حياته صلى الله عليه وسلم. وليس المجيء إليه بمعنى مرقده المنور بعد وفاته صلى الله عليه وسلم مما تدل عليه هذه الآية؛ كما قرره في «الصارم المنكي» ؛ ولهذا لم يذهب إلى هذا الاحتمال البعيد أحد من سلف الأمة وأئمتها، لا من الصحابة ولا من التابعين ولا من تبعهم بالإحسان» انتهى.وقد أحببنا إيراده بحروفه ليعلم [المنصف] أنه لم يستدل أحد من السلف ولا من الخلف على استحباب السفر إلى زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم لمجرد الزيارة ولا لقبر غيره من الأنياء والصاحين لهذه الآية، اللهم إلا أن يكون أناس قد قلدوا السبكي في هذا." (١)

"الاستدلال من غير نظر، علما منهم بأن السبكي قد قلد غيره. وقد علمت بما سلف أنه لم يفهم هذا أحد من المفسرين؛ فعلم قطعاً أن هذا الرجل قد فسر الآية برأيه وهواه؛ فقد دخل في قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أبو داود في «سننه» : «من فسر القرآن برأيه - وفي رواية: بغير علم -؛ فليتبوأ مقعده من النار» ؛ فهذا الحديث - وإن كان في سنده مقال - فلم يحكم عليه أحد من أهل الحديث بالوضع؛ ولكن أولوه بمن فسر القرآن بالآراء الفاسدة التي لا يشهد لها كتاب ولا سنة ولا قول صحابي - كما فسر به المعترض الآية -! وليته كان فسرها بما هو أقرب إلى الآية من هذا؛ كأن يقول: لما شرط الله - تعالى - في قبول توبة الظالم لنفسه من المنافقين في حياته صلى الله عليه وسلم المجيء والاستغفار عنده واستغفار الرسول له - عليه الصلاة والسلام -؛ اعتبر هذا أيضا بعد موته؛ بأن من ظلم نفسه بعد وفاته - عليه الصلاة والسلام - بتقديم آراء الرجال على الكتاب والسنة وجعلهما تبعا وآراء متبوعه أصلا؛ استغفر الله -

(١) الكشف المبدي محمد بن حسين الفقيه ١٢٨/١

تعالى ـ من هذا الذنب العظيم، وجاء إليه صلى الله عليه وسلم؛ بمعنى: جاء إلى سنته، وعمل بها، وقدمها على قول كل أحد؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾ . قال أهل التفسير: الرد إلى الرسول بعد وفاته هو الرجوع إلى سنته. فاستقام بهذا التفسير.﴿واستغفر لهم الرسول﴾ بمعنى: رضي فعلهم هذا ودعا لهم وقربهم وأدناهم منه يوم اليامة؛ فإنه قد ورد في الحديث أن أقواما يردون عليه الحوض؛ فيقول صلى الله عليه وسلم: «هلموا أصحابي» ؛ فيقال له: «أما تدري ما أحدثوا بعدك؛ بدلوا وغيروا» ؛ فيقال لهم: «سحقا سحقا» . ويكون حكم هذه الآية." [1]

"وأما قول الملحد: "ومن المقرر ببديهة العقول السليمة أن العاقل يتحرى في حوائجه الواسطة الأقرب مناسبة، وأنجح وسيلة للموسط إليه، والمطلوب منه ولا يرتاب مسلم: أن ما في الكون وسيلة أقرب مناسبة لله تعالى من حبيبه الأكرم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، بل كيف لا يكون هو أقرب الوسائل وكلام الله شاهد له بذلك؟ أما هو الذين قال الله له: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [الأنبياء، الآية:١٠٧] أما هو الذي قال الله عنه: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ (الأحزاب، الآية:٦] أما هو الذي قال الله عنه: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ [التوبة، الآية:١٢٨] أما هو الذي أمرنا الله على لسانه بقوله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ [آل عمران، الآية:٣١] فانظروا يا من خذلهم الله أي مقام أعظم من هذا المقام الذي علق ارله محبته ومغفرته على إتباعه عليه الصلاة والسلام؟ أتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض؟ فانتظروا ما جاء بحقكم في هذه الآية أما هو الذي قال الله له: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما﴾ [النساء، الآية:٦٤] أما هو الذي قال الله له: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ [النساء، الآية:٦٥] ".." [2]

"ثلاثة أقسام القسم الأول أن يتوسل بالإيمان به واتباعه وهذا جائز في حياته وبعد مماته القسم الثاني أن يتوسل بدعائه أي بأن يطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يدعو له فهذا جائز في حياته لا بعد مماته لأنه بعد مماته متعذر القسم الثالث أن يتوسل بجاهه ومنزلته عند الله فهذا لا يجوز لا في حياته ولا

---

(١) الكشف المبدي محمد بن حسين الفقيه ١/١٢٩

(٢) البيان والإشهار لكشف زيغ الملحد الحاج مختار فوزان السابق ص/٣٤٧

بعد مماته لأنه ليس وسيلة إذ أنه لا يوصل الإنسان إلى مقصوده لأنه ليس من عمله فإذا قال قائل جئت إلى الرسول عليه الصلاة والسلام عند قبره وسألته أن يستغفر لي أو أن يشفع لي عند الله فهل يجوز ذلك أو لا قلنا لا يجوز فإذا قال أليس الله يقول ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما (١) قلنا له بلى إن الله يقول ذلك ولكن يقول ولو أنهم إذ ظلموا وإذ هذه ظرف." [1]

". . . . . .ـــــــمن رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ [سورة النساء، الآيات: ٦٠-٦٥] . فوصف الله تعالى هؤلاء المدعين للإيمان وهم منافقون بصفات:الأولى: أنهم يريدون أن يكون التحاكم إلى الطاغوت، وهو كل ما خالف حكم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، لأن ما خالف حكم الله ورسوله فهو طغيان واعتداء على حكم من له الحكم وإليه يرجع الأمر كله وهو الله، قال الله تعالى: ﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٢٥] .الثانية: أنهم إذا دعوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول صدوا وأعرضوا.الثالثة: أنهم إذا أصيبوا بمصيبة بما قدمت أيديهم-ومنها أن يعثر على صنيعهم-جاءوا يحلفون أنهم ما أرادوا إلا الإحسان والتوفيق كحال من يرفض اليوم أحكام الإسلام ويحكم بالقوانين المخالفة لها زعما منه أن ذلك هو الإحسان الموافق لأحوال العصر.ثم حذر – سبحانه – هؤلاء المدعين للإيمان المتصفين بتلك الصفات بأنه – سبحانه – يعلم ما في قلوبهم وما يكنونه من أمور تخالف ما يقولون، وأمر نبيه أن يعظهم ويقول لهم في أنفسهم قولا بليغا، ثم بين أن الحكمة من إرسال الرسول أن يكون هو المطاع المتبوع لا غيره من الناس مهما قويت أفكارهم واتسعت مداركهم، ثم اقسم تعالى بربوبيته لرسوله التي." [2]

". . . . . .ــــــــــــــــــــ

عنه استسقى بالعباس، فقال: "اللهم! إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا".

وتوسلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم كان بطلبهم الدعاء منه، ولهذا جاء في بعض الروايات: أن عمر كان

---

(١) فتاوى مهمة لعموم الأمة ابن باز ص/١٠١

(٢) شرح ثلاثة الأصول للعثيمين ابن عثيمين ص/١٥٦

يأمر العباس فيقوم فيدعو.وبهذا نعرف أن القصة المروية عن الرجل العتبي الذي كان جالسا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابي، فقال: السلام عليكم يا رسول الله! سمعت الله يقول: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ ١، وإني قد جئت مستغفرا لذنبي مستشفعا بك إلى ربي، ثم أنشأ يقول:يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكمنفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرمثم انصرف، قال العتبي: فغلبتني عيني، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، فقال: يا عتبي! بشر الأعرابي أن الله قد غفر له.فهذه الرواية باطلة لا صحة لها؛ لأن صاحبها مجهول، وكذلك من رواها عنه مجهولون، ولا يمكن أن تصح؛ لأن الآية: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا﴾ ولم يقل: إذا ظلموا، و"إذ" لما مضى بخلاف "إذا"، والصحابة رضي الله عنهم لما لحقهم الجدب في زمن عمر لم يستسقوا بالرسول صلى الله عليه وسلم وإنما استسقوا بالعباس بن عبد المطلب بدعائه وهو حاضر فيهم٢.ــــــــــــــــــ١ سورة النساء آية: ٦٤. ٢ أخرجه: البخاري في (الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء، ١/٣١٨) ؛ عن أنس رضي الله عنه.." [(١)]

"قول الشاعر: نفسي الفداء لقبر أنت ساكنهQ يقول الشاعر في رثاء النبي صلى الله عليه وسلم أبياتا منها: نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العطاء وفيه الجود والكرم فما رأي فضيلتكم في هذا البيت جزاكم الله خيرا؟A هذا البيت نقل عن أعرابي فيما نقله العتبي، وذكره ابن كثير عند تفسير الآية التي في سورة النساء، وهي قول الله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ [النساء:٦٤] وبالبحث عن هذه الحكاية لم يوجد لها سند صحيح، ولو ذكرها ابن كثير وأقرها، ولو ذكرها غيره، فهي حكاية باطلة لا أصل لها، ولا يجوز اتخاذها حجة في دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم بعد موته، والبيت معناه صحيح، يعني: أنه صلى الله عليه وسلم خير من دفنت بالقاع أعظمه، وأن قبره فيه العفاف وفيه الكرم، فالمعنى صحيح، ولكن القصة التي فيها أنه جاء قاصدا للنبي صلى الله عليه وسلم وقرأ هذه الآية: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ [النساء:٦٤] وأنشد الأبيات، وطلب من الرسول المغفرة، وبعد ذلك

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد ابن عثيمين ٥١٢/٢

يقول العتبي: نمت، فرأيت الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: أدرك الأعرابي، وأخبره أن الله قد غفر له.فهذه حكاية باطلة، وأما البيت فمعناه صحيح.." [1]

"- المسألة الثانية) قصة العتبي:ذكر بعض أهل التفسير (١) قصة اغتر بها كثير من الناس، وهي أن العتبي (٢) قال: كنت جالسا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ (النساء:٦٤). وقد جئتك مستغفرا لذنبي مستشفعا بك إلى ربي ثم أنشأ يقول:يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكمنفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرمثم انصرف الأعرابي، فغلبتني عيني، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال: يا عتبي، الحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له).فاستدلوا بها على أمور؛ أهمها جواز شد الرحال إلى قبور الصالحين لطلب الاستغفار والشفاعة منهم.والجواب هو من أوجه:١) أن هذه القصة ساقطة الصحة.قال الحافظ ابن عبد الهادي (٣) في كتابه (الصارم المنكي): (وفي الجملة ليست الحكاية المذكورة عن الأعرابي مما تقوم به الحجة، وإسنادها مظلم ولفظها مختلف (فيه) أيضا، ولو كانت ثابتة لم يكن فيها حجة على مطلوب المعترض، ولا يصلح الاحتجاج بمثل هذه الحكاية، ولا الاعتماد على مثلها عند أهل العلم، وبالله التوفيق).٢) أنها إن صحت فهي صادرة عن أعرابي مجهول، وأنى يكون الاستدلال بمثلها في أمور العقيدة. (٤)٣) أنها إن صحت أيضا وذكر فيها إقرار النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك، فهي ما تزال مناما، وليس من مصادر التشريع الإسلامي المنامات. (٥)٤) من جهة اللغة؛ قوله تعالى (إذ ظلموا) ظرف لما مضى من الزمان فلا يستدل بها على مشروعية الفعل دوما كالظرف (إذا). (٦)٥) أنها إن صحت أيضا فهي مقرونة بحياة النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن فيها **﴿واستغفر لهم الرسول﴾**.٦) أن السلف كلهم لم يصح عن أحد منهم أبدا - وليس في شيء من كتب السنة المعروفة - أنهم فعلوا ذلك، ولم يستدل به أحد من أئمة المذاهب المتبوعة. فكيف يترك (ما أنا عليه وأصحابي) ويذهب إلى أضغاث أحلام في أساطير الأولين.٧) أن شد الرحال إلى القبور منهي عنه مطلقا لحديث (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد)، ولحديث (لا تجعلوا قبري عيدا). (٧)٨) أن مسلما أخرج في الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن خير التابعين رجل يقال له أويس

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ٢٩/٦٢

– وله والدة وكان به بياض (٨) –، فمروه فليستغفر لكم). وفي رواية (لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل)، فلما لقيه عمر قال الحديث، ثم قال: (فاستغفر لي) فاستغفر له. (٩)ودلالة هذا الحديث هنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم أرشد عمر إلى أن يطلب الدعاء من أويس – وهو تابعي –، وأين منزلته من منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! ومع ذلك فقد أرشده الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن يدعو له المفضول ويترك طلب الدعاء من خير الخلق في قبره، وهذا دليل واضح في أن الفرق هو تغير نوع الحياة؛ وقدرة الحي على الدعاء للمعين، بخلاف من حياته برزخية عليه الصلاة والسلام، فتأمل.______________(١) أوردها الحافظ ابن كثير رحمه الله في التفسير (٣٤٧/ ٢) عن الشيخ أبي نصر بن الصباغ في كتابه (الشامل)، وذكر هذه الحكاية النووي رحمه الله في المجموع (٨/ ٢٧٤) وفي الإيضاح (ص ٤٩٨)، وزاد البيتين التاليين:أنت الشفيع الذي ترجى شفاعته على الصراط إذا ما زلت القدموصاحباك فلا أنساهما أبدا مني السلام عليكم ما جرى القلموساقها النووي بقوله: (ومن أحسن ما يقول: ما حكاه أصحابنا عن العتبي – مستحسنين له – ثم ذكرها بتمامها)، وابن كثير هنا لم يروها ولم يستحسنها، بل نقلها كما نقل بعض الإسرائيليات في تفسيره.(٢) قال الحافظ ابن عبد الهادي رحمه الله في كتابه (الصارم المنكي) (ص٢٥٣): (وهذه الحكاية التي ذكرها – المعترض – بعضهم يرويها عن العتبي بلا إسناد، وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب الهلالي، وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب عن أبي الحسن الزعفراني عن الأعرابي، وقد ذكرها البيهقي في كتاب شعب الإيمان بإسناد مظلم عن محمد بن روح بن يزيد البصري، حدثني أبو حرب الهلالي ...).(٣) قال الحافظ السيوطي رحمه الله في كتابه (طبقات الحفاظ) (ص٥٢٤): (الإمام الأوحد المحدث الحافظ الحاذق الفقيه البارع المقرئ النحوي اللغوي ذو الفنون؛ شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي؛ أحد الأذكياء، (ت ٧٤٤ هـ)).(٤) وأقول: عجبا لمن يرد أحاديث السنة الصحيحة في العقيدة مما أورده البخاري ومسلم بحجة أنها أحاديث آحاد في العقائد؛ ويأخذ بمنام رآه رجل مجهول الحال عن أعرابي في قصة واهية، ولكن ﴿من لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾ (النور:٤٠).ويلزم على مثل هذا الاستدلال بعمل الأعرابي؛ أن يبول أحدهم في المسجد النبوي الشريف؛ لما ثبت في الصحيحين أن أعرابيا بال في المسجد!! فمجرد حدوث فعل لا يعني مشروعيته؛ ومن ثم غض الطرف عما جاء في حقه من السنة!(٥) اللهم إلا عند غلاة المتصوفة.وصحيح أن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام حق – كما في الحديث

الصحيح – ولكن بشرط أن يراه على صورته المعروفة، وأيضا بشرط أن لا يحدث في دين الله تعالى ما لم يكن فيه، لقوله تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ (المائدة:٣).(٦) وتفيد أيضا التعليل – زيادة على كونها تختص بالزمن الماضي –، وتأمل قوله تعالى ﴿ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون﴾ (الزخرف:٣٩).(٧) الأول في البخاري (١١٨٩) عن أبي هريرة مرفوعا، والتالي له هو عن أبي هريرة في سنن أبي داود (٢٠٤٢). وقد مر سابقا.(٨) هو مرض في الجلد يجعل الجِلد أبيضا.(٩) مسلم (٢٥٤٢).." [1]

"مسائل على الباب– المسألة الأولى) ما الجواب عن التعارض حول ما نقل عن الإمام مالك رحمه الله في مسألة استقبال القبر أو القبلة في الدعاء؛ فقد قال الإمام الباجي رحمه الله (١) في كتابه (المنتقى) شرح الموطأ (٢): ((مسألة: وأما الدعاء عند القبر؛ فقد قال مالك في المبسوط: (لا أرى أن يقف الرجل عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو؛ ولكن يسلم ثم يمضي)، ولكن روى عنه ابن وهب – في غير المبسوط – أنه يدعو مستقبل القبر؛ ولا يدعو وهو مستقبل القبلة وظهره إلى القبر)؟الجواب: أن هذه القصة الأخيرة – مما لهج بها كثير من المتصوفة – وهي أن الخليفة المنصور العباسي سأل مالكا عن استقبال الحجرة النبوية في الدعاء، فأمره بذلك، وقال: (هو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم)! هي حكاية باطلة مكذوبة على مالك؛ مخالفة للثابت المنقول عنه بأسانيد الثقات في كتب أصحابه، وراويها عن مالك رحمه الله هو محمد بن حميد؛ وقد كذبه كثير من أهل العلم (٣)، عدا عن الانقطاع في السند؛ فإنه لم يدرك أبا جعفر المنصور أصلا. (٤) (٥)______________(١) هو الإمام الحافظ أبو الوليد الباجي؛ سليمان بن خلف بن سعد الأندلسي؛ القرطبي؛ الباجي؛ صاحب التصانيف، (ت ٤٧٤ هـ). انظر السير للذهبي (٥٣٥/ ١٨).(٢) المنتقى (٢٩٦/ ١).وقد رواها القاضي عياض رحمه الله بإسناده في كتابه (الشفا) (ص٥٩٥)، وفيها (وقال: يا أبا عبد الله؛ أستقبل القبلة وأدعو؛ أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: ولم تصرف وجهك عنه؛ وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة؟! بل استقبله، واستشفع به، فيشفعه الله، قال الله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ (النساء:٦٤).(٣) رغم كونه حافظا، وقد أحسن الظن به بعضهم.وفي السير (٥٠٤/ ١١) للحافظ الذهبي رحمه الله (قال أبو علي النيسابوري: قلت لابن خزيمة: لو حدث

---

[1] التوضيح الرشيد في شرح التوحيد خلدون نغوي ٦٢/١

الأستاذ عن محمد بن حميد – فإن أحمد بن حنبل قد أحسن الثناء عليه! – قال: إنه لم يعرفه، ولو عرفه كما عرفناه، لما أثنى عليه أصلا).قلت: وقد علم في مصطلح الحديث أن الجرح مقدم على التعديل، ولا سيما إن كان مفسرا.(٤) أبو جعفر المنصور وفاته (١٥٨ هـ) كما قاله النووي رحمه الله في كتابه (تهذيب الأسماء واللغات) (٢٠٣/ ٢)، أما محمد بن حميد الرازي فقد قال الحافظ الذهبي رحمه الله عنه في السير (٥٠٣/ ١١): (مولده في حدود الستين ومائة).(٥) قال الشيخ الدكتور وهبة الزحيلي حفظه الله ورعاه في كتابه (الفقه الإسلامي وأدلته) (ص١٤٥٣) – في حاشية أبواب صلاة الاستسقاء –: (اتفق الأئمة على أن الدعاء عند قبر رجاء الإجابة بدعة، لا قربة).." [1]

"الشرح- هذا الباب يصلح أن يسمى بباب (النهي عن التحاكم إلى غير شرع الله تعالى).- قال تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا، وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا، فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا، أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا، وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما، فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ (النساء:٦٥).- وقال تعالى: ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون، أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون﴾ (المائدة:٥٠).- مناسبة الباب لكتاب التوحيد أن توحيد العبد لا يكمل الكمال الواجب حتى يحكم شرع الله تعالى في شأنه كله.وإن الحكم بما أنزل الله تعالى فرض، وهو من مقتضى شهادة لا إله إلا الله؛ وأن محمدا رسول الله، وإن ترك الحكم بما أنزل الله؛ وتحكيم غير ما أنزل الله في شؤون المتخاصمين؛ وتنزيل ذلك منزلة القرآن الكريم شرك أكبر وكفر مخرج عن ملة الإسلام.- الحكم لله وحده لأنه هو الذي خلق، قال تعالى: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ (الأعراف:٥٤)، فالأمر له وحده، كما أنه هو الخالق وحده.وإن ترك التحاكم إلى شرعه تعالى رغبة عنه مناف لأصل التوحيد، لأنه فقد بعض

(١) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد خلدون نغوي ١٨٣/١

شروط شهادة لا إله إلا الله؛ ألا وهي المحبة والانقياد والقبول.وأما من ترك التحاكم إلى شرعه تعالى جهالة منه وسفها وإيثارا لهوى النفس وطاعة للشيطان – دون جحود لذلك –؛ مع الاعتراف بالخطأ والتقصير في جنابه تعالى، ومع الإقرار بصحة التنزيل وصلاحه لكل عصر؛ فهو تارك لكمال التوحيد الواجب – الذي يأثم تاركه –، وهو تحت المشيئة. وقد سبق في الباب الماضي وفي باب (تفسير التوحيد) تفصيل هذه المسألة. والحمد لله. (١)_______________(١) قال في فتح المجيد (ص٣٩٧): (فإن كان الذي تحبه وتميل إليه وتعمل به تابعا لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم – لا يخرج عنه إلى ما يخالفه – فهذه صفة أهل الإيمان المطلق، وإن كان بخلاف ذلك أو في بعض أحواله أو أكثرها؛ انتفى عنه من الإيمان كماله الواجب، كما في حديث أبي هريرة: (لا يزني الزاني – حين يزني – وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن) يعني: أنه بالمعصية ينتفي عنه كمال الإيمان الواجب، وينزل عنه في درجة الإسلام وينقص إيمانه، فلا يطلق عليه الإيمان إلا بقيد المعصية أو الفسوق، فيقال: مؤمن عاص، أو يقال: مؤمن بإيمانه؛ فاسق بمعصيته، فيكون معه مطلق الإيمان الذي لا يصح إسلامه إلا به).قلت: وحديث أبي هريرة السابق رواه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧) مرفوعا.وقال الشيخ الفوزان حفظه الله في كتابه (إعانة المستفيد) (١٨٧/ ٢): (من اختار حكم الطاغوت على حكم الله أو سوى بينهما وقال: هما سواء، أو قال: تحكيم الطاغوت جائز، أو حكم بالشريعة في بعض الأمور دون بعض؛ فهذا كافر بالله – كالذين يحكمون الشريعة في الأحوال الشخصية فقط –.أما من حكم بغير ما أنزل الله لهوى في نفسه – وهو يعترف ويعتقد أن حكم الله هو الحق، وحكم غيره باطل، ويعترف أنه مخطئ ومذنب – فهذا يكفر كفرا أصغرا لا يخرج من الملة).." [١]

"– قوله (لا يؤمن أحدكم): هذا فيه نفي لكمال الإيمان الواجب.ومعنى الحديث أن الإنسان لا يكون مؤمنا كامل الإيمان الواجب حتى تكون محبته تابعة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الأوامر والنواهي وغيرها، فيحب ما أمر به، ويكره ما نهى عنه.قال تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ (الأحزاب:٣٦).وفي الصحيحين من حديث أنس مرفوعا (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)، فلا يكون المؤمن مؤمنا حقا حتى يقدم محبة الرسول صلى الله عليه وسلم على محبة جميع الخلق، ومحبة الرسول تابعة لمحبة

---

(١) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد خلدون نغوي ٥٢٣/١

مرسله. (١) (٢)- قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في كتابه (جامع العلوم والحكم) (٣): (فجميع المعاصي تنشأ من تقديم هوى النفوس على محبة الله ورسوله، وقد وصف الله المشركين باتباع الهوى في مواضع من كتابه، وقال تعالى: ﴿فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾ (القصص:٦٤). وكذلك البدع؛ إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع، ولهذا يسمى أهلها أهل الأهواء، وكذلك المعاصي؛ إنما تقع من تقديم الهوى على محبة الله ومحبة ما يحبه الله).قلت: وفي قوله تعالى ﴿فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ (القصص:٥٠) بيان أن من لم يحكم الشريعة فهو صاحب هوى.قال ابن القيم رحمه الله: (وجعل سبحانه وتعالى الاتباع قسمين لا ثالث لهما: إما ما جاء به الرسول، وإما الهوى). (٤)- قوله (هواه): الهوى له معنيان:١) الميل إلى خلاف الحق - وهو المعنى إذا أطلق اللفظ - ، كما في قوله تعالى ﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ (ص:٢٦).وكقوله تعالى أيضا ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾ (النازعات:٤١).٢) المحبة والميل مطلقا، فيدخل فيه الميل إلى الحق وغيره، فيذم ويمدح بحسب المحبوب.وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها؛ قالت: (أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل فلما نزلت ﴿ترجئ من تشاء منهن﴾ (الأحزاب:٥١) (٥)، قلت: يا رسول الله؛ ما أرى ربك إلا يسارع في هواك). (٦)وعلى هذا النوع يحمل حديث الباب، أي: لا يؤمن أحدكم الإيمان الواجب حتى تكون محبته تابعة لمحبة ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم. (٧)- قوله (ورجل من اليهود): اليهود هم المنتسبون إلى دين موسى عليه السلام، وسموا بذلك إما من قوله تعالى عنهم ﴿إنا هدنا إليك﴾ (الأعراف:١٥٦) أي: رجعنا، أو نسبة إلى أبيهم يهوذا، ولكن بعد التعريب صار بالدال.- في القصة أن المنافق أراد التحاكم إلى اليهود لعلمه أنهم يأخذون الرشوة، وهي مصداق قوله تعالى فيهم ﴿سماعون للكذب أكالون للسحت﴾ (المائدة:٤٢)، أي: سماعون للباطل، ﴿أكالون للسحت﴾ أي الحرام، وهو الرشوة - كما قاله ابن مسعود وغير واحد -. (٨) (٩)- فائدة) ليس المقصود من التحاكم إلى الشريعة هو مجرد تحقيق الأمن والعدالة بين الناس! فهذا لا يكفي، بل لابد أن يكون تحكيم الشريعة تعبدا وطاعة لله تعالى، ولا يخفاك إن شاء الله تعالى أن كثيرا من الأحكام هي تعبدية محضة - لا تعقل لدينا - فلا يجوز تعطيلها بحجة أننا لا نعلم وجه إفادتها اجتماعيا أو اقتصاديا أو .....

____

(١) البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).(٢) قال بعض أهل العلم: كل من ادعى محبة

الله عز وجل، ولم يوافق الله في أمره، فدعواه باطلة، وكل محب ليس يخاف الله، فهو مغرور.(٣) جامع العلوم والحكم (٣٩٧/ ٢) عند شرح حديث رقم (٤١) من الأربعين النووية.(٤) روضة المحبين (٤٠٤/ ١).(٥) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في التفسير (٤٤٥/ ٦): (﴿ترجي﴾ أي: تؤخر ﴿من تشاء منهن﴾ أي: من الواهبات أنفسهن، ﴿وتؤوي إليك من تشاء﴾ أي: من شئت قبلتها، ومن شئت رددتها، ومن رددتها؛ فأنت فيها أيضا بالخيار بعد ذلك، إن شئت عدت فيها فآويتها؛ ولهذا قال: ﴿ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك﴾).(٦) البخاري (٥١١٣)، ومسلم (١٤٦٤).(٧) وعلى هذا الوجه - أن الهوى بمعنى المحبة - لا يبقى وجه لإنكار متن الحديث - ممن أنكره من أهل العلم والفضل - بحجة أنه لا يمكن للهوى أن يوافق الشرع؛ وأن الهوى مخالف للشرع دوما؛ وأن الإيمان يكون بمخالفة الهوى باتباع الشرع. واستدلوا لذلك الإنكار بالحديث (حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات). رواه مسلم (٢٨٢٢) عن أنس مرفوعا، وأيضا بحديث (والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله). صحيح. أحمد (٢٣٩٦٧) عن فضالة بن عبيد مرفوعا. الصحيحة (٥٤٩).قلت: بل قد يكون في ما يهواه ويحبه المرء بطبعه ما يؤجر عليه - مع النية الصالحة - كما في حديث (وفي بضع أحدكم صدقة). رواه مسلم (١٠٠٦) عن أبي ذر مرفوعا.(٨) تفسير ابن كثير (١١٧/ ٣).(٩) ملاحظة: سبق في ملحق (قواعد ومسائل في التبرك والبركة) ذكر مسألة فيها الرد على قصة العتبي التي يذكرها بعضهم في شرح قوله تعالى ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾.." [(١)]

"- الفصل الرابع: شبهات والجواب عليها:- الشبهة الأولى) استسقاء عمر بالعباس رضي الله عنهما:روى البخاري (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا؛ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون) (١)، فيفهمون من هذا الحديث أن توسل عمر رضي الله عنه إنما كان بجاه العباس رضي الله عنه ومكانته عند الله سبحانه، وأن توسله هو مجرد ذكر منه للعباس في دعائه؛ وأنه فقط طلب منه لله أن يسقيهم من أجله رضي الله عنهم، وقد أقرته الصحابة على ذلك! فأفاد - بزعمهم - ما يدعون.وأما سبب عدول عمر رضي الله عنه عن التوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم - بزعمهم أيضا - وتوسله بدلا منه بالعباس رضي الله عنه؛ فإنما كان لبيان جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل ليس إلا! أو لعله لم يبلغه حديث

---

(١) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد خلدون نغوي ٣٢٩/١

الضرير! (٢)والجواب (٣):أن قول عمر رضي الله عنه السابق (وإنا نتوسل إليك بعم نبينا) فيه تقدير، فإما أن يكون (نتوسل إليك بجاه عم نبينا) وإما أن يكون (نتوسل إليك بدعاء عم نبينا) والصواب قطعا هو الثاني، وذلك لعدة ملاحظات:١) أن النصوص الشرعية يفسر بعضها بعضا، وذلك بكون الأدلة الشرعية قد تضافرت على أن التوسل بالصالحين كان بإتيانهم؛ فيدعون لهم، ويرشد إلى ذلك قوله تبارك وتعالى ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ (النساء:٦٤). (٤)٢) أن المقارن به في التوسل كان (إنا كنا نتوسل إليك بنبينا، فتسقينا) فإذا علمت صفة هذا التوسل الأول علمت صفة الآخر - وهو موضوع النزاع -، والناظر في السنة يجد أن الصحابة رضي الله عنهم لما قحطوا جاء بعضهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فطلب منه الدعاء، ولو كان المقصود هو التوسل بالجاه لبقي الطالب في داره وتوسل به! - إذ إن الجاه موجود في كلا الحالتين كما لا يخفى - . (٥)٣) أن العباس رضي الله عنه عندما توسلوا به قام فدعى (٦)، فبان بذلك أن توسله هو الدعاء.__________(١) البخاري (١٠١٠) عن أنس.(٢) وسيأتي ذكره قريبا.(٣) بتصرف يسير وزيادة عما في الأصل.(٤) ولتمام الفائدة راجع مسألة قصة العتبي في ملحق (قواعد ومسائل في التبرك والبركة).(٥) وقد سبق أثر أنس رضي الله عنه في إتيان الأعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم - وهو يخطب - فطلب منه الاستسقاء لهم.(٦) نقله الحافظ العسقلاني رحمه الله في الفتح (٣/ ١٥٠) حيث قال: (وقد بين الزبير بن بكار في الأنساب صفة ما دعا به العباس في هذه الواقعة والوقت الذي وقع فيه ذلك، فأخرج بإسناد له أن العباس لما استسقى به عمر قال: (اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيث)، فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض وعاش الناس).." [١]

"يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون * إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون * ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون﴾ (١) .والقائل سبحانه وتعالى: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا *وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا * فكيف إذا أصابتهم

---

(١) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد خلدون نغوي ٤١٤/١

مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا *أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا * وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما* فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ (٢) .والقائل – أيضا –في محكم كتابه: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾ (٣) .وهل قام الذين يحتفلون بالموالد بكل تعاليم الإسلام كبيرها وصغيرها من الأركان والفروض والواجبات والسنن، حتى يبحثوا عن بدعة حسنة- كما يزعمون- رغبة في زيادة الأجر والثواب من الله؟! الله أكبر!!!.نسأل الله للجميع الهداية والتوفيق إلى صراطه المستقيم، وأن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه، والباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه إنه ولي ذلك والقادر عليه، والله أعلم.__________(١) – سورة النور والآيات:٤٧- ٥٢.(٢) – سورة النساء الآيات:٦٠- ٦٥.(٣) – سورة النساء:١١٥.." [1]

"وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها (١).وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر (٢).وأما الإجماع: فقد اتفق العلماء أن التوبة من الكفر مقبولة ما لم يوقن الإنسان بالموت بالمعاينة، ومن الزنا، ومن فعل فعلة قوم لوط، ومن شرب الخمر، ومن كل معصية بين المرء وربه تعالى، مما لا يحتاج في التوبة إلى دفع مال، ومما ليس مظلمة للإنسان (٣). فالتوبة مانع شامل، يمنع إنفاذ وعيد جميع الذنوب كالكفر وما دونه، وهذا الشمول مختص بهذا المانع (٤). فالتوبة تمحو جميع السيئات، وليس شيء يغفر جميع الذنوب إلا التوبة (٥).ثانيا: الاستغفار:دلت النصوص الشرعية على أن الاستغفار مانع من إنفاذ الوعيد، ومن هذه النصوص:- . قوله تعالى: "والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون * أولئك جزآؤهم مغفرة من ربهم" (آل عمران، آية: ١٣٥ . ١٣٦).. وقوله تعالى: " ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما" (النساء، آية: ١١).. وقوله تعالى: " ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جآؤوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا

---

(١) البدع الحولية عبد الله التويجري ص/٢٠٦

رحيما" (النساء، آية: ٦٤).ــــــــــــــــــــ(١) مسلم (٤/ ٢١١٣).(٢) صحيح الجامع الصغير للألباني (١/ ٣٨٦).(٣) موانع إنفاذ الوعيد د. عيسى السعدي صـ٤١.(٤) المصدر نفسه صـ٤١.(٥) منهاج السنة (٣/ ١٨٠).." [1]

"مظاهر الغلو والضلالأثر عقيدة الإمامة في الكتاب يظهر فيما يأتى:أولا: القول بتحريف القرآن الكريم:ما ذكرناه آنفا من القول بالتحريف، وبينا من قبل أن عقيدة أولئك الغلاة هي التي دفعتهم إلى ما ذهبوا إليه (١) ونزيد ذلك بيانا بقليل من الأمثلة التي ما أكثرها في هذا التفسير!!نسب للإمام ابى جعفر أنه قال: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جآؤوك يا على فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ هكذا نزلت. ... ثم قال: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ... ﴾ (٢) .وفى سورة الزخرف قال تعالى: ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل﴾ (٣) . وواضح ان الآيات تتحدث عن المسيحــــــــــــــــ(١) راجع ص ١٥٣ من هذا الفصل.(٢) ١ / ١٤٢، والآيتان من سورة النساء " ٦٤ ـ ٦٥ "، والخطاب فيهما للرسول الكريم، فجعله القمي للإمام على فزاد " يا على " مرتين، أي أن هذه الزيادة حذفت من القرآن الكريم، وهذا يذكرنا بالفرقة الغرابية ـ من غلاة الشيعة ـ التي قالت بأن الرسالة كانت لعلى فأخطأ جبريل ونزل على محمد!!(٣) الآيات ٥٧ ـ ٥٩.." [2]

"فقال هم أولياء فلان وفلان (١) ، اتخذوهم أئمة من دون الإمام الذي جعل الله للناس، فلذلك قال الله تبارك وتعالى: ﴿ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا﴾ إلى قوله: ﴿وما هم بخارجين من النار﴾ قال: ثم قال أبو جعفر: والله يا جابر هم أئمة الظلم وأشياعتهم (٢) .وفى رواية أخرى: أعداء على هم المخلدون في النار أبد الآبدين، ودهر الداهرين (٣) .وروى عن عبد الله النجاشى قال: سمعت أبا عبد الله يقول: (أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا﴾ يعنى والله فلانا وفلانا ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله﴾ إلى قوله ... ﴿توابا رحيما﴾ يعنى والله النبي وعليا بما صنعوا، أي لو جاءوك بها يا على فاستغفروا مما صنعوا، ﴿**واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا يؤمنون حتى

---

(١) الإيمان باليوم الآخر علي محمد الصلابي ص/٢٥٨

(٢) مع الاثنى عشرية في الأصول والفروع علي السالوس ص/٤٩١

يحكموك فيما شجر بينهم﴾ ثم قال أبو عبد الله: هو والله______________(١) يقصد الخلفاء الراشدين الثلاثة، ومن بايعهم.(٢) تفسير العياشى ٧٢/١، والآيات الكريمة في سورة البقرة من ١٦٥/١٦٧، ومن الواضح أنها تتحدث عن المشركين عبده الأوثان " ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا ... . "، فجعلها العياشى: من دون الإمام.(٣) تفسير العياشى ٧٢/١، والآيات الكريمة في سورة البقرة من ١٦٥/١٦٧، ومن الواضح أنها تتحدث عن المشركين عبده الأوثان " ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا ... . "، فجعلها العياشى: من دون الإمام.." (١)

"علوا كبيرا﴾ قال: قتل الحسين ﴿فإذا جاء وعد أولاهما﴾ : فإذا جاء نصر دم الحسين ﴿بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار﴾ قوم يبعثهم الله قبل خروج القائم، فلا يدعون وترا لآل محمد إلا قتلوه ﴿وكان وعدا مفعولا﴾ خروج القائم، ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم﴾ خروج الحسين في سبعين من أصحابه، عليهم البيض المذهب، لكل بيضة وجهان، المؤدون إلى الناس أن الحسين قد خرج حتى لا يشك المؤمنون فيه، وأنه ليس بدجال ولا شيطان، والحجة القائم بين أظهرهم، فإذا استقرت المعرفة في قلوب المؤمنين أنه الحسين جاء الحجة الموت، فيكون الذى يغسله ويكفنه ويحنطه ويلحده فى حضرته الحسين بن على، ولا يلى الوصى إلا الوصى (١) .وعن عبد الله بن النجاش قال: سمعت أبا عبد الله رضي الله عنه يقول في قول الله ... عز وجل: ﴿أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا﴾ يعنى الله فلانا وفلانا (٢) . ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جآؤوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ يعنى والله النبى صلى الله عليه وسلم وآله وعليا رضي الله عنه " مما صنعوا " (٣) أى لو جاءوك بها يا على فاستغفروا الله مما صنعوا، واستغفر لهم______________(١) ص ٢٠٦، والآيات المذكورة من سورة الإسراء (٤-٦) .(٢) " فلانا وفلانا " يقصد هذا الكلينى الشيخين: الصديق والفاروق.(٣) " مما صنعوا " زيادة ليست من الآية الكريمة.." (٢)

"وأما السلام فكثير من الناس يتجاوز السلام إلى الدعاء مستقبلا القبر وهذا أمر غير جائز شرعا، فإذا أراد الإنسان الدعاء فليستقبل القبلة. وقد اعتاد (المزورون) أن يلقنوا الناس صيغا من السلام والدعاء يرددونها

---

(١) مع الاثنى عشرية في الأصول والفروع علي السالوس ص/٥٢٥

(٢) مع الاثنى عشرية في الأصول والفروع علي السالوس ص/٧٧٣

بصوت مرتفع. وفي هذا من الإيذاء والجفاء ما لا يجوز أن يحدث في أي مسجد فضلا عن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.وأما الدعاء فكثير من الناس تجاوز حد الشرع في الدعاء فيطلبون من الرسول صلى الله عليه وسلم ما لا يطلب إلا من الله وفي هذا من الشرك ما فيه وذلك كقولهم: (يا رسول الله نحن وفدك جئناك من بلاد بعيدة، قاصدين قضاء حقك، والنظر إلى مآثرك، وأن نستشفع بك إلى ربنا، فإن الخطايا قد قصمت ظهورنا، والأوزار قد أثقلت كواهلنا، أنت الشافع المشفع، الموعود بالشفاعة والمقام المحمود، وقد قال الله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ [النساء: ٦٤] (١) وقد جئناك مستغفرين لذنوبنا فاشفع لنا إلى ربك، واسأله أن يميتنا على سنتك، وأن يحشرنا في زمرتك، وأن يوردنا حوضك، وأن يسقينا بكأسك غير خزايا ولا نادمين، الشفاعة، الشفاعة يا رسول الله) (٢) .وهذا من البدع المفضية إلى الشرك لأن طلب الشفاعة، والموت على السنة، وغير ذلك من الحوائج، لا يجوز طلبها إلا من الله وحده، فلا يجوز سؤالها وطلبها من النبي صلى الله عليه وسلم، بعد موته. وأما طلب الدعاء فإنما يكون في حياته لا بعد مماته.٤ – التمسح بالحجرة وتقبيل شباكها واستلامه والطواف بها: وهذه أمور من العبادة لا تجوز إلا في الكعبة. ففعلها في المسجد النبوي محرم شرعا.__________(١) سورة النساء، آية (٦٤) .(٢) الحج والعمرة في الفقه الإسلامي، د. نور الدين عتر، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص٢٦٠.." (١)

"﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ ١، وقد جئتك مستغفرا لذنبي مستشفعا بك إلى ربي، ثم أنشأ يقول:يا خير من دفنت في الأرض أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكمنفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرمثم انصرف الأعرابي، فغلبتني عيني، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال: يا عتبي، الحق بالأعرابي فبشره أن الله غفر له.والجواب عن ذلك: أن الحكايات والمنامات لا تصلح دليلا تبنى عليه أحكام وعقائد، وقوله تعالى: ﴿جاءوك﴾ المراد به: المجيء إليه صلى الله عليه وسلم في حياته، لا المجيء إلى قبره، بدليل أنه لم يكن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان يأتي إلى قبره صلى الله عليه وسلم______________١ سورة النساء، الآية: ٦٤.." (٢)

---

(١) محبة الرسول بين الاتباع والابتداع عبد الرءوف محمد عثمان ص/٢٧٨

(٢) بيان حقيقة التوحيد الذي جاءت به الرسل ودحض الشبهات التي أثيرت حوله صالح الفوزان ص/٤٢

"أما الكتاب فقول الله عز وجل: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جآؤوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ [النساء: ٦٤] .قال ابن حجر الهيتمي (ت – ٩٧٣هـ) عن هذه الآية: (دلت على حث الأمة على المجيء إليه صلى الله عليه وسلم، والاستغفار عنده، واستغفاره لهم، وهذا لا ينقطع بموته.ودلت – أيضا – على تعليق وجدانهم الله توابا رحيما بمجيئهم واستغفارهم واستغفار الرسول لهم) (١) .وأما من السنة: فيستدلون بأدلة عدة:منها حديث: (من زار قبري وجبت له شفاعتي) .وحديث: (من حج فزار قبري بعد وفاتي، فكأنما زارني في حياتي) .وحديث: (من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني) .وحديث: (من زار قبري، أو من زارني كنت له شفيعا أو شهيدا) ، وغيرها من الأحاديث (٢) .ويرى أولئك أن الزيارة: سنة مؤكدة، لكنها مشروطة بالاستطاعة كاستطاعة الحج؛ لأنهم يرون أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد حذر أمته من ترك الزيارة أشد التحذير وأرشد إليها بأبلغ بيان، مما يخشى التارك لها على نفسه القطيعة والعواقب، فترك زيارته صلى الله عليه وسلم جفاء، وهو من ترك البر والصلة.وأما ذكر الحج في الزيارة ليس قيدا فهو لا مفهوم له عندهم، إذن: التارك للزيارة يخشى عليه من العقوبات والقبائح (٣) .__________(١) الجوهر المنظم ص١٢.(٢) انظر: في أحاديث الزيارة: شفاء السقام للسبكي ص٥ – ٣٩، الجوهر المنظم للهيتمي ص١٥، ٤٢ – ٤٦، تحفة الزوار للهيتمي ص٢٩ – ٣٧، دفع شبه من شبه للحصني ص١٠٩، السيف الصقيل للسبكي حاشية الكوثري ص١٥٨، شفاء الفؤاد للمالكي ص١٥.(٣) انظر: الجوهر المنظم للهيتمي ص٦٨.." (١)

"مطلقا، أو قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وإنما نهى عن الزيارة غير الشرعية وهي ما ينهى عنه الإسلام، وقد أنصفه ابن عابدين (١)في قوله: (وما نسب إلى الحافظ ابن تيمية الحنبلي من أنه يقول بالنهي عنها – أي زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم –، فقد قال بعض العلماء: إنه لا أصل له، وإنما يقول بالنهي عن شد الرحال إلى غير المساجد الثلاث (٢) ، أما نفس الزيارة فلا يخالف فيه لزيارة سائر القبور) (٣) .وأما احتجاج مثبتة الزيارة البدعية بقوله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جآؤوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ [النساء: ٦٤] ، وأن ذلك يدل عليها، فقد رد ابن تيمية رحمه الله عليهم مبينا المعنى الصحيح للآية بقوله:(دعاهم – سبحانه – بعدما فعلوه من النفاق إلى التوبة وهذا من كمال رحمته بعباده، يأمرهم قبل المعصية بالطاعة، وبعد المعصية بالاستغفار، وهو رحيم بهم في

---

(١) دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية – عرض ونقد عبد الله بن صالح الغصن ص/٣٢٤

كلا الأمرين.. وقوله (جاءوك) : المجيء إليه في حضوره معلوم كالدعاء إليه.وأما في مغيبه ومماته فالمجيء إليه كالدعاء إليه، والرد إليه، قال تعالى: ﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول﴾ [النساء: ٦١] ، وقوله تعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾ [النساء: ٥٩] ، وهو الرد والمجيء إلى ما بعث به من الكتاب والحكمة.وكذلك المجيء إليه لمن ظلم نفسه هو الرجوع إلى ما أمره به ...وأما مجيء الإنسان إلى الرسول صلى الله عليه وسلم عند قبره، وقوله: استغفر لي، أوسل لي ربك ... فهذا لا أصل له، ولم يأمر الله بذلك، ولا فعله واحد من__________(١) ابن عابدين: محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز بن عابدين الدمشقي، فقيه الديار الشامية، وإمام الحنفية في عصره، ولد وتوفي في دمشق، ت سنة ١٢٥٢هـ.انظر في ترجمته: الأعلام للزركلي ٦/٢٦٧.(٢) الصواب أن يقال: (الثالثة) .(٣) حاشية رد المحتار ٢/٦٢٦.." [(١)]

"بينه وبين السماء سقف، ففعلوا، فمطروا حتى نبت العشب، وسمنت الإبل، حتى تفتقت من الشحم، فسمي عام الفتق) (١) .ويذكرون قصة الأعرابي الذي جاء إلى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: السلام عليك يا رسول الله، يا خير الرسل إن الله أنزل عليك كتابا صادقا، قال فيه: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جآؤوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ [النساء: ٦٤] ، وقد جئتك مستغفرا من ذنبي، مستشفعا بك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ربي - عز وجل - وأنشأ يقول:يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكمنفسي الفداء بقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرمقال راوي هذه القصة العتبي (٢) : ثم استغفر الأعرابي وانصرف، فحملتني عيناي، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال: يا عتبي، الحق الأعرابي فبشره بأن الله تعالى قد غفر له، فخرجت خلفه فلم أجده (٣) .والحال الرابع: التوسل به صلى الله عليه وسلم في عرصات القيامة، حين يلجأ الناس إليه ليشفع لهم الشفاعة العظمى (٤) .__________(١) الحديث أخرجه الدارمي في سننه ١/٤٣ - ٤٤ باب ما أكرم الله به نبيه بعد موته، وهو ضعيف، ضعفه شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على البكري ص٦٧، والألباني في التوسل ص١٠٤.(٢) العتبي: محمد بن عبد الله بن عمرو الأموي، أحد الفصحاء الأدباء من ذرية عتبة بن أبي سفيان بن حرب، كان من أعيان الشعراء بالبصرة، ت سنة ٢٢٨هـ.انظر في ترجمته: النجوم الزاهرة للأتابكي ٢/٢٥٣، شذرات الذهب لابن العماد ٢/٦٥.(٣) انظر: مثير الغرام

---

(١) دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية - عرض ونقد عبد الله بن صالح الغصن ص/٣٣٤

الساكن لابن الجوزي ٢/٣٠١ - ٣٠٢، وانظر: دفع شبه من شبه وتمرد للحصني ص٧٥، الجوهر المنظم للهيتمي ص١٢٤ - ١٢٥.(٤) انظر: شفاء السقام للسبكي ص١٥٣، تحفة الزوار للهيتمي ص٨٩ - ١٣٦، حقيقة التوسل والوسيلة لموسى علي ص٣٠، ٣٩، ارمقالات السنية للحبشي ص٩٩، محق التقول للكوثري (ضمن المقالات ص٤٦١) .." [1]

"من العلماء من قال تقبل، ومن العلماء من قال: لا تقبل توبة المنافق وتوبة من سب الله وسب الرسول أو استهزء بالله أو بالرسول أو بدينه والساحر، كل هؤلاء يقتلون ولا تقبل توبتهم في الدنيا، أما في الآخرة فأمرهم إلى الله من صدق مع الله صدقه الله، وأما في الآخرة فإن كان مخلصا قبلت توبته، وإن لم يعلم منه إخلاصه لم تقبل توبته.

أما في الدنيا فإنه يعامل معاملة المرتد إذا أخذ قبل التوبة، أما إذا ادعى التوبة ثم سلم نفسه ففيه الخلاف هذا على حسب اجتهاد الحاكم، إما أن يقبل توبته وإما ألا يقبلها.

مذهب أهل الاستقامة وأدلتهم: أهل الاستقامة يوصون بمتابعة العلم ومتابعة الشرع عن طريق الوحي لا الوهم ويعتقدون أن النبوة أخص من الولاية والرسالة أخص من النبوة فكل رسول نبي وكل نبي ولي، ولا عكس فليس كل نبي رسولا وليس كل ولي نبيا، أدلتهم على أن الله أوجب على الخلق متابعة الرسل أولا قول اللہ -تعالى -: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما (٦٤) فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (٦٥) ﴾ .

وجه الدلالة: أن الله أوجب طاعة الرسول وأمر بطلب الاستغفار منه وأخبر أن من لم يحكم الرسول في النزاع فليس بمؤمن.

ثانيا: قول الله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم (٣١) ﴾ وجه الاستدلال أن الله أخبر أن محبة الله لا تحصل إلا بمتابعة الرسول.

قف على كراماتهم وإلى هنا نكتفي وفق الله الجميع لطاعته، ورزق الله الجميع العلم النافع والعمل الصالح

---

(١) دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية - عرض ونقد عبد الله بن صالح الغصن ص/٤٤٧

ونأخذ المهم من الأسئلة، وغدا إن شاء الله يكون الدرس بعد المغرب وبعد العشاء، وإن شاء الله نكمل العقيدة الطحاوية، وفق الله الجميع لطاعته.." [1]

"وحقا، نظيرها (وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى «١») فقال الله تعالى مكذبا لهم: (أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم) قال الزجاج: معناه قد علم الله أنهم منافقون. والفائدة لنا: اعلموا أنهم منافقون. (فأعرض عنهم) قيل: عقابهم. وقيل: عن قبول اعتذارهم (عظهم) أي خوفهم. قيل في الملا. (وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا) أي ازجرهم بأبلغ الزجر في السر والخلاء. الحسن: قل لهم إن أظهرتم ما في قلوبكم قتلتكم. وقد بلغ القول بلاغة، ورجل بليغ يبلغ بلسانه كنه ما في قلبه. والعرب تقول: أحمق بلغ وبلغ، أي نهاية في الحماقة. وقيل: معناه يبلغ ما يريد وإن كان أحمق. ويقال: إن قوله تعالى: (فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم) نزل في شأن الذين بنوا مسجد الضرار «٢»، فلما أظهر الله نفاقهم، وأمرهم بهدم المسجد حلفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم دفاعا عن أنفسهم: ما أردنا ببناء المسجد إلا طاعة الله وموافقة الكتاب.[سورة النساء (٤): آية ٦٤]وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما (٦٤)قوله تعالى: (وما أرسلنا من رسول) (من) زائدة للتوكيد. (إلا ليطاع) فيما أمر به ونهى عنه. (بإذن الله) بعلم الله. وقيل: بتوفيق الله. (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك) روى أبو صادق «٣» عن علي قال: قدم علينا أعرابي بعد ما دفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام، فرمى بنفسه على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحثا على رأسه من ترابه، فقال: قلت يا رسول الله فسمعنا قولك، ووعيت عن الله فوعينا عنك، وكان فيما أنزل الله عليك (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم) الآية، وقد ظلمت نفسي وجئتك______________(١). راجع ج ٨ ص ٢٥٢ فما بعدها.(٢). هو مسجد بقباء، وهى قرية على بعد ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة، وهذا المسجد يتطوع العوام بهدمه. (معجم البلدان).(٣). الأزدي الكوفي أرسل عن على.." [2]

"قال ابن عباس: عرض الله التوبة على بني أبيرق بهذه الآية، أي (ومن يعمل سوءا)بأن يسرق (أو يظلم نفسه)بأن يشرك (ثم يستغفر الله)يعني بالتوبة، فإن الاستغفار باللسان من غير توبة لا ينفع، وقد بيناه في (آل عمران) «١». وقال الضحاك: نزلت الآية في شأن وحشي قاتل حمزة أشرك بالله وقتل حمزة، ثم

(١) شرح الطحاوية للراجحي عبد العزيز الراجحي ص/٣٧٨

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٥/٢٦٥

جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: إني لنادم فهل لي من توبة؟ فنزل: (ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه)الآية. وقيل: المراد بهذه الآية العموم والشمول لجميع الخلق. وروى سفيان عن أبي إسحاق عن الأسود وعلقمة قالا: قال عبد الله بن مسعود من قرأ هاتين الآيتين من سورة (النساء) ثم استغفر غفر له: (ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما). (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما). وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: كنت إذا سمعت حديثا من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعني الله به ما شاء، وإذا سمعته من غيره حلفته «٢»، وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر: قال: ما من عبد يذنب ذنبا ثم يتوضأ ويصلي ركعتين ويستغفر الله إلا غفر له، ثم تلا هذه الآية (ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما).[سورة النساء (٤): الآيات ١١١ الى ١١٢]ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما (١١١) ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا (١١٢)قوله تعالى: (ومن يكسب إثما)أي ذنبا (فإنما يكسبه على نفسه)أي عاقبته عائدة عليه. والكسب ما يجربه الإنسان إلى نفسه نفعا أو يدفع عنه به ضررا، ولهذا لا يسمى فعل الرب تعالى كسبا. قوله تعالى: (ومن يكسب خطيئة أو إثما)قيل: هما بمعنى واحد كرر لاختلاف اللفظ تأكيدا. وقال الطبري: إنما فرق بين الخطيئة والإثم أن الخطيئة تكون عن عمد وعن غير______________(١). راجع ج ٤ ص ٣٨.(٢). كذا في اوج، ز، ط، ى. وفي ج: خلفته.." [(١)]

"ذلك المصائب فيأتون إليه أذلة يحلفون ويعتذرون، وظاهر سبب الآية أن مجيئهم للحلف بعد المعصية فهو معطوف على إصابتهم، ابن عرفة: ويحتمل أن يكون قبلها ويكون معطوفا على قوله: (بما قدمت أيديهم) فتكون المصيبة بالمهم بسبب فعلهم السيئات المعبر عنها (بما قدمت أيديهم) وسبب كذبهم في قولهم: (إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا).قوله تعالى: ﴿أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم ... (٦٣)﴾أفاد كمال الوعيد وأنهم مجازون على ذلك فيجازون على جميع ما في قلوبهم من الاعتقاد المناقض ومن عدم الاعتقاد.قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ... (٦٤)﴾قال ابن عرفة: الصواب أن معناه بأمر الله ويمتنع أن يفسر الإذن بالإرادة؛ لأنه يلزم عليه، أما الحلف في الخبر أو مذهب المعتزلة، لأن مذهبهم أن السعي غير مراد الله لأنه ما أراد إلا الطاعة، وأجيب: بأنه ليس المراد الطاعة بل معنى الآية

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٥/٣٨٠

ليطاع بإرادة فمن أراد طاعته أطاع الرسول، ومن أراد معصيته عصاه.قوله تعالى: (**واستغفر لهم الرسول)**.فائدته أن في استغفار الله مع معصيتهم الرسول لا ينفع.قوله تعالى: ﴿ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا ... (٦٥)﴾فائدة العطف بثم أن الإنسان حالة الحكم لا بد أن يجد في نفسه حرجا ما لكنه معفو عنه، وإنما الشدائد التمادي على ذلك، وأيضا فإن الحرج الجبلي معفو عنه، والمعتبر الحرج الذي يظهر أثره؛ لأن النفس تخرج من نفس الحكم تارة، وتخرج تارة من حكم فلان عليه مخرجه من نفس الحكم معفو عنه، وخرجه لأجل حكم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم منهيا عنه؛ لأنه في مظنة التمادي عليه فلذلك عطفه بـ (ثم)قوله تعالى: (ويسلموا تسليما).كان ابن عبد اللام يقول في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) أنه يكفي أن يقول الإنسان: صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؛ لأنه المقصود الإخبار للغير حقيقة فهو إنشاء لا إخبار فكان غيره يقول: لا بد أن يزيد تسليما كما في الآية.." (١)

"وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما (٦٤)(وما أرسلنا من رسول) من زائدة للتوكيد قاله الزجاج، والمعنى وما أرسلنا رسولا (إلا ليطاع) فيما أمر به ونهى عنه، وهذه لام كي، والاستثناء مفرغ أي ما أرسلنا لشيء من الأشياء إلا للطاعة (بإذن الله) بعلمه وقيل بأمره وقيل بتوفيقه، وفيه توبيخ وتقريع للمنافقين الذين تركوا حكم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ورضوا بحكم الطاغوت.(ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم) بترك طاعتك والتحاكم إلى غيرك من الطاغوت وغيره (جاؤوك) متوسلين إليك تائبين من النفاق متنصلين عن جناياتهم ومخالفاتهم (فاستغفروا الله) لذنوبهم بالتوبة والإخلاص وتضرعوا إليك حتى قمت شفيعا لهم فاستغفرت لهم، وإنما قال (**واستغفر لهم الرسول**) على طريقة الالتفات لقصد التفخيم لشأن الرسول – صلى الله عليه وسلم – وتعظيما لاستغفاره وإجلالا للمجيء إليه (لوجدوا الله توابا رحيما) أي كثير التوبة عليهم والرحمة لهم.وهذا المجيء يختص بزمان حياته صلى الله عليه وآله وسلم، وليس المجيء إليه يعني إلى مرقده المنور بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم مما تدل عليه هذه الآية كما قرره في (الصارم المنكى (١)) ولهذا لم يذهب إلا هذا الاحتمال البعيد أحد من سلف الأمة وأئمتها لا من الصحابة ولا من التابعين

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٣٦/٢

ولا ممن تبعهم بالإحسان.____________(١) البخاري ٥/ ٢٦، ومسلم ٤/ ١٨٣٠، ولفظه عن عروة، عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما.." (١)

"٥٥٩٢- حدثنا حجاج بن حمزة، ثنا شبابة، ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: "تنازع رجل من المنافقين ورجل من اليهود، فقال المنافق: اذهب بنا إلى كعب بن الأشرف، وقال اليهودي: اذهب بنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال الله تعالى: " أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا " ".قال تعالى:﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جآؤوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما * فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما * ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا * وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما * ولهديناهم صراطا مستقيما ﴾قوله تعالى: " ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك " إلى قوله " توابا رحيما " ." (٢)

"٥٥٩٣- حدثنا حجاج بن حمزة، ثنا شبابة، ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: " " ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم " إلى قوله " رحيما " هذا في الرجل اليهودي والرجل المسلم اللذين تحاكما إلى كعب بن الأشرف".٥٥٩٤- حدثنا علي بن الحسين، ثنا يزيد بن عبد العزيز، ثنا أبو عبد الله سليمان بن حسان، عن ابن لهيعة، عن عطاء بن دينار، سئل سعيد بن جبير عن الاستغفار، فقال: "الاستغفار، على نحوين: أحدهما بالقول، والآخر بالفعل: فأما الاستغفار بالقول فقول الله تعالى: " ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** " ".قوله تعالى: " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم " ." (٣)

"٣٤٠نزلت في شأن ثعلبة بن حاطب كانت بينه وبين الزبير بن العوام خصومة فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير فخرجا من عنده فمرا على المقداد بن الأسود فقال المقداد لمن كان القضاء يا ثعلبة فقال ثعلبة قضى لابن عمته الزبير ولوى شدقه على وجه الاستهزاء فنزلت هذه الآية " فكيف إذا أصابتهم

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٦٦/٣

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ٢٢٩/٤

(٣) تفسير ابن أبي حاتم، ٢٣٠/٤

مصيبة بما قدمت أيديهم " أي يليه شدقه فلما نزلت هذه الآية أقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذر إليه ويحلف وهو قوله " ثم جاؤوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا " يعني ما أردنا إلا الإحسان في المقالة " وتوفيقا " يقول صوابا وقال الضحاك ومقاتل نزلت في شأن الذين بنوا مسجد الضرار فلما أظهر الله تعالى نفاقهم وأمر بهدم المسجد حلفوا للرسول صلى الله عليه وسلم دفعا عن أنفسهم ما أردنا ببناء المسجد إلا طاعة الله تعالى وموافقة الكتابقوله تعالى " أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم " من ال ضمير وقال الزجاج معناه قد علم الله أنهم منافقون والفائدة لنا أن اعلموا أنهم منافقون قال ومعنى قوله " وتوفيقا " أي طلبا لما وافق الحقثم قال تعالى " فأعرض عنهم " ولا تعاقبهم " وعظهم " بلسانك " وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا " يعني خوفهم وهددهم إن فعلتم الثانية عاقبتكم وقال مقاتل تقدم إليهم تقديما وثيقا ثم نسخ بقوله " يأيها النبي جهد الكفار والمنفقين واغلظ عليهم " سورة التوبة ٧٣سورة النساء الآيات ٦٤ – ٦٥قوله تعالى " وما أرسلنا من رسول " و " من " صلة فكأنه قال وما أرسلنا رسولا " إلا ليطاع بإذن الله " لكي يطاع بأمر الله ثم قال " ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم " بصنيعهم " جاؤوك " بالتوبة " فاستغفروا الله " لذنوبهم " **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما " متجاوزاقوله تعالى " فلا وربك لا يؤمنون " كقول القائل لا والله لا يؤمنون " حتى يحكموك " يعني حتى يقروا ويرضوا بحكمك يا محمد " فيما شجر بينهم " يعني فيما اختلفوا فيه ويقال تشاجرا أي اختلفا ويقال فيما التبس عليهمقال الفقيه حدثنا الخليل بن أحمد قال حدثنا الديبلي قال حدثنا أبو عبيد الله عن سفيان عن عمرو عن رجل من ولد أم سلمة عن أم سلمة أنها قالت كان بين الزبير بن العوام وبين رجل خصومه فقضى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير فقال الرجل إنما قضى له لأنه ابن عمته." (١)

"وأخرج البيهقي عن أبي حرب الهلالي قال : حج أعرابي إلى باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أناخ راحلته فعقلها ثم دخل المسجد حتى أتى القبر ووقف بحذاء وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله جئتك مثقلا بالذنوب والخطايا مستشفعا بك على ربك لأنه قال في محكم تنزيله (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما) (النساء الآية ٦٤).وقد جئتك بأبي أنت وأمي مثقلا بالذنوب والخطايا استشفع بك على ربك أن يغفر لي ذنوبي وأن تشفع في ثم أقبل في عرض الناس وهو يقول : يا خير من دفنت في الترب أعظمه

---

(١) بحر العلوم ـ ، ١/٣٤٠

* فطاب من طيبهن القاع والأكم نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم.وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن عمر ، أنه كان يقول للحاج إذا قدم : تقبل نسكك وأعظم أجرك وأخلف نفقتك.وأخرج البيهقي عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم أحدكم." [1]

"﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم﴾ الآية قال : هذا في الرجل اليهودي والرجل المسلم اللذين تحاكما إلى كعب بن الأشرف.وأخرج ابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال : الاستغفار على نحوين : أحدهما في القول والآخر في العمل ، فأما استغفار القول فإن الله يقول ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول**﴾ وأمااستغفار العمل فإن الله يقول (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) (الأنفال الآية ٣٣) فعنى بذلك أن يعملوا عمل الغفران ولقد علمت أن أناسا سيدخلون النار وهم يستغفرون الله بألسنتهم ممن يدعي بالإسلام ومن سائر الملل.الآية ٦٥.أخرج عبد الرزاق وأحمد ، وعبد بن حميد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ، وابن ماجه ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن حبان والبيهقي من طريق الزهري أن عروة بن الزبير حدث عن الزبير بن العوام : أنه خاصم رجلا من الأنصار قد شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرة كانا." [2]

"فتستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول**) (النساء الآية ٤٨) الآية.وأخرج ابن جرير عن حبيب بن أبي ثابت قال : جاءت امرأة إلى عبد الله بن مغفل فسألته عن امرأة فجرت فحبلت ولما ولدت قتلت ولدها فقال : ما لها إلا النار ، فانصرفت وهي تبكي فدعاها ثم قال : ما أرى أمرك إلا أحد أمرين ﴿ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما﴾ فمسحت عينها ثم مضت.وأخرج ابن أبي حاتم ، وابن السني في عمل اليوم والليلة ، وابن مردويه ، عن علي ، قال : سمعت أبا بكر يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من عبد أذنب فقام فتوضأ فأحسن وضوءه ثم قام فصلى واستغفر من ذنبه إلا كان حقا على الله أن يغفر له لأن الله يقول ﴿ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما﴾.وأخرج أبو يعلى والطبراني ، وابن مردويه عن أبي الدرداء قال : كان رسول الله صلى الله

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٤٧٤/٢

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٥٢٠/٤

عليه وسلم إذا جلس وجلسنا حوله وكانت له حاجة فقام إليها وأراد الرجوع ترك نعليه في مجلسه أو بعض ما يكون عليه وأنه قام فترك نعليه فأخذت ركوة من ماء فاتبعتهفمضى ساعة ثم رجع ولم يقض حاجته." [1]

"أي جانبه، وهو أبعد عن المعنى الحقيقي من الأول لأنه مبني على التشبيه.والوعظ: الأمر بفعل الخير وترك الشر بطريقة فيها تخويف وترقيق يحملان على الامتثال، والاسم منه الموعظة، وتقدم آنفا عند قوله تعالى ﴿إن الله نعما يعظكم به﴾ [النساء:٥٨]. فهذا الإعراض إعراض صفح أو إعراض عدم الحزن من صدودهم عنك، أي لا تهتم بصدودهم، فإن الله مجازيهم، بدليل قوله ﴿وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا﴾ ، وذلك إبلاغ لهم في المعذرة، ورجاء لصلاح حالهم، شأن الناصح الساعي بكل وسيلة إلى الإرشاد والهدى.والبليغ فعيل بمعنى بالغ بلوغا شديدا بقوة، أي: بالغا إلى نفوسهم متغلغلا فيها. وقوله ﴿في أنفسهم﴾ يجوز أن يتعلق بقوله ﴿لآبليغا﴾ ، وإنما قدم المجرور للاهتمام بإصلاح أنفسهم مع الرعاية على الفاصلة، ويجوز أن يتعلق بفعل قل لهم، أي ﴿قل لهم﴾ قولا في شأن أنفسهم، فظرفية في ظرفية مجازية، شبهت أنفسهم بظرف للقول.[٦٤] ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ .﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله﴾.جملة معترضة في خلال الخبر عن قضية المنافق الذي تحاكم إلى الطاغوت. وهو رجوع إلى الغرض الأول، وهو الإنحاء عليهم في إعراضهم عن التحاكم إلى الرسول، وأن إعراضهم ذلك مؤذن بنفاقهم: ببيان أن معنى الإيمان الرضا بحكم الرسول إذ ما جاء الرسول إلا ليطاع فكيف يعرض عنه.وقوله ﴿بإذن الله﴾ في موضع الحال من الضمير في يطاع أي متلبسا في ذلك بإذن الله أي بأمره ووصايته، إذ لا تظهر فائدة الشرائع بدون امتثالها. فمن الرسل من أطيع، ومنهم من عصي تارة أو دائما، وقد عصي موسى في مواقع، وعصى عيسى في معظم أمره، ولم يعص محمد من المؤمنين به المحقين إلا بتأويل، مثل ما وقع في يوم أحد إذ قال الله تعالى ﴿وعصيتم﴾ [آل عمران:١٥٢]، وإنما هو عصيان بتأول، ولكنه اعتبر عصيانا لكونه في الواقع مخالفة لأمر الرسول، ولذلك كان أكمل مظاهر الرسالة تأييد الرسول بالسلطان، وكون السلطان في شخصه لكيلا يكون في حاجة إلى غيره، وإنما تم هذا المظهر في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ولذلك وصف بأنه نبي الملاحم، وقد ابتدأت بوارق." [2]

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٦٩١/٤

(٢) التحرير والتنوير، ١٧٥/٤

"ذلك في رسالة موسى عليه السلام، ولم تستكمل، وكملت لمحمد صلى الله عليه وسلم. قال تعالى ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب﴾ [الحديد:٢٥] ولا أحسبه أراد برسله إلا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وكان هو المراد من الجمع لأنه الأكمل فيهم.[٦٤] ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾.عطف على جملة ﴿فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم﴾ [النساء:٦٢] توبيخا لهم على تحاكمهم إذ كان ذلك عصيانا، فإنهم ما كفاهم أن أعرضوا عن تحكيم الرسول حتى زادوا فصدوا عمن قال لهم: تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول. فلو استفاقوا حينئذ من علوائهم لعلموا أن إرادتهم أن يتحاكموا إلى الكفار والكهنة جريمة يجب الاستغفار منها ولكنهم أصروا واستكبروا. وفي ذكر لو وجعل ﴿لوجدوا الله توابا رحيما﴾ جوابا لها إشارة إلى أنهم لما لم يفعلوا فقد حرموا الغفران.وكان فعل هذا المنافق ظلما لنفسه، لأنه أقحمها في معصية الله ومعصية الرسول، فجر لها عقاب الآخرة وعرضها لمصائب الانتقام في العاجلة.﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾[٦٥].تفريع عن قوله ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون﴾ [النساء:٦٠] وما بعده إذ تضمن ذلك أنهم فعلوا ما فعلوا وهم يزعمون أنهم مؤمنون، فكان الزعم إشارة إلى انتفاء إيمانهم، ثم أردف بما هو أصرح وهو أن أفعالهم تنافي كونهم مؤمنين بقوله ﴿لا يؤمنون﴾ ، وأكده بالقسم وبالتوكيد اللفظي.وأصل الكلام: فوربك لا يؤمنون، والعرب تأتي بحرف النفي قبل القسم إذا كان جواب القسم منفيا للتعجيل بإفادة أن ما بعد حرف العطف فسم على النفي لما تضمنته الجملة المعطوف عليها. فتقديم النفي للاهتمام بالنفي، كقول قيس بن عاصم:فلا والله أشربها صحيحا...ولا أشفى بها أبدا سقيما." [1]

" صفحة رقم ٥٠٣ والثالث : أعرض عن قبول الأعذار منهم وعظهم .) وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا (فيه قولان :أحدهما : أن يقول لهم : إن أظهرتم ما في قلوبكم قتلكم ، فإنه يبلغ من نفوسهم كل مبلغ ، وهذا قول الحسن .والثاني : أن يزجرهم عما هم عليه بأبلغ الزواجر .(النساء : (٦٤ - ٦٥) وما أرسلنا من . . . . . " وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم

---

(١) التحرير والتنوير، ١٧٦/٤

لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما " (قوله تعالى :) فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم (ومعنى) شجر بينهم (أي وقع بينهم من المشاجرة وهي المنازعة والاختلاف ، سمي ذلك مشاجرة ، لتداخل بعض الكلام كتداخل الشجر بالتفافها .) ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت (وفي الحرج تأويلان :أحدهما : يعني شكا وهو قول مجاهد .والثاني : يعني إثما ، وهو قول الضحاك .واختلف في سبب نزولها على قولين .أحدهما : أنها نزلت في المنافق واليهودي اللذين احتكما إلى الطاغوت ، وهذا قول مجاهد ، والشعبي .والثاني : أنها نزلت في الزبير ورجل من الأنصار قد شهد بدرا ، تخاصما إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في شراج من الحرة كانا يسقيان به نخلا ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك) فغضب الأنصاري وقال : يا رسول الله آن كان ابن عمتك ، فتلون وجه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى عرف أن قد ساءه ، ثم قال يا." (١)

"وفضلوا الخارجين عن الرسالة علي المؤمنين بها، كما يفضل ذلك بعض من يفضل الصابئة من الفلاسفة والدول الجاهلية ـ جاهلية الترك والديلم والعرب والفرس وغيرهم ـ علي المؤمنين بالله وكتابه ورسوله، وكما ذم المدعين الإيمان بالكتب كلها، وهم يتركون التحاكم إلي الكتاب والسنة، ويتحاكمون إلي بعض الطواغيت المعظمة من دون الله، كما يصيب ذلك كثيرا ممن يدعي الإسلام، وينتحله في تحاكمهم إلي مقالات الصابئة الفلاسفة أو غيرهم، أو إلي سياسة بعض الملوك الخارجين عن شريعة /الإسلام من ملوك الترك وغيرهم، وإذا قيل لهم : تعالوا إلي كتاب الله وسنة رسوله أعرضوا عن ذلك إعراضا، وإذا أصابتهم مصيبة في عقولهم ودينهم ودنياهم بالشبهات والشهوات،أو في نفوسهم وأموالهم عقوبة علي نفاقهم قالوا : إنما أردنا أن نحسن بتحقيق العلم بالذوق، ونوفق بين [الدلائل لشرعية] و [القواطع العقلية] التي هي في الحقيقة ظنون وشبهات، أو [الذوقية] التي هي في الحقيقة أوهام وخيالات ﴿ أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جآؤوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ [

---

(١) النكت والعيون ـ ، ١/٥٠٣

النساء : ٦٣ . ٦٥] ، وقال تعالى : ﴿ ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا." [١]

"وقال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جآؤوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جآؤوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ [النساء : ٦٠ : ٦٥] ، وقوله تعالى : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ [الأنعام : ٣51] ، وقوله تعالى : ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون ﴾ [الأنعام : ١٥٩] ، وقوله تعالى : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم." [٢]

" صفحة رقم ٢٧٤ كونهم) يحلفون بالله) أي الحاوي لصفات الكمال من الجلال والجامل غير مستحضرين لصفة من صفاته) إن) أي ما) أردنا) أي في جميع أحوالنا وبسائر افعالنا) إلا إحسانا وتوفيقا) أي أن تكون الأمور على الوجه الأحسن والأوفق لما رأينا في ذلك مما خفي على غيرنا – وقد كذبوا في جميع ذلك .ولما ذكر سبحانه وتعالى بعض ما يصدر منهم من التناقضات وهم غير محتشمين ولا هائبين ، قال معلما بشأنهم معلما لما يصنع بهم : (أولئك) أي البعداء عن الخير) الذين يعلم الله) أي الحاوي لنعوت العظمة) ما في قلوبهم) أي من شدة البغض للإسلام وأهله وإن اجتهدوا في إخفائه عنه ، ثم سبب تعليما لما يصنع بهم وإعلاما بأنهم لا يضرون إلا أنفسهم قوله : (فأعرض عنهم) أي عن عقابهم وعن الخشية منهم وعن عتابهم ، لأنهم أقل من أن يحسب لهم حساب) وعظهم) أي وإن ظننت أن ذلك لا يؤثر ، لأن القلوب بيد الله سبحانه وتعالى يصطنعها لما أراد متى أراد) وقل لهم في أنفسهم)

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٢٩١/١

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٣٠٦/٥

أي بسببها وما يشرح أحوالها ويبين ونقائصها من نفائسها ، أو خاليا معهم ، فإن ذلك أقرب إلى ترقيقهم) قولا بليغا) أي يكون في غاية البلاغة في حد ذاته .النساء : (٦٤ – ٦٨) وما أرسلنا من. .. . . .) وما أرسلنا من رسول ألا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جآءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا وإذا لآتيناهم من لدنآ أجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما (( )ولما أمر بطاعة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وذم من حاكم إلى غيره وهدده ، وختم تهديده بأمر النبي (صلى الله عليه وسلم) بالإعراض عنه والوعظ له ، فكان التقدير : فما أرسلناك وغيرك من الرسل إلا الرفق بالأمة والصفح عنهم والدعاء لهم على غاية الجهد والنصيحة ، عطف عليه قوله : (وما أرسلنا) أي بما لنا من العظمة ، ودل على الإعراق في الاستغراق بقوله : (من رسول (ولما كان ما يؤتيهم سبحانه وتعالى من الآيات ويمنحهم به من المعجزات حاملا في ذاته على الطاعةن شبهه بالحامل على إرساله فقال : (إلا ليطاع) أي لأن منصبه الشريف مقتض لذلك آمر به داع إليه) بإذن الله) أي بعلم الملك الأعظم الذي له الإحاطة بكل شيء في تمكينه من أن يطاع ، لما جعلنا له من المزية بالصفات العظيمة والمناصب الجليلة والأخلاق الشريفة كما قال (صلى الله عليه وسلم) (ما من الأنبياء نبي إلا وقد أوتي من." [١]

" صفحة رقم ٢٧٥ الآيات ما مثله آمن عليه البشر) أخرجه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه .ولما كان التقدير : فلو أطاعوك لكان خيرا لهم ، عطف عليه قوله : (ولو أنهم إذ) أي حين) ظلموا أنفسهم) أي بالتحاكم إلى الطاغوت أو غيره) جاءوك) أي مبادرين) فاستغفروا الله) أي عقبوا مجيئهم بطلب المغفرة من الملك الأكرم لما استحضروه له من الجلال) **واستغفر لهم الرسول**) أي ما فرطوا بعصيانه فيما استحقه عليهم الطاعة) لوجدوا الله) أي الملك الأعظم) توابا رحيما) أي بليغ التوبة على عبيده والرحمة ، لإحاطته بجميع صفات الكمال ، فقبل توبتهم ومحا ذنوبهم وأكرمهم .ولما أفهم ذلك أن إباءهم لقبول حكمه والاعتراف بالذنب لديه سبب مانع لهم من الإيمان ، قال – مؤكدا للكلام غاية التأكيد بالقسم المؤكد لإثبات مضمونه و (لا) النافية لنقيضه : (فلا وربك) أي المحسن إليك) لا يؤمنون)

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٧٤/٢

أي يوجدون هذا الوصف بأداة التراخي فقال : (ثم لا يجدوا في نفسهم حرجا) أي نوعا من الضيق) مما قضيت) أي عليهم به ، وأكد إسلامهم لأنفسهم بصيغة التفعيل فقال : (ويسلموا) أي يوقعوا لتسليم البليغ لكل ما هو لهم من أنفسهم وغيرها لله ورسوله (صلى الله عليه وسلم) خالصا عن شوب كره ؛ ثم زاده تأكيدا بقوله : (تسليما (وفي الصحيح أن الآية نزلت في الزبير وخصم له من الأنصار ، فلا التفات إلى من قال : إنه حاطب رضي الله عنه .ولما كان التقدير : فقد كتبنا عليهم طاعتك والتسيم لك في هذه الحنيفية السمحة التي دعوتهم إليها وحملتهم عليها ، عطف عليه قوله : (ولو أنا كتبنا عليهم) أي هذا المخاصم للزبير رضي الله عنه وأشباه هذا المخاصم ممن ضعف إيمانه كتابة مفروضة) إن اقتلوا أنفسكم) أي كما كان ي التوراة ي كفارة بعض الذنوب مباشرة حقيقة ، وكما فعل المهاجرون بتعريض أنفسهم لذلك ثلاث عشرة سنة ، ەم فيها عند أعداء الله مضغة لحم بين يدي نسور يتخاطفونها) أو اخرجوا (كما فعل المهاجرون - رضي الله عنهم - الذين الزبير من رؤوسهم) من دياركم) أي التي هي لأشباحكم كأشباحكم لأرواحكم - توبة لربكم) ما فعلوه) أي لقصور إيمانهم وضعف إيقانهم ، ولو كتبناه عليهم ولم يرضوا به كفروا ، فاستحقوا القتل." (١)

"فصل دلت هذه الآية على أن الأنبياء - [عليهم الصلاة والسلام] - معصومون عن الذنوب ؛ لأنها دلت على وجوب طاعتهم مطلقا ، فلو أتوا بمعصية ، لوجب الاقتداء بهم في تلك المعصية ، فتصير واجبة علينا ، وكونها معصية يجب كونها محرمة علينا ، فيلزم توارد الإيجاب والتحريم على الشيء الواحد ، وهو محال. فإن قيل : ألستم في الاعتراض على الجبائي ذكرتم أن قوله : " إلا ليطاع " لا يفيد العموم ، فكيف تمسكتم به في هذه المسألة ، مع أن [هذا] الاستدلال لا يتم إلا مع القول بأنها تفيد العموم. فالجواب : ظاهر [هذا] اللفظ يوهم العموم ، وإنما تركناه في تلك المسألة ؛ للدليل القاطع الذي ذكرناه ، على أنه يستحيل منه - تعالى - أن يريد الإيمان من الكافر ، فلأجل ذلك المعارض القاطع صرفنا الظاهر عن العموم ، وليس ههنا برهان قاطع عقلي يوجب القدح في عصمة الأنبياء - عليهم السلام - ، فظهر الفرق. قوله : " ولو أنهم " قد تقدم الكلام على " أن " الواقعة بعد " لو " ، و " إذ " ظرف معمول لخبر " أن " وهو " جاءك " ، وقال : " **واستغفر لهم الرسول** " ، ولم يقل : واستغفرت ، خروجا من الخطاب إلى الغيبة ، لما في هذا الاسم الظاهر من التشريف بوصف الرسالة ، إجلالا للرسول - عليه السلام - و " وجد

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٢/٢٧٥

" هنا يحتمل أن تكون العلمية ، فتتعدى لاثنين والثاني : " توابا " ، وأن تكون غير العلمية ، فتتعدى لواحد ، ويكون " توابا " ويحتمل أن يكون خبرا ثانيا في الأصل ، بناء على تعدد الخبر وهو الصحيح ، فلما دخل الناسخ ، نصب الخبر المتعدد ، تقول : زيد فاضل شاعر فقيه عالم ، ثم تقول : علمت زيدا فاضلا شاعرا فقيها عالما ، إلا أنه لا يحسن أن يقال هنا : شاعرا : مفعول ثالث ، وفقيها [مفعول] رابع ، وعالما : خامس. فصل : سبب نزول الآية في سبب النزول وجهان : الأول : أن من تقدم ذكره مع المنافقين ، عندما ظلموا أنفسهم بالتحاكم إلى الطاغوت ، والفرار من التحاكم إلى رسول الله – [صلى الله عليه وسلم] ، [لو جاءوا] للرسول ، ٤٦٥وأظهروا الندم على ما فعلوه ، وتابوا عنه واستغفروا عنه ، **واستغفر لهم الرسول** بأن يسأل الله أن يغفر لهم ، وجدوا الله توابا رحيما. الثاني : قال الأصم : " إن قوما من المنافقين اتفقوا على كيد الرسول – عليه الصلاة والسلام – ، ثم دخل ، ا عليه لأجل [ذلك الغرض ، فأتاه جبريل – عليه السلام – فأخبره به ، فقال صلى الله عليه وسلم : إن قوما] دخلوا عليه لأجل يريدون أمرا لا ينالونه ، فليقوموا وليستغفروا الله حتى أستغفر لهم ، فلم يقوموا ، فقال : ألا تقومون ؛ فلم يفعلوا ، فقال صلى الله عليه وسلم : قم يا فلان ، قم يا فلان ، حتى عد اثني عشر رجلا منهم ، فقاموا وقالوا : كنا عزمنا على ما قلت ، ونحن نتوب إلى الله من ظلمنا أنفسنا ، فاستغفر لنا. فقال : الآن اخرجوا ، أنا كنت في بدء الأمر أقرب إلى الاستغفار ، وكان الله أقرب إلى الإجابة ، اخرجوا عني ". فإن قيل : أليس لو استغفروا الله وتابوا على وجه [صحيح] ، لكانت توبتهم مقبولة ، فما فائدة ضم استغفار الرسول إلى استغفارهم ؟ فالجواب من وجوه : أحدها : أن ذلك التحاكم إلى الطاغوت كان مخالفة لحكم الله – تعالى – ، وكان إساءة للرسول – عليه السلام – وإدخالا للغم في قلبه ، ومن كان ذنبه كذلك ، وجب عليه الاعتذار عن ذلك لغيره ؛ فلهذا المعنى وجب عليهم إظهار طلب الاستغفار [من الرسول]. ثانيها : أنهم لما لم يرضوا بحكم الرسول – عليه السلام – ، ظهر منهم التمرد ، فإذا تابوا ، وجب عليهم أن يفعلوا ما يزيل عنهم ذلك التمرد ؛ بأن يذهبوا إلى الرسول ويطلبوا منه الاستغفار. وثالثها : أنهم إذا أتوا بالتوبة أتوا بها على وجه خلل ، فإذا انضم إليها استغفار الرسول ، صارت محققة القبول ، وهذه الآية تدل على أن الله – تعالى – يقبل التوبة ؛ لقوله : " لوجدوا الله توابا رحيما ".جزء : ٦ رقم الصفحة : ٤٦٣في سبب النزول قولان : ٤٦٦."
(١)

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٥١٣

"" صفحة رقم ٥٥٩ ") في أنفسهم (قلت بقوله (بليغا) أي قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستئصال ان نجم منهم النفاق وأطلع قرنه واخبرهم ان ما في نفوسهم من الدغل والنفاق معلوم عند الله وانه لا فرق بينكم وبين المشركين وما هذه المكافة الا لإظهاركم الإيمان واسراركم الكفر وإضماره فإن فعلتم ما تكشفون به غطاءكم لم يبق الا السيفأو يتعلق بقوله) قل لهم (أي قل لهم في معنى انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا وان الله يعلم ما في قلوبكم لا يخفى عليه فلا يغني عنكم إبطانه فأصلحوا انفسكم وطهروا قلوبكم وداووها من مرض النفاق والا انزل الله بكم ما انزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه وشرا من ذلك وأغلظأو قل لهم في انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لأنه في السر أنجع وفي الامحاض ادخل) قولا بليغا (يبلغ منهم ويؤثر فيهموما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جآءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ٦٤ - ٦٥)النساء : (٦٤) وما أرسلنا من . . . . .وما أرسلنا من رسول (وما أرسلنا رسولا قط) إلا ليطاع بإذن الله (بسبب اذن الله في طاعته وبانه امر المبعوث اليهم بان يطيعوه ويتبعوه لأنه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ويجوز ان يراد بتيسير الله وتوفيقه في طاعته) ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم (بالتحاكم إلى الطاغوت) جاؤوك (تائبين من النفاق متنصلين عما ارتكبوا جاءوك) فاستغفروا الله (من ذلك بالاخلاص وبالغوا في الاعتذار اليك من إيذائك برد قضائك حتى انتصبت شفيعا لهم إلى الله ومستغفرا) لوجدوا الله توابا (لعلموه توابا أي لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه إلى طريقة الالتفات تفخيما لشأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتعظيما لاستغفاره." [١]

"مدغم الراء في اللام لا حن مخطىء خطأ فاحشا إلى آخره ، فهذه مسألة اختلف فيها النحويون ، فذهب الخليل ، وسيبويه وأصحابه : إلى أنه لا يجوز إدغام الراء في اللام من أجل التكرير الذي فيها ، ولا في النون قال أبو سعيد. ولا نعلم أحدا خالفه إلا يعقوب الحضرمي ، وإلا ما روي عن أبي عمرو ، وأنه كان يدغم الراء في اللام متحركة متحركا ما قبلها ، نحو : ﴿يغفر لمن﴾ ﴿العمر لكيلا﴾ ﴿**واستغفر لهم الرسول**﴾ فإن سكن ما قبل الراء أدغمها في اللام في موضع الضم والكسر ، نحو ﴿الانهارا لهم﴾ و﴿النار

---

(١) تفسير الكشاف. ، ١/٥٥٩

* ليجزى﴾ فإن انفتحت وكان ما قبلها حرف مد ولين أو غيره لم يدغم نحو ﴿من مصر لامرأته﴾ ﴿الابرار لفى نعيم﴾ ﴿تجارة لن تبور * ليوفيهم﴾ ﴿والحمير لتركبوها﴾ فإن سكنت الراء أدغمها في اللام بلا خلاف عنه إلا ما روي أحمد بن جبير بلا خلاف عنه ، عن اليزيدي ، عنه : أنه أظهرها ، وذلك إذا قرأ بإظهار المثلين ، والمتقاربين المتحركين لا غير ، على أن المعمول في مذهبه بالوجهين جميعا على الإدغام نحو ﴿ويغفر لكم﴾ انتهى. وأجاز ذلك الكسائي والفراء وحكياه سماعا ، ووافقهما على سماعه رواية وإجازة أبو جعفر الرواسي ، وهو إمام من أئمة اللغة والعربية من الكوفيين ، وقد وافقهم أبو عمرو على الإدغام رواية وإجازة ، كما ذكرناه ، وتابعه يعقوب كما ذكرناه ، وذلك من رواية الوليد بن حسان. والإدغام وجه من القياس ، ذكرناه في كتاب (التكميل لشرح التسهيل) من تأليفنا ، وقد اعتمد بعض أصحابنا على أن ما روي عن القراء من الإدغام الذي منعه البصريون يكون ذلك إخفاء لا إدغاما ، وذلك لا يجوز أن يعتقد في القراء أنهم غلطوا ، وما ضبطوا ، ولا فرقوا بين الإخفاء والإدغام ، وعقد هذا الرجل بابا قال : هذا باب يذكر فيه ما أدغمت القراء مما ذكر أنه لا يجوز إدغامه ، وهذا لا ينبغي ، فإن لسان العرب ليس محصورا فيما نقله البصريون فقط ، والقراءات لا تجيء على ما علمه البصريون ونقلوه ، بل القراء من الكوفيين يكادون يكونون٣٦٢مثل قراء البصرة ، وقد اتفق على نقل إدغام الراء في اللام كبير البصريين ورأسهم : أبو عمرو بن العلاء ، ويعقوب الحضرمي. وكبراء أهل الكوفة : الرواسي ، والكسائي ، والفراء ، وأجازوه ورووه عن العرب ، فوجب قبوله والرجوع فيه إلى علمهم ونقلهم ، إذ من علم حجة على من لم يعلم.جزء : ٢ رقم الصفحة : ٣٤١وأما قول الزمخشري : إن راوي ذلك عن أبي عمرو مخطيء مرتين ، فقد تبين أن ذلك صواب ، والذي روي ذلك عنه الرواة ، ومنهم : أبو محمد اليزيدي وهو إمام في النحو إمام في القراآت في اللغات.قال النقاش : يغفر لمن ينزع عنه ، ويعذب من يشاء إن أقام عليه.وقال الثوري : يغفر لمن يشاء العظيم ، ويعذب من يشاء على الصغير.وقد تعلق قوم بهذه الآية في جواز تكليف ما لا يطاق ، وقالوا : كلفوا أمر الخواطر ، وذلك مما لا يطاق.قال ابن عطية : وهذا غير بين ، وإنما كان من الخواطر تأويلا تأوله أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يثبت تكليفا.﴿والله على كل شيء قدير﴾ . لما ذكر المغفرة والتعذيب لمن يشاء ، عقب ذلك بذكر القدرة ، إذ ما ذكر جزء من متعلقات القدرة.﴿الرسول بمآ أنزل إليه من ربها والمؤمنونا كل﴾ سبب نزولها أنه لما نزل : ﴿وإن تبدوا ما فيا أنفسكم﴾ الآية أشفقوا منها ، ثم تقرر الأمر على أن ﴿قالوا سمعنا وأطعنا﴾ فرجعوا إلى التضرع والاستكانة ، فمدحهم الله وأثنى عليهم

، وقدم ذلك بين يدي رفقه بهم ، وكشفه لذلك الكرب الذي أوجبه تأولهم ، فجمع لهم تعالى التشريف بالمدح والثناء ورفع المشقة في أمر الخواطر ، وهذه ثمرة الطاعة والانقطاع إلى الله تعالى ، كما جرى لبني اسرائيل ضد ذلك من : ذمهم وتحميلهم المشقات من الذلة والمسكنة والجلاء ، إذ ﴿قالوا سمعنا وعصينا﴾ وهذه ثمرة العصيان وال تمرد على الله ، أعاذنا الله تعالى من نقمه. انتهى هذا ، وهو كلام ابن عطية.وظهر بسبب النزول مناسبة هذه الآية لما قبلها ، ولما كان مفتتح هذه السورة بذكر الكتاب المنزل ، وأنه هدى للمتقين الموصوفين بما وصفوا به من الإيمان بالغيب ، وبما أنزل إلى الرسول وإلى من قبله ، كان مختتمها أيضا موافقا لمفتتحها.وقد تتبعت أوائل السور المطولة فوجدتها يناسبها أواخرها ، بحيث لا يكاد ينخرم منها شيء ، وسأبين ذلك إن شاء الله في آخر كل سورة سورة ، وذلك من أبدع الفصاحة ، حيث يتلاقى آخر الكلام٣٦٣." [1]

"المعنى ، لأنا نقطع أن الله تبارك وتعالى قد أراد من بعض خلقه أن لا يطيعوه ، ولذلك خرجت طائفة معنى الإذن إلى العلم ، وطائفة خرجته إلى الإرشاد لقوم دون قوم ، وهو تخريج حسن. لأن الله إذا علم من أحد أنه يؤمن وفقه لذلك ، فكأنه أذن له انتهى. ولا يلزم ما ذكره من أن الكلام عام اللفظ خاص المعنى ، لأن قوله : ليطاع مبني للمفعول الذي لم يسم فاعله ، ولا يلزم من الفاعل المحذوف أن يكون عاما ، فيكون التقدير : ليطيعه العالم ، بل المحذوف ينبغي أن يكون خاصا ليوافق الموجود ، فيكون أصله : إلا ليطيعه من أردنا طاعته. وقال عبد الله الرازي : والآية دالة على أنه لا رسول إلا ومعه شريعة ليكون مطاعا في تلك الشريعة ، ومتبوعا فيها ، إذ لو كان لا يدعو إلا إلى شرع من قبله لم يكن هو في الحقيقة مطاعا ، بل المطاع هو الرسول المتقدم الذي هو الواضع لتلك الشريعة ، والله تعالى حكم على كل رسول بأنه مطاع انتهى. ولا يعجبني قوله : الواضع لتلك الشريعة ، والأحسن أن يقال : الذي جاء بتلك الشريعة من عند الله.﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جآءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ ظلموا أنفسهم بسخطهم لقضائك أو بتحاكمهم إلى الطاغوت ، أو بجميع ما صدر عنهم من المعاصي. جاؤوك فاستغفروا الله بالإخلاص ، واعتذروا إليك. **واستغفر لهم الرسول** أي : شفع لهم الرسول في غفران ذنوبهم. والعامل في إذ جاؤوك ، والتفت في قوله : **واستغفر لهم الرسول** ، ولم يجيء على ضمير الخطاب في جاؤوك تفخيما لشأن الرسول ، وتعظيما لاستغفاره ، وتنبيها على أن شفاعة من اسمه الرسول

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٢/٢٧٥

من الله تعالى بمكان ، وعلى أن هذا الوصف الشريف وهو إرسال الله إياه موجب لطاعته ، وعلى أنه مندرج في عموم قوله : ﴿ومآ أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله﴾ ومعنى وجدوا : علموا ، أي : بإخباره أنه قبل توبتهم ورحمهم.ج.زء : ٣ رقم الصفحة : ٢٨٢وقال أبو عبد الله الرازي ما ملخصه : فائدة ضم استغفار الرسول إلى استغفارهم بأنهم بتحاكمهم إلى الطاغوت خالفوا حكم الله ، وأساءوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فوجب عليهم أن يعتذروا ويطلبوا من الرسول الاستغفار ، أو لما لم يرضوا بحكم الرسول ظهر منهم التمرد ، فإذا تابوا وجب أن يظهر منهم ما يزيد التمرد بأن يذهبوا إلى الرسول ويطلبوا منه الاستغفار ، أو إذا تابوا بالتوبة أتوا بها على وجه من الخلل ، فإذا انضم إليها استغفار الرسول صلى الله عليه وسلم صارت مستحقة. والآية تدل على قبول توبة التائب لأنه قال بعدها : ﴿لوجدوا الله﴾ وهذا لا ينطبق على ذلك الكلام إلا إذا كان المراد من قوله : ﴿توابا رحيما﴾ قبول توبته انتهى. وروي عن علي كرم الله وجهه أنه قال : قدم علينا أعرابي بعدما دفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبره وحثا من ترابه على رأسه ثم قال : يا خير من دفنت في الترب أعظمهفطاب من طيبهن القاع والأكمنفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرمثم قال : قد قلت : يا رسول الله فسمعنا قولك ، ووعيت عن الله فوعينا عنك ، وكان فيما أنزل الله عليك ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك الآية ، وقد ظلمت نفسي وجئت أستغفر الله ذنبي ، فاستغفر لي من ربي ، فنودي من القبر أنه قد غفر لك.﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾ قال مجاهد وغيره : نزلت فيمن أراد التحاكم إلى الطاغوت. ورجحه الطبري لأنه أشبه بنسف الآيات. وقيل : في شأن الرجل الذي خاصم الزبير في السقي بماء الحرة ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : "اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك" فغضب وقال : "إن كان ابن عمتك ، فغضب الرسول صلى الله عليه وسلم واستوعب للزبير حقه فقال : احبس يا زبير الماء حتى يبلغ الجدر ، ثم أرسل الماء". والرجل هو من الأنصار بدري.٢٨٣." [1]

"٢٩٣هذه الجملة المتأخرة ، بل يتعلق بمضمون الجملتين ، والضمير الذي للخطاب هو للمؤمنين ، وفي بينه للقائل. واعترض به بين أثناء الحملة الأخيرة ، ولم يتأخر بعدها وإن كان من حيث المعنى متأخرا إذ معناه متعلق بمضمون الجملتين ، لأن معمول القول النية به التقديم ، لكنه حسن تأخيره كونه وقع فاصلة. ولو تأخرت جملة الاعتراض لم يحسن لكونها ليست فاصلة ، والتقدير : ليقولن يا ليتني كنت معهم فأفوز

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٢٣١/٣

فوزا عظيما كأن لم يكن بينكم وبينه مودة ، إذ صدر منه قوله وقت المصيبة : قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا. وقوله : وقت الغنيمة يا ليتني كنت معهم ، وهذا قول من لم تسبق منه مودة لكم.جزء : ٣ رقم الصفحة : ٢٩١وفي الآيتين تنبيه على أنهم لا يعدون من المنح إلا أغراض الدنيا ، يفرحون بما ينالون منها ، ولا من المحن إلا مصائبها فيتألمون لما يصيبهم منها كقوله تعالى : ﴿فأما الانسان إذا ما ابتلاه ربه﴾ الآية. وتضمنت هذه الجملة أنواعا من الفصاحة والبديع : دخول حرف الشرط على ما ليس بشرط في الحقيقة في قوله : إن كنتم تؤمنون. والإشارة في ذلك : خير أولئك الذين يعلم الله ، فأولئك مع الذين ، وحسن أولئك رفيقا ، ذلك الفضل من الله. والاستفهام المراد به التعجب في : ألم تر إلى الذين يزعمون. والتجنيس المغاير في : أن يضلهم ضلالا ، وفي : أصابتهم مصيبة ، وفي : وقل لهم في أنفسهم قولا ، وفي : يصدون عنك صدودا ، وفي : ويسلموا تسليما ، وفي : فإن أصابتكم مصيبة ، وفي : فأفوز فوزا عظيما. والاستعارة في : فإن تنازعتم ، أصل المنازعة الجذب باليد ، ثم استعير للتنازع في الكلام. وفي : ضلالا بعيدا استعار البعد المختص بالأزمنة والأمكنة للمعاني المختصة بالقلوب لدوام القلوب عليها ، وفي : فيما شجر بينهم استعار ما اشتبك وتضايق من الشجر للمنازعة التي يدخل بها بعض الكلام في بعض استعارة المحسوس للمعقول وفي : أنفسهم حرجا أطلق اسم الحرج الذي هو من وصف الشجر إذا تضايق على الأمر الذي يشق على النفس للمناسبة التي بينهما وهو من الضيق والتتميم ، وهو أن يتبع الكلام كلمة تزيد المعنى تمكنا وبيانا للمعنى المراد وهو في قوله قولا بليغا أي : يبلغ إلى قلوبهم ألمه أو بالغا في زجرهم. وزيادة الحرف لزيادة المعنى في : من رسول أتت للاستغراق إذ لو لم تدخل لا وهم الواحد. والتكرار في : استغفر واستغفروا أنفسهم ، وفي أنفسهم واسم الله في مواضع. والالتفات في : **واستغفر لهم الرسول**. والتوكيد بالمصدر في : ويسلموا تسليما. والتقسيم البليغ في قوله : من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. وإسناد الفعل إلى ما لا يصح وقوعه منه حقيقة في : أصابتكم مصيبة ، وأصابكم فضل. وجعل الشيء من الشيء وليس منه لمناسبة في قوله : وإن منكم لمن ليبطئن. والاعتراض على قول الجمهور في قوله : كان لم يكن بينكم وبينه مودة. والحذف في مواضع.جزء : ٣ رقم الصفحة : ٢٩١٢٩٤إدراك الشيء الوصول إليه ونيله. البرج : الحصن. وقيل : القصر. والبروج : منازل القمر ، وكلها من برج إذا ظهر ، ومنه التبرج وهو إظهار المرأة محاسنها ، والبرج في العين اتساعها. المشيد : المصنوع بالشيد وهو الجص. يقال : شاد وشيد كرر العين للمبالغة ، ككسرت العود مرة وكسرته في مواضع ، وخرقت الثوب وخرقته إذا كان

الخرق منه في مواضع. فعلى هذا يقال : شاد الجدار. ومنه قال والشاعر : شاده مرمرا وجلله كلسا فللطير في ذراه وكور والمشيد : المطول المرفوع يقال : شيد وأشاد البناء رفعه وطوله ، ومنه أشاد الرجل ذكر الرجل إذا رفعه. الفقه : الفهم. يقال : فقهت الحديث إذا فهمته ، وفقه الرجل صار فقيها.جزء : ٣ رقم الصفحة : ٢٩٤﴿فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحيواة الدنيا بالاخرة﴾ قيل : نزلت في المنافقين الذين تخلفوا عن أحد. ويشرون بمعنى يشترون. والمعنى : أخلصوا الإيمان بالله ورسوله ، ثم جاهدوا في سبيل الله. وقيل : نزلت في المؤمنين بالجهاد من تخلف من ضعفة المؤمنين.." (١)

"﴿ ٦٤ ، ٦٥ ﴾ ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما * فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ .يخبر تعالى خبرا في ضمنه الأمر والحث على طاعة الرسول والانقياد له. وأن الغاية من إرسال الرسل أن يكونوا مطاعين ينقاد لهم المرسل إليهم في جميع ما أمروا به ونهوا عنه، وأن يكونوا معظمين تعظيم المطيع (١) للمطاع.وفي هذا إثبات عصمة الرسل فيما يبلغونه عن الله، وفيما يأمرون به وينهون عنه؛ لأن الله أمر بطاعتهم مطلقا، فلولا أنهم معصومون لا يشرعون ما هو خطأ، لما أمر بذلك مطلقا.وقوله: { بإذن الله ﴾ أي: الطاعة من المطيع صادرة بقضاء الله وقدره. ففيه إثبات القضاء والقدر، والحث على الاستعانة بالله، وبيان أنه لا يمكن الإنسان -إن لم يعنه الله- أن يطيع الرسول.ثم أخبر عن كرمه العظيم وجوده، ودعوته لمن اقترفوا السيئات أن يعترفوا ويتوبوا ويستغفروا الله فقال: ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك ﴾ أي: معترفين بذنوبهم باخعين بها. [ص ١٨٥]﴿ فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما ﴾ أي: لتاب عليهم بمغفرته ظلمهم، ورحمهم بقبول التوبة والتوفيق لها والثواب عليها، وهذا المجيء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم مختص بحياته؛ لأن السياق يدل على ذلك لكون الاستغفار من الرسول لا يكون إلا في حياته، وأما بعد موته فإنه لا يطلب منه شيء بل ذلك شرك.ثم أقسم تعالى بنفسه الكريمة أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله فيما شجر بينهم، أي: في كل شيء يحصل فيه اختلاف، بخلاف مسائل الإجماع، فإنها لا تكون إلا مستندة للكتاب والسنة، ثم لا يكفي هذا التحكيم حتى ينتفي الحرج من قلوبهم والضيق، وكونهم يحكمونه على وجه الإغماض، ثم لا يكفي ذلك (٢) حتى يسلموا لحكمه تسليما بانشراح صدر، وطمأنينة

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ (دار الفكر)، ٣/٢٣٩

نفس، وانقياد بالظاهر والباطن.فالتحكيم في مقام الإسلام، وانتفاء الحرج في مقام الإيمان، والتسليم في مقام الإحسان. فمن استكمل هذه المراتب وكملها، فقد استكمل مراتب الدين كلها. فمن ترك هذا التحكيم المذكور غير ملتزم له فهو كافر، ومن تركه، مع التزامه فله حكم أمثاله من العاصين.______________(١) في النسختين: تعظيم المطاع للمطيع، وهو سبق قلم، وقد عدلت في ب عن طريق المطبعة السلفية إلى تعظيم المطاع من المطيع.(٢) في ب: هذا التحكيم.." [١]

"مقدمة في فضل سورة النساء ووقت نزولها وسبب تسميتها بالنساءنشرع بإذن الله في تفسير سورة النساء، وقد روى العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (نزلت سورة النساء بالمدينة)، وكذا روى ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير وزيد بن ثابت، وقد زعم النحاس أنها مكية، مستندا إلى أن قوله تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ [النساء:٥٨]، نزلت بمكة اتفاقا في شأن مفتاح الكعبة، وهذا المستند واه، يعني: الاستناد إلى أن هذه الآية نزلت في مكة غير صحيح، حتى لو صح أن هذه الآية نزلت بمكة؛ لأنه يمكن أن تكون السورة مدنية وتكون فيها آية أو آيتان أو أكثر نزلت في مكة، خصوصا أن الأرجح أن ما نزل بعد الهجرة فهو مدني، وما نزل قبل الهجرة فهو مكي، حتى لو كان هذا الذي نزل بعد الهجرة في خارج المدينة أو في مكة نفسها كهذه الآية.فحد المكي والمدني: أن ما نزل بعد الهجرة يكون مدنيا بغض النظر عن مكانه، ومن راجع أسباب نزول آياتها عرف الرد عليه، حيث تم فتح مكة في سنة ثمان من الهجرة، والقصة معروفة وسيأتي عليها الكلام إن شاء الله.ومما يرد عليه أيضا ما أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: (ما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عند النبي صلى الله عليه وسلم) ودخول النبي صلى الله عليه وسلم على عائشة رضي الله عنها كان بعد الهجرة اتفاقا، وقيل: نزلت عند الهجرة.وآياتها مائة وسبعون وخمس، وقيل: وسبع، كذا في الإتقان.وروى الحاكم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (إن في سورة النساء لخمس آيات ما يسرني أن لي بها الدنيا وما فيها، الآية الأولى: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما﴾ [النساء:٤٠].الآية الثانية: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما﴾ [النساء:٣١].الثالثة: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما﴾ [النساء:٤٨].الرابعة: قوله تبارك وتعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا

---

(١) تفسير السعدي، ص/١٨٤

الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما﴾ [النساء:٦٤]).وروى عبد الرزاق عنه أيضا قال: (خمس آيات من النساء لهن أحب إلي من الدنيا جميعا: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾ [النساء:٣١] إلى آخر الآية، وقوله: ﴿وإن تك حسنة يضاعفها﴾ [النساء:٤٠]، وقوله: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ [النساء:٤٨]، وقوله: ﴿ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما﴾ [النساء:١١٠]).وروى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (ثمان آيات نزلت في سورة النساء خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت، أولهن: ﴿يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم﴾ [النساء:٢٦].الثانية: ﴿والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما﴾ [النساء:٢٧].الثالثة: ﴿يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا﴾ [النساء:٢٨])، ثم ذكر قول ابن مسعود سواء في الخمسة الباقية.وسميت هذه السورة سورة النساء؛ لأن ما نزل منها في أحكام النساء أكثر مما نزل في غيرها.." (١)

"أنواع التوسل المشروعة والممنوعة

التوسل بالرسول عليه السلام عند الصحابة وفي كلامهم المقصود به: التوسل بدعاء الرسول عليه الصلاة والسلام، كما هو معروف في حديث الأعمى الذي أتى النبي صلى الله عليه وسلم وطلب منه أن يدعو له كي يعافيه الله تبارك وتعالى، فهذا توسل بدعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبشفاعته، والتوسل به في عرف كثير من المتأخرين يراد به الإقسام به والسؤال به، فهذا المعنى بقى عند المتأخرين، ولم يكن معروفا أو متداولا أو مستعملا في القرآن ولا في السنة، ولا في كلام الصحابة رضي الله تعالى عنهم والسلف الصالح، وهو أن يكون التوسل أن تقسم على الله بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، أو تقسم بالصالحين ومن يعتقد فيه الصلاح، لهذا يقول شيخ الإسلام: وحينئذ فلفظ التوسل يراد به معنيان صحيحان باتفاق المسلمين، ويراد به معنى ثالث لم ترد به السنة.

فأما المعنيان الأولان الصحيحان باتفاق العلماء فأحدهما هو أصل الإيمان والإسلام، وهو التوسل بالإيمان بالله عز وجل وبطاعته، فقوله تعالى: (وابتغوا إليه الوسيلة) أي: بالإيمان والعمل الصالح.

الثاني: دعاؤه وشفاعته كما تقدم.

فهذان جائزان بإجماع المسلمين، التوسل بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى: ﴿ولو أنهم إذ

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٢/٣٠

ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول**﴾ [النساء:٦٤]، فالتوسل هنا بدعاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا بذاته، ومن هذا قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (اللهم! إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا) يعني بقوله: (نتوسل بنبينا) أي: بدعائه، فلما قبض الرسول عليه الصلاة والسلام كان الحال أن قال: (فإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا) فهذه شفاعة وهذا توسل عن طريق دعاء العبد الصالح وشفاعته.

وقوله تعالى: (وابتغوا إليه الوسيلة) أي: القربة إليه بطاعته وطاعة رسوله، قال تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ [النساء:٨٠].

فهذا التوسل الأول هو أصل الدين، وهذا لا ينكره أحد من المسلمين.

وأما التوسل بدعائه وشفاعته فكما قال عمر، فإنه توسل بدعائه لا بذاته، ولهذا عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بعمه العباس، ولو كان التوسل بذاته جائزا لكان هذا أولى من التوسل بـ العباس، لو كان التوسل بذات الرسول نفسه عليه الصلاة والسلام لتوسل به الصحابة بعد موته، لكن لما كان التوسل بالدعاء توسلوا بدعاء العباس بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما عدلوا عن التوسل به عليه الصلاة والسلام إلى التوسل بـ العباس علم أن ما يفعل في حياته قد تعذر بموته، بخلاف التوسل الذي هو الإيمان به والطاعة له فإنه مشروع دائما.

فلفظ التوسل يراد به ثلاثة معان: أحدها: التوسل بطاعته، فهذا فرض لا يتم الإيمان إلا به.

الثاني: التوسل بدعائه وشفاعته عليه الصلاة والسلام، وهذا كان في حياته، ويكون يوم القيامة أيضا حينما يتوسلون بشفاعته.

الثالث: التوسل به، بمعنى الإقسام على الله بذاته، والسؤال بذاته، فهذا هو الذي لم يكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه، ولا في حياته ولا بعد مماته، ولا عند قبره ولا قبر غيره، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم، وإنما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة، أو عمن ليس قوله حجة، وهذا هو الذي قال فيه أبو حنيفة وأصحابه رحمهم الله: إنه لا يجوز.

ونهوا عنه حيث قالوا: لا يسأل الله بمخلوق، ولا يقول أحد: أسألك بحق أنبيائك.

قال أبو الحسين القدوري في كتابه الكبير في الفقه المسمى بشرح الكرخي: يدخل في باب الكراهة، وقد ذكر هذا غير واحد من أصحاب أبي حنيفة.

قال بشر بن الوليد: حدثنا أبو يوسف قال: قال أبو حنيفة: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، وأكره أن يقول بمعاقد العز من عرشك -يقصد أن يتوسل بمعاقد العز من عشره تعالى- أو: بحق خلقك.

وهو قول أبى يوسف رحمهم الله تعالى.

فالمسألة بخلقه لا تجوز؛ لأنه لا حق للخلق على الخالق، فلا تجوز وفاقا.

وموضوع التوسل من الموضوعات الكبيرة التي تحتاج لكثير من التفصيل.." (١)

"ﷺالقول في تأويل قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾." (٢)

"ﷺالقول في تأويل قوله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ يعني بذلك جل ثناؤه: ولو أن هؤلاء المنافقين الذين وصف صفتهم في هاتين الآيتين ، الذين إذا دعوا إلى حكم الله وحكم رسوله صدوا صدودا ، إذ ظلموا أنفسهم باكتسابهم إياها العظيم من الإثم في احتكامهم إلى الطاغوت وصدودهم عن كتاب الله وسنة رسوله ، إذا دعوا إليها جاءوك يا محمد حين فعلو ما فعلوا من مصيرهم إلى الطاغوت راضين بحكمه دون حكمك ، جاءوك تائبين منيبين ، فسألوا الله أن يصفح لهم عن عقوبة ذنبهم بتغطيته عليهم ، وسأل لهم الله رسوله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك. وذلك هو معنى قوله: ﴿فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول**﴾ [النساء: ٦٤] وأما قوله: ﴿لوجدوا الله توابا رحيما﴾ [النساء: ٦٤] فإنه يقول: لو كانوا فعلوا ذلك فتابوا من ذنوبهم لوجدوا الله توابا ، يقول: راجعا لهم مما يكرهون إلى ما يحبون ، رحيما بهم في تركه عقوبتهم على ذنبهم الذي تابوا منه وقال مجاهد: عنى بذلك: اليهودي والمسلم اللذان تحاكما إلى كعب بن الأشرف." (٣)

"وقيل: أراد بالمصيبة قتل صاحبهم وذلك أن عمر (رضي الله عنه) لما قتل المنافق جاءوا قومه يطلبون الدية ويحلفون «إن أردنا» ما أردنا بكون إن بمعنى إذ وبمعنى ما، أي ما أردنا بالترافع إلى عمر. إلا إحسانا وتوفيقا.قال الكلبي: إلا إحسانا في القول وتوفيقا صوابا.ابن كيسان: حقا وعدلا نظيرها وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فأعرض عنهم وعظهم في الملأ وقل لهم في

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ١١/٤١

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٩٧/٧

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٩٩/٧

أنفسهم قولا بليغا وقيل: فأعرض عنهم وعظهم باللسان ولا تعاقبهم، وقيل: توعدهم بالقتل إن لم يتوبوا من الشرك أعرض عنهم وعظهم يعني في الملأ. وقل لهم ... قولا بليغا في السر والملأ، وقيل: هذا منسوخ بآية القتال.[سورة النساء (٤) : الآيات ٦٤ الى ٧٣]وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما (٦٤) فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (٦٥) ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا (٦٦) وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما (٦٧) ولهديناهم صراطا مستقيما (٦٨)ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا (٦٩) ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما (٧٠) يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا (٧١) وإن منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا (٧٢) ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما (٧٣)وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم بالتحاكم إلى الطاغوت جاؤك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما.روى الصادق عن علي (عليهما السلام) قال: قدم علينا امرؤ عند ما دفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبر النبي عليه الصلاة والسلام وحثا على رأسه من ترابه وقال: يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ووعيت من الله فوعينا عنك وكان فيما أنزل الله عليك ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيمافقد ظلمت نفسي فجئتك لتسغفر لي فنودي من القبر أنه قد غفر لك «١»

.______________(١)كنز العمال: ٢/ ٣٨٦، ح ٤٣٢٢، وتفسير القرطبي: ٥/ ٢٦٥.." (١)

"ومعنى الآية: تعجيب للنبي صلى الله عليه وسلم من جهل من يعدل عن حكم الله إلى حكم الطاغوت مع زعمه بأنه مؤمن بالله ورسوله، وما أنزل إليه من قبله.قوله جل جلاله: ﴿وإذا قيل لهم﴾ [النساء: ٦١] أي: لهؤلاء المنافقين: ﴿تعالوا إلى ما أنزل الله﴾ [النساء: ٦١] يعني: في القرآن من الأحكام، وإلى الرسول إلى حكمه، ﴿رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا﴾ [النساء: ٦١] أي: يعرضون عنك إلى غيرك.قوله عز وجل: فكيف أي: فكيف يحتالون ويصنعون، ﴿إذا أصابتهم مصيبة﴾ [النساء: ٦٢] عقوبة

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٣/٣٣٩

من الله مجازاة على ما صنعوا وهو قوله: ﴿بما قدمت أيديهم﴾ [النساء: ٦٢] أي: من التكذيب والكفر بالقرآن والرسول؟ ثم عاد الكلام إلى ما سبق من القصة فقال: ﴿ثم جاءوك يحلفون بالله﴾ [النساء: ٦٢] ، وذلك أن المنافقين أتوا نبي الله صلى الله عليه وسلم: وحلفوا أنهم ما أرادوا بالعدول عنه في المحاكمة، ﴿إلا إحسانا وتوفيقا﴾ [النساء: ٦٢] أي: إلا توفيقا بين الخصوم أي: جمعا وتأليفا، وإحسانا بالتقريب في الحكم دون الحمل على مر الحق.وكل ذلك كذب منهم، لأن الله تعالى قال: ﴿أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم﴾ [النساء: ٦٣] من الكذب والخيانة والشرك والنفاق، فأعرض عنهم أي: لا تعاقبهم، وعظهم: بلسانك ﴿وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا﴾ [النساء: ٦٣] قال ابن عباس: خوفهم بالله.وقال الحسن: قل لهم: إن أظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قتلتم، فهذا القول البليغ، لأنه يبلغ من نفوسهم كل مبلغ.وقال الزجاج: أعلمهم أنهم إن ظهر منهم رد لحكمك وكفر فالقتل.﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ [النساء: ٦٤] قوله جل جلاله: ﴿وما أرسلنا من رسول﴾ [النساء: ٦٤] من: دخلت للتأكيد، والمعنى: وما أرسلنا رسولا، ﴿إلا ليطاع بإذن الله﴾ [النساء: ٦٤] أي: بأمر الله، يعني: إن طاعة الرسول وجبت بأمر الله الذي دل على وجوب طاعته.قال الزجاج: أي: إلا ليطاع لأن الله تعالى قد أذن في ذلك وأمر به قوله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم﴾ [النساء: ٦٤] بعصيانك وموالاتهم الكفار حتى يحكموهم، ﴿جاءوك فاستغفروا الله﴾ [النساء: ٦٤] أي: تابوا إلى الله ونزعوا عما هم عليه، **﴿واستغفر لهم الرسول﴾** [النساء: ٦٤] سأل الله لهم أن يغفر لهم ما تقدم من تكذيبهم، ﴿لوجدوا الله توابا رحيما﴾ [النساء: ٦٤] .﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما." (١)

"والآخرة، وتم الكلام هاهنا، ثم عاد الكلام إلى ما سبق، يخبر عن فعلهم فقال: ﴿ثم جاؤوك﴾ يعني: يتحاكمون إلى الطاغوت، ﴿ثم جاءوك﴾ [يحيونك ويحلفون] (١) .وقيل: أراد بالمصيبة قتل عمر رضي الله عنه المنافق، ثم جاؤوا يطلبون ديته، ﴿يحلفون بالله إن أردنا﴾ ما أردنا بالعدول عنه في المحاكمة أو بالترافع إلى عمر، ﴿إلا إحسانا وتوفيقا﴾ قال الكلبي: إلا إحسانا في القول، وتوفيقا: صوابا، وقال ابن كيسان: حقا وعدلا نظيره: "ليحلفن إن أردنا إلا الحسنى"، وقيل: هو إحسان بعضهم إلى بعض، وقيل: هو تقريب الأمر من الحق، لا القضاء على أمر الحكم، والتوفيق: هو موافقة الحق، وقيل: هو التأليف

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٧٤/٢

والجمع بين الخصمين.﴿أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا (٦٣) وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسو**ل لوجدوا الله توابا رحيما (٦٤) فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (٦٥) ﴾﴿أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم﴾ من النفاق، أي: علم أن ما في قلوبهم خلاف ما في ألسنتهم، ﴿فأعرض عنهم﴾ أي: عن عقوبتهم وقيل: فأعرض عن قبول عذرهم وعظهم باللسان، وقل لهم قولا بليغا، وقيل: هو التخويف بالله، وقيل: أن توعدهم بالقتل إن لم يتوبوا، قال الحسن: القول البليغ أن يقول لهم: إن أظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قتلتم لأنه يبلغ من نفوسهم كل مبلغ، وقال الضحاك: ﴿فأعرض عنهم وعظهم﴾ في الملإ ﴿وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا﴾ في السر والخلاء، وقال: قيل هذا منسوخ بآية القتال.وله عز وجل ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله﴾ أي: بأمر الله لأن طاعة الرسول وجبت بأمر الله، قال الزجاج: ليطاع بإذن الله لأن الله قد أذن فيه وأمر به، وقيل: إلا ليطاع كلام تام كاف، بإذن الله تعالى أي: بعلم الله وقضائه، أي: وقوع طاعته يكون بإذن الله، ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم﴾ بتحاكمهم إلى الطاغوت ﴿جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾قوله تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك﴾ الآية.___________(١) في (أ) جاءت العبارة هكذا: (يجيئونك ويخافونك) .." [١]

"يطلبون بدمه وقد أهدره الله فقالوا: ما أردنا بالتحاكم إلى عمر إلا أن يحسن إلى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه، وما خطر ببالنا أنه يحكم له بما حكم به فأعرض عنهم لا تعاقبهم لمصلحة في استبقائهم، ولا تزد على كفهم بالموعظة والنصيحة عما هم عليه وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا بالغ في وعظهم بالتخفيف والإنذار. فإن قلت: بم تعلق قوله: (في أنفسهم «١») ؟ قلت: بقوله: (بليغا) أى: قل لهم قولا بليغا في أنفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما، ويستشعرون منه الخوف استشعارا، وهو التوعد بالقتل والاستئصال إن نجم منهم النفاق وأطلع قرنه، وأخبرهم أن ما في نفوسهم من الدغل والنفاق معلوم عند الله، وأنه لا فرق بينكم وبين المشركين، وما هذه المكافة إلا لإظهاركم الإيمان وإسراركم الكفر وإضماره، فإن فعلتم ما تكشفون به غطاءكم لم يبق إلا السيف. أو يتعلق بقوله: (قل لهم) أى قل لهم في معنى أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا، وأن الله يعلم ما في قلوبكم لا يخفى عليه فلا

---

(١) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ٢/٢٤٤

يغنى عنكم إبطانه. فأصلحوا أنفسكم وطهروا قلوبكم وداووها من مرض النفاق، وإلا أنزل الله بكم ما أنزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه، وشرا من ذلك وأغلظ. أو قل لهم في أنفسهم- خاليا بهم، ليس معهم غيرهم، مسارا لهم بالنصيحة، لأنها في السر أنجع، وفي الإمحاض أدخل- قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم.[سورة النساء (٤) : الآيات ٦٤ الى ٦٥]وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما (٦٤) فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (٦٥)____________(١) . قال محمود «إن قلت: بم تعلق قوله في أنفسهم ... الخ» ؟ قال أحمد: ولكل من هذه التأويلات شاهد على الصحة. أما الأول فلأن حاصله أمره بتهديدهم على وجه مبلغ صميم قلوبهم وسياق التهديد في قوله: (فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤك) يشهد له، فانه أخبر بما سيقع لهم على سبيل التهديد. وأما الثاني فيلائمه من السياق قوله: (أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم) يعنى ما انطوت عليه من الخبث والمكر والحيل. ثم أمره بوعظهم والاعراض عن جرائمهم حتى لا تكون مؤاخذتهم بها مانعة من نصحهم ووعظهم، ثم جاء قوله: (وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا) كالشرح للوعظ، ولذكر أهم ما يعظهم فيه، وتلك نفوسهم التي علم الله ما انطوت عليه من المذام، وعلى هذا يكون المراد الوعظ وما يتعلق به. وأما الثالث: فيشهد له سيرته عليه الصلاة والسلام في كتم عناد المنافقين، والتجافي عن إفصاحهم والستر عليهم، حتى عد حذيفة رضى الله عنه صاحب سره عليه الصلاة والسلام، لتخصيصه إياه بالاطلاع على أعيانهم، وتسميتهم له بأسمائهم، وأخباره في هذا المعنى كثيرة." (١)

"الجمع بعدها، كقولك: تقدموا وتأخروا، وهي لفظة مأخوذة من العلو، لما استعملت في دعاء الإنسان وجلبه وأشخاصه، سيقت من العلو تحسينا للأدب، كما تقول: ارتفع إلى الحق، ونحوه، ورأيت هي رؤية عين لمن صد من المنافقين مجاهرة وتصريحا، وهي رؤية قلب لمن صد منهم مكرا وتخابثا ومسارقة حتى لا يعلم ذلك منه إلا بالتأويل عليه والقرائن الصادرة عنه، فإذا كانت رؤية عين ف يصدون في موضع نصب على الحال، وإذا كانت رؤية قلب ف يصدون نصب على المفعول الثاني، وصدودا مصدر عند بعض النحاة من صد، وليس عند الخليل بمصدر منه، والمصدر عنده «صدا» وإنما ذلك لأن فعولا إنما هو مصدر للأفعال غير المتعدية. كجلس جلوسا، وقعد قعودا و «صد» فعل متعد بنفسه مرة كما قال: فصدهم

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٥٢٧/١

عن السبيل [النمل: ٢٤- العنكبوت: ٣٨] ، ومرة بحرف الجر كقوله تعالى: يصدون عنك صدودا وغيره، فمصدره: صد، وصدودا اسم.قوله تعالى:[سورة النساء (4) : الآيات ٦٢ الى ٦٤]فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا (٦٢) أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا (٦٣) وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما (٦٤)قالت فرقة: هي في المنافقين الذين احتكموا حسب ما تقدم، فالمعنى: فكيف بهم إذا عاقبهم الله بهذه الذنوب بنقمة منه؟ ثم حلفوا إن أردنا بالاحتكام إلى الطاغوت إلا توفيق الحكم وتقريبه، دون مر الحكم وتقصي الحق، وقالت فرقة: هي في المنافقين الذين طلبوا دم الذي قتله عمر، فالمعنى: فكيف بهم إذا أصابتهم مصيبة في قتل قريبهم ومثله من نقم الله تعالى، ثم إنهم حلفوا ما أرادوا بطلب دمه إلا إحسانا وحقا، نحا إليه الزجاج، وموضع «كيف» نصب بفعل تقديره: فكيف تراهم ونحوه، ويصح أن يكون موضعها رفعا، تقديره: فكيف صنيعهم.وقوله تعالى: أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم تكذيب المنافقين المتقدم ذكرهم وتوعدهم، أي فهو مجازيهم بما يعلم، و «أعرض عنهم» يعني عن معاقبتهم، وعن شغل البال بهم، وعن قبول أيمانهم الكاذبة في قوله يحلفون وليس بالإعراض الذي هو القطيعة والهجر، فإن قوله: وعظهم يمنع من ذلك، وعظهم معناه بالتخويف من عذاب الله، وغيره من المواعظ، والقول البليغ اختلف فيه، فقيل:هو الزجر والردع والكف بالبلاغة من القول، وقيل: هو التوعد بالقتل إن استداموا حالة النفاق، قاله الحسن، وهذا أبلغ ما يكون في نفوسهم، والبلاغة: مأخوذة من بلوغ المراد بالقول، وحكي عن مجاهد أن قوله: في أنفسهم، متعلق بقوله: مصيبة وهو مؤخر بمعنى التقديم، وهذا ضعيف.." (١)

"[سورة النساء (٤) : آية ٦٢]فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا (٦٢)قوله تعالى: فكيف إذا أصابتهم مصيبة أي: كيف يصنعون ويحتالون إذا أصابتهم عقوبة من الله؟ وفي المراد بالمصيبة قولان: أحدهما: أنه تهديد ووعيد. والثاني: أنه قتل المنافق الذي قتله عمر. وفي الذي قدمت أيديهم ثلاثة أقوال: أحدها: نفاقهم واستهزاؤهم. والثاني: ردهم حكم النبي صلى الله عليه وسلم. والثالث: معاصيهم المتقدمة.قوله تعالى: إن أردنا بمعنى. ما أردنا. قوله تعالى: إلا إحسانا وتوفيقا فيه ثلاثة أقوال:أحدها: أنه لما قتل عمر صاحبهم، جاءوا يطلبون بدمه، ويحلفون ما

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٧٣/٢

أردنا في المطالبة بدمه إلا إحسانا إلينا، وما يوافق الحق في أمرنا. والثاني: ما أردنا بالترافع إلى عمر إلا إحسانا وتوفيقا. والثالث: أنهم جاءوا يعتذرون إلى النبي صلى الله عليه وسلم من محاكمتهم إلى غيره، ويقولون: ما أردنا في عدولنا عنك إلا إحسانا بالتقريب في الحكم، وتوفيقا بين الخصوم دون الحمل على مر الحق.[سورة النساء (٤) : آية ٦٣]أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا (٦٣)قوله تعالى: أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم أي: من النفاق والزيغ. وقال ابن عباس: إضمارهم خلاف ما يقولون فأعرض عنهم ولا تعاقبهم وعظهم بلسانك وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا أي: تقدم إليهم: إن فعلتم الثانية، عاقبتكم. وقال الزجاج: يقال: بلغ الرجل يبلغ بلاغة فهو بليغ: إذا كان يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه.وقد تكلم العلماء في حد «البلاغة» فقال بعضهم: «البلاغة» : إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ، وقيل: «البلاغة» : حسن العبارة مع صحة المعنى، وقيل: البلاغة: الإيجاز مع الإفهام، والتصرف من غير إضجار. قال خالد بن صفوان: أحسن الكلام ما قلت ألفاظه، وكثرت معانيه، وخير الكلام ما شوق أوله إلى سماع آخره، وقال غيره: إنما يستحق الكلام اسم البلاغة إذا سابق لفظه معناه، ومعناه لفظه، ولم يكن لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك.فصل: وقد ذهب قوم إلى أن «الإعراض» المذكور في هذه الآية منسوخ بآية السيف.[سورة النساء (٤) : آية ٦٤]وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما (٦٤)قوله تعالى: وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع قال الزجاج: «من» دخلت للتوكيد. والمعنى:." (١)

"ثم قال تعالى: أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم والمعنى أنه لا يعلم ما في قلوبهم من النفاق والغيظ والعداوة إلا الله.ثم قال تعالى: فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا واعلم أنه تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم بثلاثة أشياء: الأول: قوله: فأعرض عنهم وهذا يفيد أمرين أحدهما: أن لا يقبل منهم ذلك العذر ولا يغتر به، فإن من لا يقبل عذر غيره ويستمر على سخطه قد يوصف بأنه معرض عنه غير ملتفت إليه.والثاني: أن هذا يجري مجرى أن يقول له: اكتف بالإعراض عنهم ولا تهتك سترهم، ولا تظهر لهم أنك عالم بكنه ما في بواطنهم، فإن من هتك ستر/ عدوه وأظهر له كونه عالما بما في قلبه فربما يجرئه ذلك على أن لا يبالي بإظهار العداوة فيزداد الشر، ولكن إذا تركه على حاله

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٤٢٧/١

بقي في خوف ووجل فيقل الشر.النوع الثاني: قوله تعالى: وعظهم والمراد أنه يزجرهم عن النفاق والمكر والكيد والحسد والكذب ويخوفهم بعقاب الآخرة، كما قال تعالى: ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة [النحل: ١٢٥] .النوع الثالث: قوله تعالى: وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا وفيه مسألتان:المسألة الأولى: في قوله: في أنفسهم وجوه: الأول: أن في الآية تقديما وتأخيرا، والتقدير: وقل لهم قولا بليغا في أنفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا. الثاني: أن يكون التقدير: وقل لهم في معنى أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا، وإن الله يعلم ما في قلوبكم فلا يغني عنكم إخفاؤه، فطهروا قلوبكم من النفاق وإلا أنزل الله بكم ما أنزل بالمجاهرين بالشرك أو شرا من ذلك وأغلظ. الثالث: قل لهم في أنفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم على سبيل السر، لأن النصيحة على الملأ تقريع وفي السر محض المنفعة.المسألة الثانية: في الآية قولان: أحدهما: إن المراد بالوعظ التخويف بعقاب الآخرة، والمراد بالقول البليغ التخويف بعقاب الدنيا، وهو أن يقول لهم: إن ما في قلوبكم من النفاق والكيد معلوم عند الله، ولا فرق بينكم وبين سائر الكفار، وإنما رفع الله السيف عنكم لأنكم أظهرتم الإيمان، فإن واظبتم على هذه الأفعال القبيحة ظهر للكل بقاؤكم على الكفر، وحينئذ يلزمكم السيف. الثاني: أن القول البليغ صفة للوعظ، فأمر تعالى بالوعظ، ثم أمر أن يكون ذلك الوعظ بالقول البليغ، وهو أن يكون كلاما بليغا طويلا حسن الألفاظ حسن المعاني مشتملا على الترغيب والترهيب والإحذار والإنذار والثواب والعقاب، فإن الكلام إذا كان هكذا عظم وقعه في القلب، وإذا كان مختصرا ركيك اللفظ قليل المعنى لم يؤثر ألبتة في القلب.[سورة النساء (٤) : آية ٦٤]وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما (٦٤)[في قوله تعالى وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله] واعلم أنه تعالى لما أمر بطاعة الرسول في قوله: وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ثم حكى أن بعضهم تحاكم إلى الطاغوت ولم يتحاكم إلى الرسول، وبين قبح طريقه وفساد منهجه، رغب في هذه الآية مرة أخرى في طاعة الرسول فقال: وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله وفي/ الآية مسائل:." (١)

"المسألة الخامسة: الآية دالة على أن الأنبياء عليهم السلام معصومون عن المعاصي والذنوب لأنها دلت على وجوب طاعتهم مطلقا، فلو أتوا بمعصية لوجب علينا الاقتداء بهم في تلك المعصية فتصير تلك

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٢٤/١٠

المعصية واجبة علينا، وكونها معصية يوجب كونها محرمة علينا، فيلزم توارد الإيجاب والتحريم على الشيء الواحد وإنه محال.فإن قيل: ألستم في الاعتراض على كلام الجبائي ذكرتم أن قوله: إلا ليطاع لا يفيد العموم، فكيف تمسكتم به في هذه المسألة مع أن هذا الاستدلال لا يتم إلا مع القول بأنها تفيد العموم.قلنا: ظاهر اللفظ يوهم العموم، وإنما تركنا العموم في تلك المسألة للدليل العقلي القاطع الذي ذكرناه على أنه يستحيل منه تعالى أن يريد الإيمان من الكافر، فلأجل ذلك المعارض القاطع صرفنا الظاهر عن العموم، وليس في هذه المسألة برهان قاطع عقلي يوجب القدح في عصمة الأنبياء فظهر الفرق.قوله تعالى: ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما.وفيه مسائل:المسألة الأولى: في سبب النزول وجهان: الأول: المراد به من تقدم ذكره من المنافقين، يعني لو أنهم عند ما ظلموا أنفسهم بالتحاكم إلى الطاغوت والفرار من التحاكم إلى الرسول جاءوا الرسول وأظهروا الندم على ما فعلوه وتابوا عنه واستغفروا منه **واستغفر لهم الرسول** بأن يسأل الله أن يغفرها لهم عند توبتهم لوجدوا الله توابا رحيما. الثاني:قال أبو بكر الأصم: أن قوما من المنافقين اصطلحوا على كيد في حق الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم دخلوا عليه لأجل ذلك الغرض فأتاه جبريل عليه السلام فأخبره به، فقال صلى الله عليه وسلم: إن قوما دخلوا يريدون أمرا لا ينالونه، فليقوموا وليستغفروا الله حتى أستغفر لهم فلم يقوموا، فقال: ألا تقومون، فلم يفعلوا فقال صلى الله عليه وسلم: قم يا فلان قم يا فلان حتى عد اثني عشر رجلا منهم، فقاموا وقالوا: كنا عزمنا على ما قلت، ونحن نتوب إلى الله من ظلمنا أنفسنا فاستغفر لنا، فقال: الآن اخرجوا أنا كنت في بدء الأمر أقرب إلى الاستغفار: وكان الله أقرب إلى الإجابة اخرجوا عني.المسألة الثانية: لقائل أن يقول: أليس لو استغفروا الله وتابوا على وجه صحيح لكانت توبتهم مقبولة، فما الفائدة في ضم استغفار الرسول إلى استغفارهم؟قلنا: الجواب عنه من وجوه: الأول: أن ذلك التحاكم إلى الطاغوت كان مخالفة لحكم الله، وكان أيضا إساءة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام وإدخالا للغم في قلبه، ومن كان ذنبه كذلك وجب عليه الاعتذار عن ذلك الذنب لغيره، فلهذا المعنى وجب عليهم أن يطلبوا من الرسول أن يستغفر لهم. الثاني: أن القوم لما لم يرضوا بحكم الرسول ظهر منهم ذلك التمر، فإذا تابوا وجب عليهم أن يفعلوا ما يزيل عنهم ذلك التمرد، وما ذاك إلا بأن يذهبوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ويطلبوا منه الاستغفار. الثالث: لعلهم إذا أتوا بالتوبة أتوا بها على وجه الخلل، فإذا انضم إليها استغفار الرسول صارت مستحقة للقبول والله

أعلم.المسألة الثالثة: إنما قال: **واستغفر لهم الرسول** ولم يقل واستغفرت لهم إجلالا للرسول عليه الصلاة." (١)

"بعالم لا يتناقضان لاحتمال أن يكون المراد زيد عالم بالفقه، زيد ليس بعالم بالكلام، وإذا ثبت هذا فكذا قولنا صاحب الكبيرة مرتضى صاحب الكبيرة ليس بمرتضى، لا يتناقضان لاحتمال أن يقال: إنه مرتضى بحسب دينه، ليس بمرتضى بحسب فسقه، وأيضا فمتى ثبت أنه مرتضى بحسب إسلامه ثبت مسمى كونه مرتضى، وإذا كان المستثنى هو مجرد كونه مرتضى، ومجرد كونه/ مرتضى حاصل عند كونه مرتضى بحسب إيمانه وجب دخوله تحت الاستثناء وخروجه عن المستثنى منه، ومتى كان كذلك ثبت أنه من أهل الشفاعة. وأما السؤال الثاني:فجوابه أن حمل الآية على أن يكون معناها ولا يشفعون إلا لمن ارتضاه الله أولى من حملها على أن المراد ولا يشفعون إلا لمن ارتضى الله شفاعته، لأن على التقدير الأول تفيد الآية الترغيب والتحريض على طلب مرضاة الله عز وجل والاحتراز عن معاصيه، وعلى التقدير الثاني لا تفيد الآية ذلك، ولا شك أن تفسير كلام الله تعالى بما كان أكثر فائدة أولى. وخامسها: قوله تعالى في صفة الكفار: فما تنفعهم شفاعة الشافعين [المدثر: ٤٨] خصهم بذلك فوجب أن يكون حال المسلم بخلافه بناء على مسألة دليل الخطاب، وسادسها: قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم: واستغفر لذنبك، وللمؤمنين والمؤمنات [محمد: ١٩] دلت الآية على أنه تعالى أمر محمدا بأن يستغفر لكل المؤمنين والمؤمنات وقد بينا في تفسير قوله تعالى: الذين يؤمنون بالغيب [البقرة: ٣] أن صاحب الكبيرة مؤمن، وإذا كان كذلك ثبت أن محمدا صلى الله عليه وسلم استغفر لهم، وإذا كان كذلك ثبت أن الله تعالى قد غفر لهم. وإلا لكان الله تعالى قد أمره بالدعاء ليرد دعاءه فيصير ذلك محض التحقير والإيذاء وهو غير لائق بالله تعالى ولا بمحمد صلى الله عليه وسلم فدل على أن الله تعالى لما أمر محمدا بالاستغفار لكل العصاة فقد استجاب دعاءه، وذلك إنما يتم لو غفر لهم ولا معنى للشفاعة إلا هذا، وسابعها: قوله تعالى: وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها [النساء: ٨٦] فالله تعالى أمر الكل بأنهم إذا حياهم أحد بتحية أن يقابلوا تلك التحية بأحسن منها أو بأن يردوها، ثم أمرنا بتحية محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال: يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما [الأحزاب: ٥٦] الصلاة من الله رحمة ولا شك أن هذا تحية، فلما طلبنا من الله الرحمة لمحمد عليه الصلاة والسلام وجب بمقتضى قوله: فحيوا بأحسن منها أو ردوها،

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٢٦/١٠

أن يفعل محمد مثله وهو أن يطلب لكل المسلمين الرحمة من الله تعالى، وهذا هو معنى الشفاعة، ثم توافقنا على أنه عليه الصلاة والسلام غير مردود الدعاء، فوجب أن يقبل الله شفاعته في الكل وهو المطلوب. وثامنها: قوله تعالى: ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما [النساء: ٦٤] وليس في الآية ذكر التوبة، والآية تدل على أن الرسول متى استغفر للعصاة والظالمين فإن الله يغفر لهم، وهذا يدل على أن شفاعة الرسول في حق أهل الكبائر مقبولة في الدنيا، فوجب أن تكون مقبولة في الآخرة، لأنه لا قائل بالفرق. وتاسعها: أجمعنا على وجوب الشفاعة لمحمد صلى الله عليه وسلم فتأثيرها إما أن يكون في زيادة المنافع أو في إسقاط المضار والأول باطل وإلا لكنا شافعين للرسول عليه الصلاة والسلام إذا طلبنا من الله تعالى أن يزيد في فضله عند ما نقول: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وإذا بطل هذا القسم تعين الثاني وهو المطلوب، فإن قيل: إنما لا يطلق علينا كوننا شافعين لمحمد صلى الله عليه وسلم لوجهين، الأول: أن/ الشفيع لا بد أن يكون أعلى رتبة من المشفوع له، ونحن وإن كنا نطلب الخير له عليه الصلاة والسلام ولكن لما كنا أدنى رتبة منه عليه الصلاة والسلام لم يصح أن نوصف بكوننا شافعين له. الثاني: قال أبو الحسين: سؤال المنافع للغير إنما يكون شفاعة إذا كان فعل تلك المنافع لأجل سؤاله ولولاه لم تفعل أو كان لسؤاله تأثير في فعلها، فأما إذا كانت تفعل سواء سألها أو لم يسألها، وكان غرض." (١)

"[سورة النساء (٤) : الآيات ٦١ الى ٦٢]وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا (٦١) فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا (٦٢)وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول وقرئ «تعالوا» بضم اللام على أنه حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير. رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا هو مصدر أو اسم للمصدر الذي هو الصد، والفرق بينه وبين السد أنه غير محسوس والسد محسوس ويصدون في موضع الحال.فكيف يكون حالهم. إذا أصابتهم مصيبة كقتل عمر المنافق أو النقمة من الله تعالى. بما قدمت أيديهم من التحاكم إلى غيرك وعدم الرضى بحكمك. ثم جاؤك حين يصابون للاعتذار، عطف على أصابتهم. وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض. يحلفون بالله حال. إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا ما أردنا بذلك إلا الفصل بالوجه الأحسن والتوفيق بين الخصمين، ولم نرد مخالفتك. وقيل جاء أصحاب القتيل

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥٠٠/٣

طالبين بدمه وقالوا ما أردنا بالتحاكم إلى عمر إلا أن يحسن إلى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه.[سورة النساء (٤) : آية ٦٣]أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا (٦٣)أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب.فأعرض عنهم أي عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم أو عن قبول معذرتهم. وعظهم بلسانك وكفهم عما هم عليه. وقل لهم في أنفسهم أي في معنى أنفسهم أو خاليا بهم فطن النصح في السر أنجع. قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم، أمره بالتجافي عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب، وذلك مقتضى شفقة الأنبياء عليهم السلام، وتعليق الظرف ببليغا على معنى بليغا في أنفسهم مؤثرا فيها ضعيف لأن معمول الصفة لا يتقدم على الموصوف، والقول البليغ في الأصل هو الذي يطابق مدلوله المقصود به.[سورة النساء (٤) : آية ٦٤]وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما (٦٤)وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله بسبب إذنه في طاعته وأمره المبعوث إليهم بأن يطيعوه، وكأنه احتج بذلك على أن الذي لم يرض بحكمه وإن أظهر الإسلام كان كافرا مستوجب القتل، وتقريره أن إرسال الرسول لما لم يكن إلا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل. ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم بالنفاق أو التحاكم إلى الطاغوت. جاؤك تائبين من ذلك وهو خبر أن وإذ متعلق به. فاستغفروا الله بالتوبة والإخلاص. **واستغفر لهم الرسول** واعتذروا إليك حتى انتصبت لهم شفيعا، وإنما عدل الخطاب تفخيما لشأنه وتنبيها على أن من حق الرسول أن يقبل اعتذار التائب وإن عظم جرمه ويشفع له، ومن منصبه أن يشفع في كبائر الذنوب. لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة، وإن فسر وجد بصادف كان توابا حالا ورحيما بدلا منه أو حالا من الضمير فيه.[سورة النساء (٤) : آية ٦٥]فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (٦٥)." [١]

"وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما (٦٤)﴿وما أرسلنا من رسول﴾ أي رسولا قط ﴿ليطاع بإذن الله﴾ بتوفيقه في طاعته وتيسيره أو بسبب إذن الله في طاعته وبأنه أمر المبعوث إليهم بأن يطيعوه لأنه مؤد عن

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٢/٨١

الله فطاعته طاعة الله ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم﴾ بالتحاكم إلى الطاغوت ﴿جاؤوك﴾ تائبين من النفاق معتذرين عما ارتكبوا من الشقاق ﴿فاستغفروا الله﴾ من النفاق والشقاق **﴿واستغفر لهم الرسول﴾** بالشفاعة لهم والعامل في إذ ظلموا خير أن وهو جاءوك والمعنى ولو وقع مجيئهم في وقت ظلمهم مع استغفارهم واستغفار الرسول ﴿لوجدوا الله توابا﴾ لعلموه توابا أي لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه إلى طريقة الالتفات تفخيما لشأنه صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على أن شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان ﴿رحيما﴾ بهم قيل جاء أعرابي بعد دفنه عليه السلام فرمى بنفسه على قبره وحثا من ترابه على رأسه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا وكان فيما أنزل عليك ولو أنهم إذ ظلمواالنساء (٦٥ ـ ٦٩)أنفسهم الآية وقد ظلمت نفسي وجئتك أستغفر الله من ذنبي فاستغفر لي من ربي فنودي من قبره قد غفر لك." [١]

"[سورة النساء (٤): الآيات ٦٣ الى ٦٥]أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا (٦٣) وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما (٦٤) فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (٦٥)أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم يعني من النفاق فأعرض عنهم يعني عن عقوبتهم وقيل عن قبول عذرهم وعظهم يعني باللسان والمراد زجرهم بالوعظ عن النفاق والكفر والكذب وتخويفهم بعذاب الآخرة وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا يعني بليغا يؤثر في قلوبهم موقعه وهو التخويف بالله عز وجل وقيل هو أن يوعدهم بالقتل إن لم يتوبوا من النفاق. وقيل هو أن يقول إن أظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قتلتم لأن هذا القول يبلغ في نفوسهم كل مبلغ وقيل معناه فأعرض عنهم في الملأ وقل لهم في أنفسهم إذا خلوت بهم قولا بليغا أي اغلظ لهم في القول خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لأنها في السر أنجع. وقيل هذا الإعراض منسوخ بآية القتال وقد تكلم العلماء في حد البلاغة فقال بعضهم البلاغة إيصال المعنى إلى الفهم في أحسن صورة من اللفظ وقيل البلاغة حسن العبارة مع صحة المعنى وقيل البلاغة سرعة الإيجاز مع الإفهام وحسن التصرف من غير إدجار. وقيل أحسن الكلام ما قلت ألفاظه وكثرت معانيه وقيل خير الكلام ما شوق أوله إلى سماع آخره وقيل لا يستحق الكلام اسم البلاغة إلا إذا طابق لفظه معناه ومعناه لفظه ولم يكن لفظه إلى السمع

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ١/٣٧٠

أسبق من معناه إلى القلب. وقيل المراد بالقول البليغ في الآية أن يكون حسن الألفاظ حسن المعاني مشتملا على الترغيب والترهيب والإعذار والإنظار والوعد والوعيد بالثواب والعقاب، فإن الكلام إذا كان كذلك عظم وقعه في القلوب وأثر في النفوس.قوله تعالى: وما أرسلنا من رسول قال الزجاج لفظه من هنا صلة مؤكدة والمعنى وما أرسلنا رسولا إلا ليطاع بإذن الله يعني بأمر الله والمعنى إنما وجبت طاعة الرسول بأمر الله لأن الله أذن في ذلك وأمر به وقيل معناه بعلم الله وقضائه أي طاعته تكون بإذن الله لأنه أذن فيه فتكون طاعة الرسول طاعة الله ومعصيته معصية الله والمعنى وما أرسلنا من رسول إلا فرضت طاعته على من أرسلته إليهم وأنت يا محمد من الرسل الذين فرضت طاعتهم على من أرسلوا إليهم ففيه توبيخ وتقريع للمنافقين الذين تركوا حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضوا بحكم الطاغوت ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم يعني الذين تحاكموا إلى الطاغوت ظلموا أنفسهم بالتحاكم إليه جاؤك يعني جاءوك تائبين من النفاق والتحاكم إلى الطاغوت متنصلين مما ارتكبوا من المخالفة فاستغفروا الله يعني من ذلك الذنب بالإخلاص وبالغوا في الاعتذار إليك من إيذائك برد حكمك والتحاكم إلى غيرك **واستغفر لهم الرسول** يعني من مخالفته والتحاكم إلى غيره وإنما قال **واستغفر لهم الرسول** ولم يقل واستغفرت لهم إجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتفخيما له وتعظيما لاستغفاره وأنهم إذا جاءوه فقد جاءوا من خصه الله برسالته وجعله سفيرا بينه وبين خلقه ومن كان كذلك فإن الله تعالى لا يرد شفاعته فلهذا السبب عدل إلى طريقة الالتفات من لفظ الخطاب إلى لفظ الغيبة لوجدوا الله توابا رحيما يعني لو أنهم تابوا من ذنوبهم ونفاقهم واستغفرت لهم لعلموا أن الله يتوب عليهم ويتجاوز عنهم ويرحمهم. قوله عز وجل: فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم نزلت هذه الآية في الزبير بن العوام ورجل من الأنصار (ق) عن عروة بن الزبير عن أبيه أن رجلا من الأنصار خاصم الزبير في شراج الحرة التي يسقون بها النخل فقال الأنصاري: سرح الماء يمر فأبى عليه فاختصما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير: «اسق يا زبير ثم أرسل إلى جارك» فغضب الأنصاري ثم قال يا رسول الله إن كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال للزبير اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر. فقال الزبير والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك: فلا وربك لا يؤمنون حتى." (١)

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١/٣٩٥

"تفصيلا لجملة الحساب، لأن الحساب إنما هو تعداد حسناته وسيئاته وحصرها، بحيث لا يشذ شيء منها، والغفران والعذاب مترتبان على المحاسبة، فليست المحاسبة تفصل الغفران والعذاب.وأما ثانيا: فلقوله بعد أن ذكر بدل البعض والكل، وبدل الاشتمال: هذا البدل وقوعه في الأسماء لحاجة القبيلين إلى البيان. أما بدل الاشتمال فهو يمكن، وقد جاء لأن الفعل بما هو يدل على الجنس يكون تحته أنواع يشتمل عليها، ولذلك إذا وقع عليه النفي انتفت جميع أنواع ذلك الجنس، وأما بدل البعض من الكل فلا يمكن في الفعل، إذ الفعل لا يقبل التجزي، فلا يقال في الفعل: له كل وبعض إلا بمجاز بعيد، فليس كالاسم في ذلك، ولذلك يستحيل وجود بدل البعض من الكل بالنسبة لله تعالى، إذ الباري تعالى واحد فلا ينقسم ولا يتبعض.قال الزمخشري، وقد ذكر قراءة الجزم: فإن قلت: كيف يقرأ الجازم؟.قلت: يظهر الراء ويدغم الباء، ومدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشا، وراويه عن أبي عمرو مخطئ مرتين، لأنه يلحن وينسب إلى أعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم، والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة، والسبب في قلة الضبط قلة الدراية، ولا يضبط نحو هذا إلا أهل النحو. انتهى كلامه. وذلك على عادته في الطعن على القراء.وأما ما ذكر أن مدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشا إلى آخره، فهذه مسألة اختلف فيها النحويون، فذهب الخليل، وسيبويه وأصحابه: إلى أنه لا يجوز إدغام الراء في اللام من أجل التكرير الذي فيها، ولا في النون. قال أبو سعيد. ولانعلم أحدا خالفه إلا يعقوب الحضرمي، وإلا ما روي عن أبي عمرو، وأنه كان يدغم الراء في اللام متحركة متحركا ما قبلها، نحو: يغفر لمن «١» العمر لكيلا «٢» **واستغفر لهم الرسول** «٣» فإن سكن ما قبل الراء أدغمها في اللام في موضع الضم والكسر، نحو الأنهار لهم «٤» والنار ليجزي «٥» فإن انفتحت وكان ما قبلها حرف مدولين أو غيره لم__________(١) سورة البقرة: ٢/ ٢٨٤، وآل عمران: ٣/ ١٢٩ والمائدة: ٤/ ١٨ و ٤٠. والفتح: ٤٨/ ١٤.(٢) سورة الحج: ٢٢/ ٥.(٣) سورة النساء: ٤/ ٦٤.(٤) سورة النحل: ١٦/ ٣١.(٥) سورة إبراهيم: ١٤/ ٥٠ و ٥١.." [1]

"[سورة النساء (٤) : الآيات ٦٤ الى ٧٢]وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما (٦٤) فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (٦٥) ولو أنا كتبنا

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٢/٧٥٣

عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا (٦٦) وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما (٦٧) ولهديناهم صراطا مستقيما (٦٨)ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا (٦٩) ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما (٧٠) يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا (٧١) وإن منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن مءهم شهيدا (٧٢)شجر الأمر: التبس، يشجر شجورا وشجرا، وشاجر الرجل غيره في الأمر نازعه فيه، وتشاجروا. وخشبات الهودج يقال لها شجار لتداخل بعضها ببعض. ورمح شاجر، والشجير الذي امتزجت مودته بمودة غيره، وهو من الشجر شبه بالتفاف الأغصان. وقد تقدم ذكر هذه المادة في البقرة وأعيدت لمزيد الفائدة.نفر الرجل ينفر نفيرا، خرج مجدا بكسر الفاء في المضارع وضمها، وأصله الفزع، يقال: نفر إليه إذا فزع إليه، أي طلب إزالة الفزع. والنفير النافور، والنفر الجماعة. ونفرت الدابة تنفر بضم الفاء نفورا أي هربت باستعجال.الثبة: الجماعة الاثنان والثلاثة في كلام العرب قاله: الماتريدي. وقيل: هي فوق العشرة من الرجال، وزنها فعلة. ولامها قيل: واو، وقيل: ياء، مشتقة من تثبيت على الرجل إذا أثنيت عليه، كأنك جمعت محاسنه. ومن قال: إن لامها واو، جعلها من ثبا يثبو مثل حلا يحلو. وتجمع بالألف والتاء وبالواو و ،لنون فتضم في هذا الجمع تاؤها، أو تكسر وثبة الحوض وسطه الذي يثوب الماء إليه، المحذوف منه عينه، لأنه من ثاب يثوب، وتصغيره ثويبة كما تقول في سه سييهة، وتصغير تلك ثبية. البطء التثبط عن الشيء. يقال:أبطأ وبطؤ مثل أسرع وسرع مقابله، وبطآن اسم فعل بمعنى بطؤ.." (١)

"وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله نبه تعالى على جلالة الرسل، وأن العالم يلزمهم طاعتهم، والرسول منهم تجب طاعته. ولام ليطاع لام كي، وهو استثناء مفرغ من المفعول من أجله أي: وما أرسلنا من رسول بشيء من الأشياء إلا لأجل الطاعة. وبإذن الله أي بأمره، قاله: ابن عباس. أو بعلمه وتوفيقه وإرشاده. وحقيقة الإذن التمكين مع العلم بقدر ما مكن فيه. والظاهر أن بإذن الله متعلق بقوله: ليطاع. وقيل: بأرسلنا أي: وما أرسلنا بأمر الله أي: بشريعته، ودينه وعبادته من رسول إلا ليطاع. قال ابن عطية: وعلى التعليقين فالكلام عام اللفظ، خاص المعنى، لأنا نقطع أن الله تبارك وتعالى قد أراد من بعض خلقه أن لا يطيعوه، ولذلك خرجت طائفة معنى الإذن إلى العلم، وطائفة خرجته إلى الإرشاد لقوم دون قوم، وهو

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٦٩٢/٣

تخريج حسن. لأن الله إذا علم من أحد أنه يؤمن وفقه لذلك، فكأنه أذن له انتهى. ولا يلزم ما ذكره من أن الكلام عام اللفظ خاص المعنى، لأن قوله: ليطاع مبني للمفعول الذي لم يسم فاعله، ولا يلزم من الفاعل المحذوف أن يكون عاما، فيكون التقدير: ليطيعه العالم، بل المحذوف ينبغي أن يكون خاصا ليوافق الموجود، فيكون أصله: إلا ليطيعه من أردنا طاعته. وقال عبد الله الرازي: والآية دالة على أنه لا رسول إلا ومعه شريعة ليكون مطاعا في تلك الشريعة، ومتبوعا فيها، إذ لو كان لا يدعو إلا إلى شرع من قبله لم يكن هو في الحقيقة مطاعا، بل المطاع هو الرسول المتقدم الذي هو الواضع لتلك الشريعة، والله تعالى حكم على كل رسول بأنه مطاع انتهى. ولا يعجبني قوله:الواضع لتلك الشريعة، والأحسن أن يقال: الذي جاء بتلك الشريعة من عند الله.ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما ظلموا أنفسهم بسخطهم لقضائك أو بتحاكمهم إلى الطاغوت، أو بجميع ما صدر عنهم من المعاصي. جاؤوك فاستغفروا الله بالإخلاص، واعتذروا إليك. **واستغفر لهم الرسول** أي: شفع لهم الرسول في غفران ذنوبهم. والعامل في إذ جاؤوك، والتفت في قوله: **واستغفر لهم الرسول**، ولم يجىء على ضمير الخطاب في جاؤوك تفخيما لشأن الرسول، وتعظيما لاستغفاره، وتنبيها على أن شفاعة من اسمه الرسول من الله تعالى بمكان، وعلى أن هذا الوصف الشريف وهو إرسال الله إياه موجب لطاعته، وعلى أنه مندرج في عموم قوله: وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله «١» ومعنى وجدوا:علموا، أي: بإخباره أنه قبل توبتهم ورحمهم.______________(١) سورة النساء: ٤/ ٦٤.." (١)

"والضمير الذي للخطاب هو للمؤمنين، وفي بينه للقائل. واعترض به بين أثناء الحملة الأخيرة، ولم يتأخر بعدها وإن كان من حيث المعنى متأخرا إذ معناه متعلق بمضمون الجملتين، لأن معمول القول النية به التقديم، لكنه حسن تأخيره كونه وقع فاصلة. ولو تأخرت جملة الاعتراض لم يحسن لكونها ليست فاصلة، والتقدير: ليقولن يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما كأن لم يكن بينكم وبينه مودة، إذ صدر منه قوله وقت المصيبة: قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا. وقوله: وقت الغنيمة يا ليتني كنت معهم، وهذا قول من لم تسبق منه مودة لكم.وفي الآيتين تنبيه على أنهم لا يعدون من المنح إلا أغراض الدنيا، يفرحون بما ينالون منها، ولا من المحن إلا مصائبها فيتألمون لما يصيبهم منها كقوله تعالى: فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه «١» الآية. وتضمنت هذه الجملة أنواعا من الفصاحة والبديع:دخول حرف الشرط على ما

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٦٩٣/٣

ليس بشرط في الحقيقة في قوله: إن كنتم تؤمنون. والإشارة في ذلك: خير أولئك الذين يعلم الله، فأولئك مع الذين، وحسن أولئك رفيقا، ذلك الفضل من الله. والاستفهام المراد به التعجب في: ألم تر إلى الذين يزعمون. والتجنيس المغاير في: أن يضلهم ضلالا، وفي: أصابتهم مصيبة، وفي: وقل لهم في أنفسهم قولا، وفي: يصدون عنك صدودا، وفي: ويسلموا تسليما، وفي: فإن أصابتكم مصيبة، وفي:فأفوز فوزا عظيما. والاستعارة في: فإن تنازعتم، أصل المنازعة الجذب باليد، ثم استعير للتنازع في الكلام. وفي: ضلالا بعيدا استعار البعد المختص بالأزمنة والأمكنة للمعاني المختصة بالقلوب لدوام القلوب عليها، وفي: فيما شجر بينهم استعار ما اشتبك وتضايق من الشجر للمنازعة التي يدخل بها بعض الكلام في بعض استعارة المحسوس للمعقول وفي: أنفسهم حرجا أطلق اسم الحرج الذي هو من وصف الشجر إذا تضايق على الأمر الذي يشق على النفس للمناسبة التي بينهما وهو من الضيق والتتميم، وهو أن يتبع الكلام كلمة تزيد المعنى تمكنا وبيانا للمعنى المراد وهو في قوله: قولا بليغا أي: يبلغ إلى قلوبهم ألمه أو بالغا في زجرهم. وزيادة الحرف لزيادة المعنى في: من رسول أتت للاستغراق إذ لو لم تدخل لا وهم الواحد. والتكرار في: استغفر واستغفروا أنفسهم، وفي أنفسهم واسم الله في مواضع. والالتفات في: **واستغفر لهم الرسول**. والتوكيد بالمصدر في: ويسلموا______________(١) سورة الفجر: ٨٩/ ١٥.." [١]

"قوله تعالى: ﴿ليطاع﴾ هذه لام كي، والفعل بعدها منصوب بإضمار «أن» وهذا استثناء مفرغ من المفعول له، والتقدير: وما أرسلنا من رسول لشيء من الأشياء إلا للطاعة. «وبإذن الله» فيه ثلاثة أوجه، أحدهما: [أنه] متعلق ب «يطاع» ، والباء للسببية، وإليه ذهب أبو البقاء، قال: «وقيل: هو مفعول به أي: بسبب أمر الله» . الثاني: أن يتعلق ب «أرسلنا» أي: وما أرسلنا بأمر الله أي: بشريعته. الثالث: أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من الضمير في «يطاع» ، وبه بدأ أبو البقاء. وقال ابن عطية: «وعلى التعليقين: أي: تعليقه ب» يطاع «أو ب» أرسلنا «فالكلام عام اللفظ خاص المعنى؛ لأنا نقطع أن الله تعالى قد أراد من بعضهم ألا يطيعوه، ولذلك تأول بعضهم الإذن بالعلم وبعضهم بالإرشاد» قال الشيخ: «ولا يحتاج لذلك لأن قوله» عام اللفظ «ممنوع، وذلك أن» يطاع «مبني للمفعول، فيقدر ذلك الفاعل المحذوف خاصا، وتقديره:» إلا ليطيعه من أراد الله طاعته «.قوله: ﴿ولو أنهم﴾ قد تقدم الكلام على» أن «الواقعة بعد»

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣/٧٠٨

لو «و» إذ «ظرف معمول لخبر» أن «وهو» جاؤوك «وقال: ﴿**واستغفر لهم الرسول**﴾ ولم يقل» واستغفرت «خروجا من الخطاب إلى الغيبة؛ لما في هذا." (١)

"وما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم﴾ [الحاقة: ٣٨] يعني أنه قد جاءت» لا «قبل القسم حيث لم تكن» لا «موجودة في الجواب، فالزمخشري يرى ان» لا «في قوله تعالى: ﴿فلا أقسم بما تبصرون﴾ [الحاقة: ٣٨] أنها زائدة أيضا لتأكيد معنى القسم، وهو أحد القولين، والقول الآخر كقول الطبري المتقدم، ومثل الآية في التخاريج المذكورة قول الآخر:١٦٠٣ - فلا والله لا يلفى لما بي ... ولا للما بهم أبدا دواءقوله ﴿حتى يحكموك﴾ :» حتى «غاية متعلقة بقوله» لا يؤمنون «أي: ينتفي عنهم الإيمان إلى هذه الغاية وهي تحكيمك وعدم وجدانهم الحرج وتسليمهم لأمرك. والتفت في قوله» ربك «من الغيبة في قوله ﴿**واستغفر لهم الرسول**﴾ رجوعا إلى قوله» ثم جاؤوك «وقرأ أبو السمال:» شجر «بسكون الجيم هربا من توالي الحركات وهي ضعيفة، لأن الفتح أخو السكون. و» بينهم «ظرف منصوب ب» شجر «هذا هو الصحيح، وأجاز أبو البقاء فيه أن يكون حالا وجعل في صاحب هذه الحال احتمالين، أحدهما: أن يكون حالا من» ما «الموصولة، والثاني: أنه حال من فاعل» شجر «وهو نفس الموصول أيضا في المعنى، فعلى هذا يتعلق بمحذوف، و» ثم لا يجدوا «عطف على ما بعد» حتى «،» ويجدوا «يحتمل أن تكون المتعدية لاثنين، فيكون الأول» حرجا «والثاني الجار قبله فيتعلق بمحذوف، وأن تكون المتعدية لواحد فيجوز في» في أنفسهم «وجهان، أحدهما: أنه متعلق ب» يجدوا «تعلق الفضلات.." (٢)

"﴿ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا﴾ أي: يعتذرون إليك ويحلفون: ما أردنا بذهابنا إلى غيرك، وتحاكمنا إلى عداك إلا الإحسان والتوفيق، أي: المداراة والمصانعة، لا اعتقادا منا صحة تلك الحكومة، كما أخبرنا تعالى عنهم في قوله: ﴿فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى [أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده] (١) فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين﴾ [المائدة:٥٢] .وقد قال الطبراني: حدثنا أبو زيد أحمد بن يزيد الحوطي، حدثنا أبو اليمان، حدثنا صفوان بن عمر، عن عكرمة، عن ابن عباس. قال: كان أبو برزة الأسلمي كاهنا يقضي بين اليهود فيما يتنافرون فيه فتنافر إليه ناس من المسلمين فأنزل الله عز وجل: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٨/٤

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢٠/٤

أنزل إليك وما أنزل من قبلك [يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت] (٢) ﴾ إلى قوله: ﴿إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا﴾ثم قال تعالى: ﴿أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم﴾ [أي] (٣) هذا الضرب من الناس هم المنافقون، والله يعلم ما في قلوبهم وسيجزيهم على ذلك، فإنه لا تخفى عليه خافية، فاكتف به يا محمد فيهم، فإن الله عالم بظواهرهم وبواطنهم؛ ولهذا قال له: ﴿فأعرض عنهم﴾ أي: لا تعنفهم على ما في قلوبهم ﴿وعظهم﴾ أي: وانههم (٤) على ما في قلوبهم من النفاق وسرائر الشر ﴿وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا﴾ أي: وانصحهم فيما بينك وبينهم بكلام بليغ رادع (٥) لهم.﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما (٦٤) فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (٦٥) ﴾يقول تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع﴾ أي: فرضت طاعته على من أرسله (٦) إليهم وقوله: ﴿بإذن الله﴾ قال مجاهد: أي لا يطيع أحد إلا بإذني. يعني: لا يطيعهم إلا من وفقته لذلك، كقوله: ﴿ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه﴾ [آل عمران:٥٢] أي: عن أمره وقدره ومشيئته، وتسليطه إياكم عليهم.وقوله: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ يرشد تعالى العصاة والمذنبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فيستغفروا الله عنده، ويسألوه أن يستغفر لهم، فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم، ولهذا قال: ﴿لوجدوا الله توابا رحيما﴾وقد ذكر جماعة منهم: الشيخ أبو نصر بن الصباغ في كتابه "الشامل" الحكاية المشهورة عن__________(١) زيادة من أ، وفي هـ: "إلى قوله".(٢) زيادة من أ.(٣) زيادة من د، أ.(٤) في ر: "انههم".(٥) في ر: "وادع".(٦) في ر: "أرسلته".." (١)

"العتبي، قال: كنت جالسا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ وقد جئتك مستغفرا لذنبي مستشفعا بك إلى ربي ثم أنشأ يقول:يا خير من دفنت بالقاع (١) أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم ...نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم ...ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيني، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال: يا عتبى، الحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له (٢) .__________(١) في أ: "في القاع".(٢) ذكر

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٣٤٧/٢

هذه الحكاية النووي في المجموع (٢١٧/٨) وفي الإيضاح (ص٤٩٨) ، وزاد البيتين التاليين: أنت الشفيع الذي ترجى شفاعته ... على الصراط إذا ما زلت القدموصاحباك فلا أنساهما أبدا ... مني السلام عليكم ما جرى القلموساقها بقوله: "ومن أحسن ما يقول: ما حكاه أصحابنا عن العتبي مستحسنين له ثم ذكرها بتمامها"، وابن كثير هنا لم يروها ولم يستحسنها بل نقلها كما نقل بعض الإسرائيليات في تفسيره، وهي حكاية باطلة، وقصة واهية، استدل بها بعض الناس بجواز التوسل بالرسول صلى الله عليه سلم بعد وفاته، والرد عليها بأربعة أمور ذكرها الشيخ الفاضل صالح آل الشيخ في كتابه: "هذه مفاهيمنا" (ص٧٦) .أولا: ما دام أنها ليست من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا فعل خلفائه الراشدين، وصحابته المكرمين، ولا من فعل التابعين، والقرون المفضلة، وإنما هي مجرد حكاية عن مجهول نقلت بسند ضعيف، فكيف يحتج بها في عقيدة التوحيد، الذي هو أصل الأصول، وكيف يحتج بها وهي تعارض الأحاديث الصحيحة التي نهي فيها عن الغلو في القبور، والغلو في الصالحين عموما، وعن الغلو في قبره، والغلو فيه صلى الله عليه وسلم خصوصا، وأما من نقلها من العلماء أو استحسنها فليس ذلك بحجة تعارض بها النصوص الصحيحة وتخالف من أجلها عقيدة السلف، فقد يخفى على بعض العلماء ما هو واضح لغيرهم، وقد يخطئون في نقلهم ورأيهم، وتكون الحجة مع من خالفهم.وما دمنا قد علمنا طريق الصواب، فلا شأن لنا بما قاله فلان أو حكاه فلان، فليس ديننا مبنيا على الحكايات والمنامات، وإنما هو مبني على البراهين الصحيحة.ثانيا: قد تخفى بعض المسائل والمعاني على من خلع الأنداد، وتبرأ من الشرك وأهله، كما قال بعض الصحابة: "اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده ما قاله أصحاب موسى: (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) " حديث صحيح.والحجة في هذا: أن هؤلاء الصحابة، وإن كانوا حديثي عهد بكفر، فهم دخلوا في الدين بلا إله إلا الله، وهي تخلع الأنداد، وأصناف الشرك، وتوحد المعبود، فمع ذلك ومع معرفة قائليها الحقة بمعنى لا إله إلا الله، خفي عليهم بعض المسائل من أفرادها، وإنما الشأن أنه إذا وضح الدليل، وأبينت الحجة، فيجب الرجوع إليها والتزامها، والجاهل قد يعذر، كما عذر أولئك الصحابة في قولهم: "اجعل لنا ذات أنواط"، وغيرهم من العلماء أولى باحتمال أن يخفى عليهم بعض المسائل ولو في التوحيد والشرك.ثالثا: كيف يتجاسر أحد أن يعارض نصوص كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بقول حكاه حاك مستحسنا له، والله سبحانه يقول: (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) [النور: ٦٣] .قال الإمام

أحمد: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة) أتدري ما الفتنة؟.الفتنة: الشرك لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك. رواه عن أحمد الفضل بن زياد وأبو طالب، ولعله في كتاب "طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم" لأحمد رحمه الله.فطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمة على طاعة كل أحد، وإن كان خير هذه الأمة أبا بكر وعمر، كما قال ابن عباس: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون: قال أبو بكر وعمر.فكيف لو رأى ابن عباس هؤلاء الناس الذين يعارضون السنة الثابتة، والحجة الواضحة بقول أعرابي في قصة العتبى الضعيفة المنكرة.إن السنة في قلوب محبيها أعظم وأغلى من تلك الحجج المتهافتة، التي يدلي بها صاحب المفاهيم البدعية، تلك المفاهيم المبنية على المنامات والمنكرات، فاعجب لهذا، وجرد المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وحذار ثم حذار من أن ترد الأحاديث الصحيحة وتؤمن بالأخبار الباطلة الواهية، فيوشك بمن فعل ذلك أن يقع في قلبه فتنة فيهلك.رابعا: ما من عالم إلا ويرد عليه في مسائل اختارها إما عن رأي، أو عن ضعف حجة، وهم معذورون قبل إيضاح المحجة بدلائلها، ولو تتبع الناس شذوذات المجتهدين ورخصهم، لخرجوا عن دين الإسلام إلى دين آخر، كما قيل: من تتبع الرخص تزندق، ولو أراد مبتغ الفساد والعدول عن الصراط أن يتخذ له من رخصهم سلما يرتقي به إلى شهواته لكان الواجب على الحاكم قمعه وصده، وتعزيره، كما هو مشهور في فقه الأئمة الأربعة، وغيرهم.وما ذكر ففيه أن من أحال لتبرير جرمه على قول عالم، علم خطؤه فيه أنه يقبل منه ولا يؤخذ بالعتاب.اللهم احفظ علينا ديننا، وتوحيدنا.." (١)

"فصلدلت هذه الآية على أن الأنبياء -[عليهم الصلاة والسلام]- معصومون عن الذنوب؛ لأنها دلت على وجوب طاعتهم مطلقا، فلو أتوا بمعصية، لوجب الاقتداء بهم في تلك المعصية، فتصير واجبة علينا، وكونها معصية يجب كونها محرمة علينا، فيلزم توارد الإيجاب والتحريم على الشيء الواحد، وهو محال.فإن قيل: ألستم في الاعتراض على الجبائي ذكرتم أن قوله: «إلا ليطاع» لا يفيد العموم، فكيف تمسكتم به في هذه المسألة، مع أن [هذا] الاستدلال لا يتم إلا مع القول بأنها تفيد العموم.فالجواب: ظاهر [هذا] اللفظ يوهم العموم، وإنما تركناه في تلك المسألة؛ للدليل القاطع الذي ذكرناه، على أنه يستحيل منه - تعالى - أن يريد الإيمان من الكافر، فلأجل ذلك المعارض القاطع صرفنا الظاهر عن العموم، وليس ههنا برهان قاطع

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٣٤٨/٢

عقلي يوجب القدح في عصمة الأنبياء – عليهم السلام –، فظهر الفرق.قوله: «ولو أنهم» قد تقدم الكلام علی «أن» الواقعة بعد «لو» ، و «إذ» ظرف معمول لخبر «أن» وهو «جاءك» ، وقال: «**واستغفر لهم الرسول**» ، ولم يقل: واستغفرت، خروجا من الخطاب إلى الغيبة، لما في هذا الاسم الظاهر من التشريف بوصف الرسالة، إجلالا للرسول – عليه السلام – و «وجد» هنا يحتمل أن تكون العلمية، فتتعدى لاثنين والثاني: «توابا» ، وأن تكون غير العلمية، فتتعدى لواحد، ويكون «توابا» ويحتمل أن يكون خبرا ثانيا في الأصل، بناء على تعدد الخبر وهو الصحيح، فلما دخل الناسخ، نصب الخبر المتعدد، تقول: زيد فاضل شاعر فقيه عالم، ثم تقول: علمت زيدا فاضلا شاعرا فقيها عالما، إلا أنه لا يحسن أن يقال هنا: شاعرا: مفعول ثالث، وفقيها [مفعول] رابع، وعالما: خامس.فصل: سبب نزول الآيةفي سبب النزول وجهان:الأول: أن من تقدم ذكره مع المنافقين، عندما ظلموا أنفسهم بالتحاكم إلى الطاغوت، والفرار من التحاكم إلى رسول الله –[صلى الله عليه وسلم] ، [لو جاءوا] للرسول،." [1]

"وأظهروا الندم على ما فعلوه، وتابوا عنه واستغفروا عنه، **واستغفر لهم الرسول** بأن يسأل الله أن يغفر لهم، وجدوا الله توابا رحيما.الثاني: قال الأصم: «إن قوما من المنافقين اتفقوا على كيد الرسول – عليه الصلاة والسلام –، ثم دخل اعليه لأجل [ذلك الغرض، فأتاه جبريل – عليه السلام – فأخبره به، فقال صلى الله عليه وسلم : إن قوما] دخلوا عليه لأجل يريدون أمرا لا ينالونه، فليقوموا وليستغفروا الله حتى أستغفر لهم، فلم يقوموا، فقال: ألا تقومون؛ فلم يفعلوا، فقال صلى الله عليه وسلم : قم يا فلان، قم يا فلان، حتى عد اثني عشر رجلا منهم، فقاموا وقالوا: كنا عزمنا على ما قلت، ونحن نتوب إلى الله من ظلمنا أنفسنا، فاستغفر لنا.فقال: الآن اخرجوا، أنا كنت في بدء الأمر أقرب إلى الاستغفار، وكان الله أقرب إلى الإجابة، اخرجوا عني» .فإن قيل: أليس لو استغفروا الله وتابوا على وجه [صحيح] ، لكانت توبتهم مقبولة، فما فائدة ضم استغفار الرسول إلى استغفارهم؟فالجواب من وجوه:أحدها: أن ذلك التحاكم إلى الطاغوت كان مخالفة لحكم الله – تعالى –، وكان إساءة للرسول – عليه السلام – وإدخالا للغم في قلبه، ومن كان ذنبه كذلك، وجب عليه الاعتذار عن ذلك لغيره؛ فلهذا المعنى وجب عليهم إظهار طلب الاستغفار [من الرسول] .ثانيها: أنهم لما لم يرضوا بحكم الرسول – عليه السلام –، ظهر منهم التمرد، فإذا نابوا، وجب عليهم أن يفعلوا ما يزيل عنهم ذلك التمرد؛ بأن يذهبوا إلى الرسول ويطلبوا منه الاستغفار.وثالثها: أنهم إذا

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٦/٤٦٥

أتوا بالتوبة أتوا بها على وجه خلل، فإذا انضم إليها استغفار الرسول، صارت محققة القبول، وهذه الآية تدل على أن الله – تعالى – يقبل التوبة؛ لقوله: «لوجدوا الله توابا رحيما» .." [(١)]

"وقوله تعالى: أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم: تكذيب لهم وتوعد، أي:فهو سبحانه مجازيهم، فأعرض عنهم، وعظهم بالتخويف من عذاب الله وغيره من المواعظ.وقوله سبحانه: وقل لهم في أنفسهم.قال ص: أي: قل لهم خاليا بهم لأن النصح، إذا كان في السر، كان أنجح، أو: قل لهم في حال أنفسهم النجسة المنطوية على النفاق قولا يبلغ منهم الزجر عن العود إلى ما فعلوا. انتهى.واختلف في «القول البليغ» ، فقيل: هو الزجر والردع والكف بالبلاغة من القول، وقيل: هو التوعد بالقتل، إن استداموا حالة النفاق قاله الحسن «١» ، وهذا أبلغ ما يكون في نفوسهم، والبلاغة مأخوذة من بلوغ المراد بالقول.[سورة النساء (٤) : آية ٦٤]وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما (٦٤)وقوله تعالى: وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله: تنبيه على جلالة الرسل، أي: فأنت، يا محمد، منهم تجب طاعتك، وتتعين إجابة الدعوة إليك، وبإذن الله:معناه: بأمر الله، وظلموا أنفسهم: أي: بالمعصية، والنفاق، وعن العتبي، قال: كنت جالسا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء أعرابي، فقال: السلام عليك، يا رسول الله، سمعت الله تعالى يقول: ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما، وقد جئتك مستعفيا من ذنوبي، مستغفرا إلى ربي، ثم أنشأ يقول: [البسيط]يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكمنفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف، وفيه الجود والكرمقال: ثم انصرف، فحملتني عيناي، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، فقال لي: «يا عتبي:الحق الأعرابي، فبشره أن الله تعالى قد غفر له» . انتهى من «حلية النووي» ، و «سنن الصالحين» للباجي، وفيه: مستغفرا من ذنوبي، مستشفعا بك إلى ربي.__________(١) ذكره البغوي (١/ ٤٤٨) ، وابن عطية (٢/ ٧٣) .." [(٢)]

"(ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا (٦٠) وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا (٦١) فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٦٦/٦

(٢) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٢٥٧/٢

أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا (٦٢) أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا (٦٣) وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما (٦٤) فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (٦٥) ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا (٦٦) وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما (٦٧) ولهديناهم صراطا مستقيما (٦٨) ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا (٦٩) ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما (٧٠)* * *(ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت) الطاغوت ههنا ما سوى كتاب الله وسنة رسوله من الباطل، نزلت في يهودي ومنافق اختصما فقال اليهودي: بيني وبينك محمد،." (١)

"٦٥ – النساء بالاعتذار الباطل والإيمان الفاجر﴿فاستغفروا الله﴾ بالتوبة والإخلاص وبالغوا في التضرع إليك حتى انتصبت شفيعا لهم إلى الله تعالى واستغفرت لهم وإنما قيل﴿**واستغفر لهم الرسول**﴾ على طريقة لالتفات تفخيما لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على أن شفاعته في حيز القبول﴿لوجدوا الله توابا رحيما﴾ لعلموه مبالغا في القبول توبتهم والتفضل عليهم بالرحمة وإن فسر الوجدان بالمصادفة كان قوله تعالى توابا حالا ورحيما بدل منه أو حالا من الضمير فيه وأيا ما كان ففيه فضل ترغيب للسامعين في المسارعة إلى التوبة والاستغفار ومزيد تنديم لأولئك المنافقين على ما صنعوا لما أن ظهور تباشير قبول التوبة وحصول الرحمة لهم ومشاهدتهم لآثارهما نعمة زائدة عليهما موجبة لكمال الرغبة في تحصليها وتمام الحسرة على فواتها." (٢)

"ثم أعاد الأمر بطاعة الرسول وتحكيمه فى جميع الأمور ترهيبا وترغيبا، فقال:[سورة النساء (٤) : الآيات ٦٤ الى ٦٨]وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما (٦٤) فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٣٧٠/١

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا ال كتاب الكريم أبو السعود ١٩٧/٢

بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (٦٥) ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا (٦٦) وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما (٦٧) ولهديناهم صراطا مستقيما (٦٨)قلت: (توابا رحيما) مفعولا (وجد) أن كانت علمية، أو (توابا) حال، و (رحيما) بدل منه، أو حال من ضميره إن فسرت بصادف.يقول الحق جل جلاله: وما أرسلنا من رسول من لدن آدم إلى زمانك، إلا ليطاع بإذن الله وأمره بطاعته، فمن لم يطعه ولم يرض بأحكامه فهو كافر به. ولو أنهم أي: المنافقون حين ظلموا أنفسهم بالترافع إلى غيرك، والتحاكم إلى الطاغوت جاؤك تائبين فاستغفروا الله بالتوبة، **واستغفر لهم الرسول** حين اعتذروا إليه حتى انتصب لهم شفيعا، لوجدوا الله أي: تحققوا كونه توابا رحيما، قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة والغفران. وإنما عدل عن الخطاب في قوله: **واستغفر لهم الرسول** ولم يقل: واستغفرت لهم، تفخيما لشأنه، وتنبيها على أن من حق الرسول أن يقبل اعتذار التائبين، وإن عظم جرمهم، ويشفع لهم، ومن جلالة منصبه أن يشفع في عظائم الذنوب وكبائرها.ثم أقسم بربوبيته على نفي إيمان من لم يرض بحكم رسوله، فقال: فلا وربك لا يؤمنون إيمانا حقيقيا حتى يحكموك أي: يترافعوا إليك، راضين بحكمك، فيما شجر بينهم أي: اختلط بينهم واختلفوا فيه ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا أي: ضيقا وشكا مما قضيت، بل تنشرح صدورهم لحكمك لأنه حق من عند الله. ويسلموا لأمرك تسليما. أي: ينقادوا لأمرك ظاهرا وباطنا.ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم، توبة من ذنوبكم، كما كتبناه على بني إسرائيل، أو في الجهاد في سبيل الله، أو اخرجوا من دياركم كما خرج بنو إسرائيل حين أمرناهم بالهجرة من مصر، ما فعلوه." [١]

"وتعلق الظرف بـ ﴿بليغا﴾ على معنى: بليغا في أنفسهم مؤثرا فيها، يجوز على أصل الكوفيين خلافا للبصريين (١).* * *(٦٤) - ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾.﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله﴾ بتيسيره وتوفيقه لطاعته، أو: بسبب إذن الله تعالى في طاعته؛ أي: بأمره للمبعوث إليهم أن يطيعوه؛ لأنه مبلغ عن الله تعالى وخليفة له، فطاعته طاعة الله تعالى، لما أمر النبي بوعظهم وإبلاغ القول فيهم أمرهم بطاعته فيما أمر واتعاظهم بما وعظ، ولا دلالة فيه على أن من لم يتعظ (٢) ولم يرض بحكمه كان كافرا مستوجب القتل، فإن الكفر لا يستوجب القتل البتة، كيف والذمي والمستأمن كافران ولا (٣) يجب

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥٢٢/١

قتلهما.﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم﴾ بالتحاكم إلى الطاغوت.﴿جاءوك﴾ تائبين منه، وهو خبر (أن)، و (إذ) متعلق به.﴿فاستغفروا الله﴾ مخلصين له (٤)، معتذرين إليك مما ارتكبوه من رد قضائك، حتى استغفرت لهم.* * *(١) لأن معمول الصفة عندهم لا يتقدم على الموصوف؛ لأن المعمول إنما يتقدم حيث يصح تقدم عامله، وقيل: إنه إنما يصح إذا كان ظرفا، وقواه البعض. انظر: "روح المعاني" (٦/ ١١٤). (٢) في (م) و (ك): "لم يتعظ". (٣) في (م): "ولم". (٤) في (م) زيادة: "الدين".الجزء: ٣ - الصفحة: ١٠٩ولما كان تحاكمهم إلى الطاغوت إساءة على الرسول ، وإدخالا للغم في قلبه، لزمهم الاعتذار له وطلب الاستغفار منه.." [١]

"وإنما قال (١): ﴿**واستغفر لهم الرسول**﴾ على طريقة الالتفات؛ تعظيما لشأنه، وتفخيما لاستغفاره، وتنبيها على أن من كان رسول الله فاستغفاره وشفاعته من الله بمكان (٢)، وأما قبول اعتذار التائب فلا دخل فيه لوصف الرسالة، فلا وجه للتنبيه عليه بالالتفات.﴿لوجدوا الله توابا رحيما﴾: قابلا لتوبتهم، متفضلا عليهم بالرحمة.﴿توابا﴾ حال و ﴿رحيما﴾ بدل منه، أو حال من الضمير فيه.* * *(٦٥) - ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾.﴿فلا وربك﴾؛ أي: فوربك، و (لا) مزيدة لتأكيد القسم؛ لا لتظاهر (٣) (لا) في قوله:﴿لا يؤمنون﴾؛ لأنها تزاد أيضا في الإثبات كقوله: ﴿لا أقسم بهذا البلد﴾ [البلد: ١].وفي إضافته تعالى نفسه إليه في القسم رفع قدره.﴿حتى يحكموك﴾ غاية متعلقة بقوله: ﴿لا يؤمنون﴾.* * *(١) "قال": ليست في (م) وفي هامشها: "لعل هنا لفظ قال ساقط". (٢) في (م) و (ك): "بمكان من الله". (٣) في النسخ عدا (م): "لتظاهر" بإسقاط (لا)، والمثبت من (م) وهو الصواب. "الكشاف" (١/ ٥٢٩)، و"تفسير البيضاوي" (٢/ ٨٢).الجزء: ٣ - الصفحة: ١١٠﴿فيما شجر﴾: فيما اختلف ﴿بينهم﴾ واختلط، ومنه: الشجر؛ لتداخل أعضائه واختلافها في الجهات.﴿ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا﴾ ضيقا ﴿مما قضيت﴾: مما حكمت به، أو: من حكمك. وإنما قال: ﴿ثم﴾ لأن المحتمل الغالب وجدان ذلك بعد زمان.﴿ويسلموا تسليما﴾: وينقادوا انقيادا بظاهرهم وباطنهم.* * *." [٢]

---

(١) تفسير ابن كمال باشا ٤٨٢/٢

(٢) تفسير ابن كمال باشا ٤٨٣/٢

"(١٨٩٣٣) - قال الحسن البصري: القول البليغ: أن يقول لهم: إن أظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قتلتم - لأنه يبلغ في نفوسهم كل مبلغ تفسير البغوي (٢) / (٢٤٤) - ذكر ابن عطية ((٢) / (٥٩٣)) قول الحسن، ثم علق عليه قائلا: «وهذا أبلغ ما يكون في نفوسهم» - وأضاف قولا آخر: أن القول البليغ: «هو الزجر والردع والكف بالبلاغة من القول» - .(١٨٩٣٤) - عن عبد الملك ابن جريج - من طريق ابن ثور - (فأعرض عنهم)، ذلك لقوله: (وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا) في أنفسهم أخرجه ابن المنذر ((١٩٥١)) - .(١٨٩٣٥) - قال مقاتل بن سليمان: (أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم) من النفاق، (فأعرض عنهم وعظهم) بلسانك، (وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا) تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٣٨٥) - .النسخ في الآية(١٨٩٣٦) - قال مقاتل بن سليمان: في قوله تعالى: (فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا)، نسختها آية السيف تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٣٨٥) - .(وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله)(١٨٩٣٧) - عن مجاهد بن جبر - من طريق ابن جريج - في قوله: (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله)، قال: واجب لهم أن يطيعهم من شاء الله، لا يطيعهم أحد إلا بإذن الله تفسير مجاهد ص (٢٨٥)، وأخرجه ابن جرير (٧) / (١٩٧)، وابن المنذر (٢) / (٧٧٣) بلفظ: واجب عليهم - وذكره يحيى بن سلام - كما في تفسير ابن أبي زمنين (١) / (٢٨٤) - - .(١٨٩٣٨) - قال مقاتل بن سليمان: (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع) يعني: إلا لكي يطاع، (بإذن الله) يقول: لا يطيعه أحد حتى يأذن الله له في طاعة رسوله - صلى الله عليه وسلم - تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٣٨٦) - .(ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما (٦٤))." (١)

"(١٨٩٣٩) - عن سعيد بن جبير - من طريق عطاء بن دينار - قال: الاستغفار على نحوين: أحدهما في القول، والآخر في العمل؛ فأما استغفار القول فإن الله يقول: (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول**) - وأما استغفار العمل فإن الله يقول: (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) [الأنفال: (٣٣)] - فعنى بذلك: أن يعملوا عمل الغفران، ولقد علمت أن أناسا سيدخلون النار وهم يستغفرون الله بألسنتهم، ممن يدعي بالإسلام، ومن سائر الملل أخرجه ابن المنذر ((١٩٥٥))، وابن أبي حاتم (٣) / (٩٩٣)، (٥) / (١٦٩٢) - .(١٨٩٤٠) - عن مجاهد بن جبر - من طريق ابن

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١١/١٠

أبي نجيح - في قوله: (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم) الآية، قال: هذا في الرجل اليهودي والرجل المسلم اللذين تحاكما إلى كعب بن الأشرف تفسير مجاهد ص (٢٨٦)، وأخرجه ابن جرير (٧) / (١٩٩) - (٢٠٠)، وابن المنذر ((١٩٥٤))، وابن أبي حاتم (٣) / (٩٩٣) - لم يذكر ابن جرير ((٧) / (١٩٩)) غير قول مجاهد - .(١٨٩٤١) - قال مقاتل بن سليمان: (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك) بالذنوب، يعني: حين لم يرضوا بقضائك جاءوك، (فاستغفروا الله) من ذنوبهم، (**واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما) تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٣٨٦) - .(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (٦٥))نزول الآية(١٨٩٤٢) - عن الزبير بن العوام أنه خاصم رجلا من الأنصار قد شهد بدرا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، في شراج الشرجة: مسيل الماء من الحرة إلى السهل - النهاية (شرج) - من الحرة كانا يسقيان به كلاهما النخل، فقال الأنصاري:." [1]

"طلب الاستغفار من النبي يكون في حياته لا بعد مماته

قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر لهم الرسول** لوجدوا الله توابا رحيما﴾ [النساء:٦٤] .

هنا أورد الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى قصة العتبي، وقد ليم الحافظ ابن كثير على إيراده لها مع سكوته عليها، وهذه إحدى المآخذ التي أخذت على الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى، فهو وإن كان مسددا في تفسيره، والغالب عليه التوفيق إلا أن هذا من المآخذ التي أخذت عليه رحمه الله تعالى، أورد قصة العتبي الذي كان جالسا بجانب قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء رجل يثني على رسول الله ويقول: جئتك مستغفرا يا رسول الله! فاطلب من الله أن يغفر لي وأنشد أبيات شعر: يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه.

إلى آخر أبيات الشعر ثم انصرف الرجل، فنام العتبي فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال له: اذهب إلى الأعرابي وقل له: إن الله قد غفر لك، فهذه القصة لا نعلم لها إسنادا البتة، ثم هي بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يؤخذ منها دليل ملزم، ثم هي رؤيا منامية والرؤيا المنامية لا تبنى عليها أحكام، فأخذ منها أهل التصوف أنهم يذهبون إلى قبر الرسول، ويطلبون من رسول الله أن يستغفر لهم ربه،

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٢/١٠

ولو كان الأمر على ذلك لفعله أصحاب الرسول الكبار كـ أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فهذا وجه المؤاخذة على الحافظ ابن كثير إذ لم يعلق عليها تعليقا يليق بها، ويبين ما فيها، والله أعلم.

فالحاصل أن طلب الاستغفار من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في حياته، كما قال أمير المؤمنين عمر: (استغفر لي يا رسول الله!) ، ولو كان طلب الاستغفار من رسول الله بعد موته مستساغا لفعله كبار الصحابة، وقد تقدم أن المسلمين لما نزلت بهم نازلة المجاعة استسقوا بـ العباس، ولم يذهبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قبره طالبين منه أن يدعو الله عز وجل لهم كي يسقوا.." (١)

---

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي مصطفى العدوي ١٦/١٢